تجاز الطالب بإجراء التعديلات المطلوبة

الطالب: محمد أبو محمد إمام

جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

نظم الحكم في العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ - ٨٤٦ م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النظم الإسلامية

١٠٠٣٤٦١٤

إعداد الطالب
محمد أبو محمد إمام

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
١٣١٤
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف الدكتور
إبراهيم نجيب محمد عوض

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٣١٤

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

"" شكر وتقديـــــــــر ""

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

فالشكر أولا لله العلى القدير الذى وفقنى لانجاز هذا البحــــــث وأسأله جلّ وعلا التوفيق والسداد .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالى مدير الجامعة الدكتور / راشد الراجح وسعادة الدكتور / صالح بن حميد عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية السابق وسعادة الدكتور/ سليمـــــان التويجرى عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية الحالى لاتاحتهم لنـــــــــا الفرصة للدراسة فى هذا البلد الأمين فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر والامتنان لسعادة أستاذى الدكتور/ ابراهيم نجيب عوض المشرف على هذه الرسالة الذى حبانى برعايته وعنايته وتوجيهاتـــــــــه القيمة التى كان لها الأثر الكبير فى انجاز هذا البحث فقد منحنى الكثيــر من وقته وجهده وعلمه الثر فجزاه الله عنى وعن طلاب العلم خير الجزاء.

ولايفوتنى أن أشكر الدكتور / ضيف الله يحى الزهرانى رئيـــــــس قسم الحضارة والنظم الاسلامية ، وأساتذتى الذين تتلمذت عليهم بالقســـــــم لما لهم من أياد بيضاء علىّ .

والشكر موصول لكل الاخوة والزملاء الذين استفدت من مكتباتهـــــم وآرائهم وأفكارهم والتى ذللت على كثيرا من الصعاب .

والحمد لله رب العالمين .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الاسلام هو دين الله الخالد ، الذى أوحى به الى نبيناورسولنامحمد بـــن عبدالله عليه افضل الصلاة والسلام، ليحكم البشرية من كافةجوانبها ،لأن البشر اذا تركوا على آهوائهم ضلوا السبيل .

وقداستطاع الرسول صلى اللهعليهوسلم بعد جهاد طويل مع المشركيـــن فى مكة والجزيرة العربية ، أن يؤسس الدولة الاسلاميةفى المدينة المنورة ، ويضع آسس نظم الحكم فى الاسلام ، ويوحدالأمة العربية ،ويحولهامن آمةجاهليةتسودهـــا الحروب والقتال لاتفه الأسباب ، وتكثر بينها المنازعات ، الى آمةترفع رايـــة الجهاد فى سبيل الله ، وتنطلق بنور القرآن لنشر دين اللهفى مشـــــارق الارض ومغاربها .

ولقدتعددت الآراء فى عصرنا الحاضر حول شمولالاسلام للحكم ، وذهب النـاس فى ذلك مذاهب شتى .

فأهل الغرب عموما ، والمستشرقون منهمعلى وجه الخصوص يرون ان نظـــام الحكم فى الاسلام لايصلح للبشرية ، ووصفوه بأوصاف لاتليق بمكانته وسموه .

اما الشيوعية الملحدة ،فحسبنا انهاشيوعيةملحدة ،لاتقيمللدين وزنـــا ولا اعتبارا .

ومن المسلمين من يجارى الشرق فى هواه ، ومنهم من يجارى الغرب فـــى هواه ، ناسين او متناسين ماضى أسلافهم .

ومنهم مذبذبون لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ، ولكنهممنافقون يظهـــرون خلاف مايبطنـــون .

اما المسلمون المؤمنون ، فلم تؤثر فيهم دعاوى الشرق والغرب ولاهـــرج المثبطين ، وظلوا يتمسكون بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم عليه افضل الصلاة والسلام ، ويرون أن الاسلام هوالنظام الأمثل الذى يجب ان يحكم حياة البشرية .

لكل ذلك احببت ان ادلى برأيى حول نظم الحكم فى العصرالعباســـــى

الاول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩ - ٨٤٦م) كبحث مقدم للماجستير فى النظم الاسلامية .

وترجع أهمية الموضوع وسبب اختيارى له الى مايأتى :

(أ) يعتبر العصر العباسى الاول من ازهى العصور الاسلامية حيث بلغت فيه الدولة شأوا بعيد المدى فى العلوم والمعارف والسياسة والادارة والقضاء فعلى الرغم من مرور اكثر من قرن على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، الا ان الاسلام ظل نظاما قويا يحكم حياة المسلمين من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الجوانب الاخرى بل تفتحت للمسلمين فيه آفاق جديدة ، ممايؤكد لنا صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، وفعالية نظام الحكم الاسلامى، الذى ينبغى أن يسود عالم اليوم الذى ارتد فى كثير من جوانبه الى شريعة الغاب فالقوى يأكل الضعيف واستشرى الظلم وغابت العدالة .

(ب) ان كثيرا من الأقلام قد تناولت خلفاء هذا العصر بالتجريح والطعن للنيل منهم لحاجة فى انفسهم ، لذلك وددت ان اسهم بجهد المقل فى تنقية بعض الشوائب التى علقت بهؤلاء الخلفاء العظام .

وقد وجدت تشجيعا من سعادة الاستاذ والمربى الدكتور ابراهيم نجيب عوض استاذ نظم الحكم بقسم الحضارة والنظم الاسلامية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، والذى تعلمنا الكثير منه ، منذ ان كنا طلابا بمرحلة البكالوريوس فقد رعى هذا البحث منذ أن كان فكرة ، الى ان صار حقيقة فجزاه الله خير الجزاء وامد فى عمره ونفع به .

وقد جاء البحث مشتملا على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

اما المقدمة فتشتمل على اهمية الموضوع وسبب اختيارى له . والتمهيد عن نشأة الدولة العباسية .

وتحدثت فى الباب الاول عن النظام السياسى والادارى للدولة العباسية واشتمل هذا الباب على خمسة فصول :

الفصل الاول : الخلافة العباسية ، وقد تناولت فيه موضوع الخلافة معرفا بها وبنشأتها فى الدولة الاسلامية ، ثم تحدثت عن الخلافة العباسية متناولا

سياسة كل خليفة بدءا بأبى العباس السفاح أول خليفة عباسى وانتهاء بالواثق بالله آخر خلفاء العصر العباسى الأول .

وتحدثت فى الفصل الثانى عن الوزارة فى العصر العباسى الاول وانواعها ووزراء كل خليفة .

وتناولت فى الفصل الثالث من هذا الباب موضوع الحجابة .

وتحدثت فى الفصل الرابع عن الدواوين الرئيسية فى الدولة والدواوين التى استحدثت فى هذا العصر .

اما الفصل الخامس فقد تحدثت فيه عن النظم المالية واهم موارد بيت المال فى هذا العصر وهى الخراج والزكاة والعشور والجزية والأخماس .

اما الباب الثانى وهو عن النظام التشريعى فى الدولة العباسية ،فكان فى اصل الخطة هو "الباب الاول" ولكنى رأيت نقله الى مابعد قيام الخلافة العباسية واستقرارها .

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : الكتاب والسنة .

الفصل الثانى : الاجماع والقياس .

الفصل الثالث : الاجتهاد .

واما الباب الثالث ،فهو عن النظام القضائى .

وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول عن القضاء وقد تناولت فيه القضاء منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والامويين بايجاز ، ثم تناولت القضاء فى فترة البحث وعرضت التطورات والتنظيمات التى طرأت عليه فى هذا العصر عما كان عليه فى السابق .

وتحدثت فى الفصل الثانى عن ولاية المظالم فى العصر العباسى الاول ومدى اهتمام العباسيين بهذه الولاية وجلوس بعضهم للنظر فى المظالم او انابة شخص عنه .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن الحسبة ،وان نشوء ولاية الحسبة بهذا "المسمى"

قد ظهر فى العصر العباسى الأول .

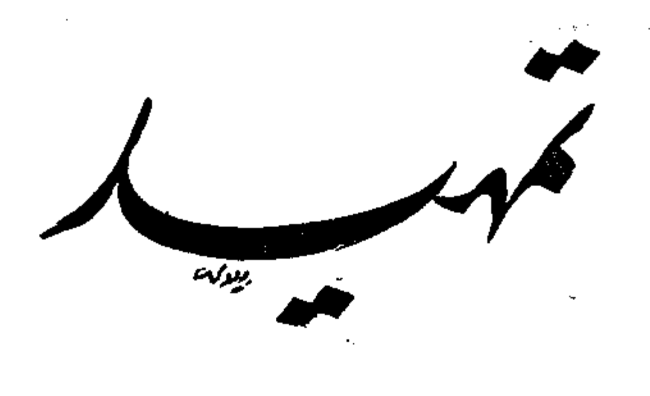
وأما الباب الرابع والاخير فهو عن ولاية البلدان ويشتمل على ثلاثة فصول ، وقد رايت ان اضم الفصل الاول (تولية الولاة)، الى الثانى (سلطات الولاة)، ليصبح فصلا واحدا نظرا للارتباط الوثيق بينهما.

والفصل الثانى عن عزل الولاة. ثم خاتمة البحث التى تحتوى على اهم النتائج.

اسأل الله العلى القدير ان اكون قد وفقت فى تناول الموضوع واستيفائه فان كان ذلك كذلك فالحمد لله على توفيقه وتيسيره ، وان كان ثمة خطأ فاسأل الله المغفرة ، ولا أدعى اننى قد احطت بكافة الجوانب المتعلقة بالموضوع فالكمال لله سبحانه وتعالى وحده.

والحمد لله أولا وآخرا..

محمد ابو محمد امام


تمہید

نشأة الدولة العباسيــة

بدأ العباسيون[1] حركة نشطة للدعوة لانفسهم بالخلافة، وانتزاعها مـــن الامويين ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن عبدالعزيز[2] - رضى الله عنه - فى عام مائة للهجرة.[3] الموافق ٧١٨م.

(١) ينتسب العباسيون الى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وهو العباس بن عبد المطلب بن عبدمناف القرشى الهاشمى .. جد الخلفاء العباسيين، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين اوثلاث، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمال، وافتدى ابنى اخويه عقيل بن أبى طالب ، ونوفـــل بن الحارث ، ولما أسر وشد فى الوثاق وامسى الناس ارق رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم فقيل يارسول الله مالك؟ فقال انى اسمع انيـــن العباس فى وثاقه فلاانام، فقام رجل من المسلمين فحل من وثاق العباس حتى سكن انينه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم عام الفتـــح، وتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجحفة فرجع معه وشهد الفتـــح. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدره ويجله وينزله منزلة الوالـــد، ويقول هذا بقية ابائى ، وكان من اوصل الناس لقريش واشفقهم عليهـــم ، وكان ذا راى وعقل تام واف وله من الولد عشرة سوى الاناث .ت سنـــة ٣٢هـ .

ابن كثير ، عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن كثير ، البدايـــة والنهاية ،ط دار الفكر العربى بيروت(١٣٥١هـ - ١٩٣٣م)ج٧، ص ١٧٦.

(٢) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بـــن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الاموى ، وامه ام عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.كان تابعيا جليلا، روى عن انس بـــن مالك والسائب بن يزيد، وغيرهم ولد سنة ٦٣هـ ، وقيل سنة ٥٩هـ.وكـــان اعدل بنى مروان .

ت سنة ١٠١هـ. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩ ، ص ٢١٤.

(٣) الطبرى ، ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الامم والملـــوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان، بيروت ، لبنان - ج ٦، ص ٥٦٢ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩، ص ٢١١.

كان محمد بن على بن عبدالله (١)، مقيما بالشام ،وهوالذى بدأ الدعوة للبيت العباسى ، وقد اشارت بعض المصادر التاريخية مثل الطبرى وابن سعد وغيرهما الى ان الدعوة فى الاصل كانت للعلويين الا ان عبدالله بن محمد بن الحنفية (٢) قد سلم امر الدعوة حينماقربت وفاته الى محمد بن على بن عبدالله ، فقد ذكر الطبرى ان عبدالله بن محمد قال لمحمد بن على:"يا ابن عم ان عندى علما انبذه اليك فلا تطلعن عليه احداً، ان هذا الامر الذى يرتجيه الناس فيكم، قال : قدعلمت فلا يسمعنه منك احد" (٣).

ويذكر ابن سعد فى الطبقات ان اباهاشم ابن محمد ابن الحنفية لما حضرته الوفاة، اوصى الى محمد بن على وقال له :" انت صاحب هذا الامر وهو فى ولدك وصرف الشيعة اليه ودفع كتبه وراياته اليه " (٤).

---

(١) هو ابوعبدالله محمدبن على بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى ،وهووالدالسفاح والمنصور الخليفتان الاول والثانى من خلفاء بنى العباس ، كان مولده سنة ٦٠هـ،وكان من اجمل الناس واعظمهم قدرا، ت سنة ١٢٦هـ وقيل ١٢٢هـ، انظر ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،تحقيق د.احسان عباس ، دار صادر بيروت ج٤، ص ١٨٦ ومابعدها.

(٢) عبدالله بن محمد(بن الحنفية) بن على بن ابى طالب ويكنى ابوهاشم وامه أم ولد تدعى نائلة وكان لسناعالما ، وكان وصى ابيه ،وهوالذى يزعم الشيعة من اهل خراسان انه ورث الوصية عن ابيه، وانه كان الامام وانه اوصى الى محمد بن على بن عبدالله بن العباس ،واوصى محمد الى ابراهيم الامام. ولماعلم سليمان بن عبد الملك بخبره دس اليه سما فمات منه بالحميمة بأرض الشام.
ابو فرج الاصفهانى ، مقاتل الطالبين ، شرح وتحقيق السيد احمدصقر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان، ص ١٢٦، وانظرخيرالدين الزركلى ، الاعلام، (دار العلم ،بيروت ـ لبنان) الطبعة السادسة ، ج٤، ص ١١٦.

(٣) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج٧، ص ٤٢١ .

(٤) إبن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد الهاشمى ، الطبقات الكبرى، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٨ م ، ص (٣٢٨).

ويورد ابن قتيبة هذا الامر ايضا فيذكر ان عبدالله بن محمد بن الحنفية ذهب الى محمد بن على فى الحميمة وقال له :"اليك الامر، والطلب للخلافة بعدى فولاه وأشهدله من الشيعة رجالا". (١)

وهناك مصادر اخرى تناولت هذا الامر وايدت مسألة انتقال الامامة من العلويين الى العباسيين كالمسعودى فى مروجه ، واليعقوبى فى كتابه التاريخ والمؤلف المجهول صاحب كتاب العيون والحدائق وغيرهم. بل وتذكر بعض المصادر ان هناك صحيفة تدعى بالصحيفة الصفراء(٢) سلمها عبدالله بن محمد ابن الحنفية الى محمد بن على .

ولكننا لانستطيع ان نجزم بصحة ماذكرته هذه المصادر فكثير من الروايات التى وردت حول هذه المسألة لم تسلم من الطعن وربما تكون من وضع الشيعة الذين كانوا يسعون الى تدعيم مواقفهم بشتى السبل لكى يؤكدوا انتزاع العباسيين للخلافة من العلويين .

---

(١) ابن قتيبة ، ابومحمدعبدالله بن مسلم الدينورى ، الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق الدكتور طه محمد الزينى ، دارالمعرفة للطباعة والنشر (بيروت ـ لبنان) ج٢، ص ١٠٩

(٢) روى ان اصل هذه الصحيفة ترجع الى محمد بن الحنفية الذى ورثها عن أبيه على بن ابى طالب حيث اعطاه اياها الحسين بن على اخاه ، وتحتوى هذه الصحيفة على علم رايات خراسان السود متى تكون وكيف تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها واياتها واى احياء العرب انصارهم واسماء رجال يقومون بذلك كيف صفتهم وصفة رجالهم واتباعهم فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن على بن الحنفية حتى اذا حضره الموت دفعها الى ابنه عبدالله بن محمد وهو الذى يكنى ابا هاشم وكانت عنده حتى اذا حضره الموت ... ومات فى الحميمة عند محمد بن على فدفع الصحيفة اليه واوصاه بما أحب ...

مخطوطة اخبار العباس لمؤلف مجهول .
نقلا عن د. فاروق عمر، بحوث فى التاريخ العباسى ، نشر دار القلم للطباعة بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى ١٩٧٧م، ص ٦٠ .

وعلى اية حال فان الذى بدأ الدعوة للعباسيين هومحمد بن علي الذى اوصى دعاته بان يتجهوا الى خراسان (١)، وقال فى وصيته لهم: "اما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده، واما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبدالله المقتول ولاتكن عبدالله القاتل، واما الجزيرة فحرورية (٢) صادقة واعراب كأعلاج ومسلمون فى اخلاق النصارى، واما اهل الشام فليس يعرفون الا ال ابى سفيان وطاعة بنى مروان، وعداوة راسخة وجهل متراكم واما مكة والمدينة فقد غلب عليهما ابو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء، ولم تتوزعها النحل، وهم جند لهم ابدان واجسام ومناكب وكواهل، وهامات ولحى وشوارب، واصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من اجواف منكرة .وبعد فانى اتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا،

---

(١) خراسان : بلاد واسعة اول حدودها ممايلى العراق ازاذوار قصبة جوين وبيهق، واخر حدودها ممايلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها انما هو اطراف حدودها، وتشتمل على امهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وابيورد وسرخس ومايتخلل ذلك من المدن التى دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل اعمال خوارزم فيها ويعد ماوراء النهر منها وليس الامر كذلك، وقد فتحت اكثر هذه البلاد عنوة وصلحا.
ياقوت الحموى، ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج٢، ص ٣٥٠

(٢) نسبة الى حروراء قرية من قرى الكوفة، بينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وهى الموضع الذى اجتمع به الخوارج على على رضى الله عنه فسماهم بالحرورية ولقى جمعهم هناك فاوقع بهم فى سنة تسع وثلاثين وقد نزل الخوارج بحروراء بعد التحكيم ولم يدخلوا مع سيدنا على رضى الله عنه الكوفة، ومضى اليهم على رضى الله عنه فجلس اليهم وحاجهم ووعظهم فرجع منهم ستة الاف، رجعوا الى الكوفة وبقى منهم من بقى.
انظر محمد بن عبدالمنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، ص ١٩٠-١٩١.

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

ومصباح الخلق". (١)

لقد فهم الدعاة هذه الوصية فهما جيدا ومن ثم بدأوا ينتشرون في ارجاء خراسان والعراق فقد بعث محمد بن علي بغلامه ميسرة الى العراق ليتولى امر الدعوة هناك كما بعث بعدد من الدعاة الى خراسان (٢) وامرهم بالدعاء اليه والى اهل بيته ووجدت الدعوة استجابة من قبل بعض الافراد فبعث ميسرة الى محمد بن علي يعلمه بذلك(٣). وقد كانت الحركة في غاية من السرية والدقة خوفا من اكتشاف الامويين لها، ونظمت طريقة الدعوة بصورة جديدة واختير عدد من النقباء للقيام بمهمة الدعوة وتنظيمها(٤)

كما اختاروا سبعين رجلا ايضا وكتب اليهم محمد بن علي كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون على نهجه. (٥)

وصورة الكتاب :"ابايعكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي الى بيت الله، وعلى

---

(١) المقدسي ، شمس الدين ابوعبدالله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، باعتناء دي غويه، بريل - ليدن ١٩٠٦ ص ٢٩٣-٢٩٤، ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الكامل في التاريخ ،دار الكتاب العربي،(بيروت - لبنان) الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م حـ ٣ ، ص ١٦.

(٢) منهم محمد بن خنيس وابو عكرمة السراج وحيان العطار.

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، حـ٦ ، ص ٥٦٢، ابن الاثير، الكامل حـ٤، ص ١٥٩، ابن كثير ،البداية والنهاية، حـ ٩ ، ص ٢١١ .

(٤) هؤلاء النقباء هم سليمان بن كثير الخزاعي ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وعمران بن اسماعيل ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زريق الخزاعي ، وعمرو بن اعين مولى لخزاعة- وشبل بن طهمان ابوعلي الهروي - مولى لبني حنفية وعيسى بن اعين، مولى خزاعة- وخالد بن ابراهيم ابوداود.
الطبري ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٦،ص ٥٦٢، ابن الاثير ،الكامل في التاريخ حـ٤،ص١٥٩، ابن كثير،البداية والنهاية ،حـ٩،ص ٢١١، ابوجعفر محمد بن حبيب البغدادي ،المحبر، ص ٤٦٥.

(٥) الطبري ، تاريخ،٥٦٢/٦، ابن الاثير، الكامل،١٥٩/٤.

ان لاتسألوا رزقا ولاطعما حتى يبدأكم به ولاتكم، وان كان عدو احدكم تحت قدمه فلاتهيجوه الا بأمر ولاتكم"(١)

وقد ظل رجال الدعوة يعملون بهذا الكتاب منذ بدء الدعوة الى ان تم لهم النصر فى عام ١٣٢هـ/٧٤٩ م ، وهى السنة التى بويع فيها لابى العباس السفاح بالخلافة (٢).

وقد مرت الدعوة العباسية خلال الفترة من سنة ١٠٠- ١٣٢هـ/٧١٨-٧٤٩م بمرحلتين متميزتين :

المرحلة الاولى : وهى مرحلة الدعوة بالحسنى واتباع الاساليب السلمية مع السرية التامة لكسب الانصار والمؤيدين . وامتدت هذه الفترة من ١٠٠ - ١٢٧هـ/ ٧١٨-٧٤٤م.

المرحلة الثانية : وهى مرحلة استخدام القوة المسلحه مع الدعوة العلنية وهى الفترة التى انضم فيها ابومسلم الخراسانى (٣) الى الدعوة (٤).

وتمتد هذه الفترة من سنة ١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤ - ٧٤٩م.

المرحلة الاولى :كان الدعاة فى هذه المرحلة يجوبون انحاء خراسان يتمثلون فى زى التجار ويبطنون الدعوة ويندسون بين الناس لبث دعوتهم الا ان امرهم قد انكشف عندما وشى بهم الى امير خراسان من قبل الامويين سعيد بن خذينة بن

---

(١) الطبرى ، تاريخ، حـ٧ ، ص ٣٨٠

(٢) الشيخ محمد الخضرى بك، محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ص ١٥.

(٣) هو ابومسلم عبدالرحمن بن مسلم وقيل عثمان الخراسانى القائم بالدعوة العباسية ... كان قصيرا اسمر جميلا نقى البشرة ، احور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها ، طويل الشعر، طويل الظهر، قصير الساق والفخذ خافض الصوت، فصيحا بالعربية والفارسية حلو المنطق ،راوية للشعر،عالما بالامور، لم ير مازحا ولا ضاحكا الا فى وقته .... وكانت ولادته سنة مائة للهجرة . قتله المنصور فى سنة سبع وثلاثين ومائة .
انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، حـ٧ ،ص ١٤٥ ومابعدها ، الذهبى، الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى ،سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، جـ٦، ص ٥٠.

(٤) محمد الخضرى ، الدولة العباسية، ص ١٥.

الحارث (١) الملقب بسعيد خذينة .

يقول ابن الاثير فى احداث ١٠٢هـ/٧٢٠م :"وفى هذه السنة وجه ميسره رسله من العراق الى خراسان فظهر امر الدعاة بها، فجاء عمرو بن بحيربن ورقاء السعدى الى سعيد خذينة فقال له ان ههنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح واعلمه حالهم، فبعث سعيد اليهم فأتى بهم فقال من أنتم؟ قالوا أناس من التجار، قال فما الذى يحكى عنكم؟ قالوا: لاندرى ، قال جئتم دعاة. قالوا ان لنا فى انفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا. فقال من يعرف هؤلاء، فجاء ناس من اهل خراسان اكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا ان اتاك منهم شئ تكرهه فخلى سبيلهم" (٢)

وفى سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م التقى بكير بن ماهان(٣) بمجموعة من دعاة بنى العباس فى الكوفة حيث ذكروا له امر دعوة بن هاشم فقبل ذلك ورضيه، وانفق مامعه عليهم، ودخل الى محمد بن على . ولماتوفى ميسرة وجه محمد بن على بكير بن ماهان الى العراق مكان ميسرة (٤)

امافى خراسان فقد تعرضت الدعوة لهزات عنيفة على الرغم من السرية التى كانت تحيط بها، وذلك فى زمن واليها اسد بن عبد الله

---

(١) هوسعيد بن عبدالعزيز بن الحرث بن الحكم بن ابى العاص ابن أمية وهوالذى يقال له سعيد خذينة وانمالقب بذلك لانه كان رجلا لينا متنعما، وخذينة هى الدهقانة ربة البيت وقد ولاه مسلمه بن عبد الملك خراسان فى سنة ١٠٢هـ وهوصهر مسلمة .

ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، حـ ٤، ص ١٧٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٢.

(٣) لم اعثر له على ترجمة فى المصادر المتوفرة لدى، الا انه كان مقيما بالسند مع الوالى الاموى الجنيد بن عبد الرحمن حيث كان يترجم له وقدم الى الكوفة فى سنة ١٠٥هـ حيث التقى بدعاة بنى العباس . انظر الطبرى ، تاريخ، حـ ٧، ص ٢٥، وابن الاثير، حـ٤ ، ص ١٩٢.

(٤) الطبرى ، تاريخ، حـ٧ ، ص ٢٥-٢٦، ابن الاثير، الكامل ، حـ٤ ، ص ١٩٢- ١٩٣.

القسري[1]، الذى ظفر بعدد من الدعاة فى سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م، فقطع ايدى من ظفر به منهم وصلبهم[2].

فلما بلغ الخبر محمد بن على ، كتب الى بكير بن ماهان قائلا: "الحمد لله الذى صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل".[3]

ولم تكن للدعوة فى عهد اسد بن عبدالله القسرى اثر كبير فى خراسان الى ان عزل منهافى سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ثم وليهامرة اخرى فأعاد معهمسيرته الاولى ، ولم يتنفس الدعاة بخراسان الابعد وفاته فى سنة ١٢٠هـ[4]/٧٣٧م.

وفى سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م وجه ابراهيم الامام بكير بن ماهان الى خراسان حيث قدم الى مرو وجمع النقباء والدعاة ونعى اليهممحمد بن على، ودعاهم الى ابراهيم[5] فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات

---

(١) اسد بن عبدالله القسرى البجلى: امير، من الاجواد الشجعان، ولد ونشأ فى دمشق. وولاه اخوه (خالد بن عبدالله) ولاية خراسان سنة ١٠٧هـ فأقام فيها زمنا ، وجدد بناء بلخ وأنزل بهاجيشه، ثم اختارها لاقامته. وكان دهاقنة الفرس راضين عنه وعن حكمه واسلم على يده سامان(جد السامانيين) وسمى ابنه أسدا، على اسمه وفى ايامه جاشت الترك بخراسان سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م وأغاروا حتى اتوا مرو الروذ ، فسار اليهم اسد، فكانت له معهم وقائع انتهت بهزيمتهم. ت فى بلخ سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م الزركلى ،الاعلام، جا، ص ٢٩٨.

(٢) الطبرى ، تاريخ ، حـ ٧ ، ص ٤٠، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ حـ ٤، ص ١٩٧ ، البلخى ، ابوزيد احمد بن سهل ، البدء والتاريخ تحقيق كلمان هوار باريس ، حـ ٦ ، ص ٦٠ .

(٣) الطبرى ، تاريخ، ٤٠/٧ ، ابن الاثير، الكامل ، ١٩٧/٤.

(٤) الخضري ، الدولة العباسية، ص ١٧.

(٥) ابراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب المعروف بابراهيم الامام، اخوالسفاح والمنصور، يكنى اباسحاق كان بالحميمة من اعمال الشراه ،عهداليه ابوه محمد فى السير بالامامةفبلغ خبره الى مروان بن محمد فأخذه وحبسه مده بحران ثم قتله غيلة فى صفرسنة ==

الشيعة ، فقدم بهابكيرالى ابراهيم الامام(١).

المرحلة الثانية ١٢٧- ١٣٢هـ/٧٤٤ - ٧٤٩م.

انضم ابو مسلم الخراسانى للدعوة فى هذه المرحلة وقد تلقى اصول التشيع عن مولاه بكير بن ماهان ثم اتصل بمحمد بن على سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م ثم بابنه ابراهيم الامام وكانت تظهر عليه مخايل النجابة وقوة الشخصية.(٢)

واقام ابومسلم عند الامام ابراهيم يخدمه حضرا وسفرا. ثم ان النقباء عادوا الى ابراهيم الامام وسألوه رجلا يقوم بأمر خراسان ، فقال انى قد جربت هذا الاصبهانى وعرفت ظاهره وباطنه فوجدته حجرالارض ، ثم دعا ابا مسلم وقلده الامر وارسله الى خراسان "(٣).

واوصى ابراهيم الامام ابامسلم الوصية المشهورة التى ذكرهاكثير من المؤرخين حيث قال له :"ياعبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى. وانظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم وحل بين اظهرهم فان اللهلايتم هذا الامر الابهم، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى امرهم، وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فيه ، ومن كان فى امره شبهة ، ومن وقع فى نفسك منه شئ، وان استطعت ان لاتدع بخراسان لساناعربيا فافعل فايماغلام بلغ خمسة اشبار تتهمة فاقتله ولاتخالف هذاالشيخ- يعنى سليمان بن كثير(٤). ولاتعصه وان اشكل عليك امر فاكتف بهمنى"(٥).

== ١٣٢هـ/٧٤٩م .
الذهبى،تاريخ الاسلام ومشاهير الاعلام،عنىبنشره حسام الدين القدسى، حـ٥، ص ٥٢٢.

(١) الطبرى ، حـ٧، ص ١٢٦- ١٢٧.

(٢) الخضرى ، الدولة العباسية ، ص ٢١.

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، حـ٣، ص ١٤٧، الذهبى، سير اعلام النبلاء، حـ ٦، ص ٥٠.

(٤) سليمان بن كثير الخزاعى المروزى الامير، احدنقباء بنى العباس الاوائل الذين قاموا بامرالدعوة وقد قتله ابومسلم الخراسانى فى سنة ١٣٢هـ لاتهامه بعدم الاخلاص للدعوة العباسية ، الذهبى ، العبرفى خبرمن غبر،حـ١، ص ١٣٧، ابن الاثير، الكامل،٤/٣٣٦.

(٥) الطبرى، تاريخ،حـ٧،ص ٣٤٤، ابن الاثير، الكامل، حـ٤، ص ٢٩٥.

ولكن النقباء الاوائل الذين قاموا بأمر الدعوة لمحمد بن علي كان أكثرهم من العناصر العربية التي تسكن خراسان، ممايشكك في مدى صحة هذه الوصية اذ لايمكن ان تقوم الدعوة على يد العناصر العربية ويوصي ابراهيم الامام ابامسلم بالقضاء على العرب في خراسان . كما انناذكرنا ان سعيد خذينة حينما القى القبض على بعض الدعاة في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م جاءه قوم من اهل خراسان اكثرهم من ربيعة واليمن، وشهدوا بانهم يعرفون هؤلاء القوم، وانهم تجار لاغير، فأطلقهم سعيد ، فكيف تنسجم شهادة هؤلاء العرب الخراسانيين للدعاة ثم يوصي محمد بن علي ابامسلم بالقضاء على العنصر العربي !!

واري ان هذه الوصية المزعومة ماهي الا محاولة لاظهار الدعوة العباسية بالمظهر الفارسي المحض .

لقد تسلم ابو مسلم الخراساني زمام الدعوة فبدأ مرحلة جديدة من مراحل الكفاح من اجل ترسيخ الدعوة والقضاء على الدولة الاموية في خراسان حيث ذكر الطبري في احداث سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م ان ابامسلم لم يزل يختلف الى خراسان حتى وقعت العصبية بها ، فلما اضطرب الحيل كتب سليمان بن كثير الى ابي سلمة الخلال[١] يسأله ان يكتب الى ابراهيم ليوجه رجلا من اهل بيته فكتب ابو سلمة الى ابراهيم فبعث ابامسلم".[٢]

ثم كتب ابراهيم الى ابي مسلم يامره بالقدوم عليه ليسأله عن اخبار الناس فخرج مع سبعين رجلا من النقباء وفي منتصف الطريق ارسل اليه ابراهيم بكتاب يعلمه فيه بانه قد بعث اليه راية النصر وان عليه الرجوع الى

---

(١) ابو سلمة حفص بن سليمان الهمداني ، مولاهم الكوفي . رجل شهم ، سائس ، شجاع متمول ، ذو مفاكهة وادب ، وخبرة بالامور، وكان ميرفيا (المتصرف في الامور المجرب لها) انفق اموالا كثيرة في اقامة الدولة وذهب الى خراسان .

الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج ٦، ص ٧ .

(٢) الطبري، تاريخ، ج٧ ، ص ٣٥٣ .

خراسان لاظهار الدعوة [١]، فرجع ابو مسلم الى مرو [٢] فدخلها في اول يوم من شهر رمضان سنة مائة وتسع وعشرين للهجرة/٧٤٦م، وسلم كتاب الامام الى سليمان بن كثير والذي يأمره فيه باظهار الدعوة دون تردد [٣]. وبعث ابراهيم الى ابي مسلم" بلواء يدعى الظل وراية تدعى السحاب فعقدهما على رمحين واظهر الدعوة العباسية بخراسان " [٤].

ومن ثم ظهر ابو مسلم كقائد للدعاة في خراسان "ولما كان يوم عيد الفطر امر ابومسلم سليمان بن كثير ان يصلي بالناس، ونصب له منبرا، وان يخالف في ذلك بني امية، ويعمل بالسنة، فتودي الصلاة جامعة ولم يؤذن ولم يقم خلافا لهم، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة". [٥]

وبدأ في مراسلة الوالي الاموي بخراسان بمثابة نذير له وكتب اليه كتابا بدأ فيه بنفسه ثم قال الى نصر بن سيار [٦]، وهو الوالي الاموي على خراسان

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٣ -٣٥٤، وانظر ابن الاثير، الكامل، ح ٤، ص ٣٠٢، البلخي، البدء والتاريخ، ح ٦، ص ٦٣

(٢) مرو من اشهر مدن خراسان واقدمها واكثرها خيرا، واحسنها منظرا، طيبة كثيرة الخيرات وافرة الغلات، ينسب اليها عبدالله بن المبارك الامام العالم العابد.
القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٣) الطبري، تاريخ، ح٧، ص ٣٥٥.

(٤) ابن العبري، ابو الفرج بن هارون الملطي، تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان صالحان اليسوعي، ط٢، ١٩٥٨م، ص ١١٩

(٥) الطبري، تاريخ، ح ٧، ص ٣٥٧، ابن الاثير، الكامل، ج ٤، ص ٣٠٠

(٦) نصر بن سيار الكناني، امير اموي، ولاه الخليفة عبدالملك بن هشام امرة خراسان سنة ١٢٠هـ بعد موت اسد بن عبدالله القسري، وفي ايامه عمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية. نشطت الدعوة العباسية في ايامه وهو الذي كتب الى مروان حين ازداد نشاط دعاة بني العباس الابيات المشهورة.

أرى تحت الرماد وميض نار … واخشى ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى … وان الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري … أأيقاظ أمية أم نيام

توفي بساوة قريبا من همدان في ربيع الاول سنة ١٣١هـ/٧٤٨م عن خمس وثمانين سنة.

وقال في كتابه له :بسم الله الرحمن الرحيم: امابعد فان الله عير اقواما في كتابه فقال :" واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم".[١] فعظم على نصر بن سيارتقديم اسم ابى مسلم على اسمه [٢]،ويعد هذا خروج صريح على سلطان الدولة الاموية ولابد من مواجهة هذا الخروج بصورة حاسمة. وقال نصر:"هذا كتاب ماله جواب "[٣].

أرسل نصر بن سيار جيشا بقيادة مولاه يزيد لمنازلة ابى مسلم وارسل أبو مسلم جيشا بامرة مالك بن الهيثم الخزاعي [٤]، والتقى الفريقان فدعاهم مالك الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك ،وجاءه مدد اخر من ابى مسلم ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها مالك على الجيش الاموي واسر عددا منهم،وفيهم يزيد،فقتل ابو مسلم الاسرى وابقى على يزيد وخيره بالبقاء معهم اوالذهاب الى مولاه فاختار الذهاب الى مولاه.[٥]

== انظر ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ،حـ ٤ ،ص ٢٣٨ ومابعدها،ابن كثير،البداية والنهاية،حـ ١٠،ص ٣٧، الزركلي الاعلام ،حـ ٨ ،ص ٢٣.

(١) سورة فاطر،الاية (٤٢).

(٢) الطبري ،تاريخ،٣٥٨/٧، ابن الاثير ، الكامل ،٣٠١/٤، ابن كثير،البداية والنهاية،٣١/١٠ .

(٣) ابن الاثير،الكامل ،٣٠١/٤،وفي الطبري ٣٥٨/٧ وابن كثير ٣١/١٠(هذا كتاب له جواب).

(٤) مالك الهيثم الخزاعي احد نقباء بني العباس الاوائل الذين قاموا بامر الدعوة في خراسان وقد قبض عليه اسد بن عبدالله الوالي الاموي على خراسان في سنة ١١٧ هـ مع مجموعة من الدعاة فحبسهم ثم عفى عن مالك واخلى سبيله. ت ١٣٧هـ/٧٥٤م .

الطبري ،تاريخ ،١٠٧/٧ - ١٠٨ ، الزركلي ، الاعلام،حـ ٥،ص ٢٦٧.

(٥) انظر الطبري ،٣٥٨/٧-٣٥٩ ، ابن الاثير ، الكامل ص ٣٠١ ومابعدها.

استطاع ابومسلم ان يكسب العديد من الانصار والمؤيدين الذين انضموا اليه فقد ذكر الطبرى فى احداث ١٢٩هـ/٧٤٦م امر ابى مسلم حيث قال: "ولما ظهر ابو مسلم تسارع اليه الناس ، وجعل أهل مرو يأتونه لايعرض لهم نصر ولايمنعهم. .....وعظم امره عند الناس ،وقالوا :ظهر رجل من بنى هاشم، له حلم ووقار وسكينة، فانطلق فتية من اهل مرو، نساك كانوا يطلبون الفقه، فاتوا ابا مسلم فى معسكره، فسالوه عن نسبه ،فقال:خبرى خير لكم من نسبى، وسالوه عن اشياء من الفقه، فقال : امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن فى شغل، ونحن الى عونكم احوج منا الى مسألتكم ،فاعفونا.قالوا: والله مانعرف لك نسبا، ولانظنك تبقى الاقليلا حتى تقتل ...".[١]

ثم اضطربت الاوضاع فى خراسان واستفاد ابومسلم من الخلاف الدائر بين عرب خراسان[٢] وبعث بالدعاة الى الكور[٣] ليدعوا لبنى العباس.

لم يستطع نصر بن سيار السيطرة على زمام الامور فى خراسان فكتب الى مروان بن محمد[٤] اخر خلفاء بنى امية يعلمه بامر ابى مسلم ومن خرج معه

---

(١) الطبرى ، تاريخ، حـ٧ ، ص ٣٦٤

(٢) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ، حـ٧ ، ص ٣٦٥،ومابعدها.
وابن الاثير، الكامل ، حـ٤، ص ٢٩٢ ومابعدها.

(٣) الكورة اسم فارسى بحت . وهى كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة اومدينة اونهر يجمع اسمها.
ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، حـ١، ص ٣٦-٣٧ .

(٤) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية القرشى الاموى ابوعبدالملك ، اميرالمؤمنين اخرخلفاءبنى امية ،وامه ام ولدكردية يقال لها لبابة.... بويع له بالخلافة فى ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائة ،وكان يقال له مروان الجعدى ، وتلقب بالحمار، وهواخر من ملك من بنى امية، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام، وبقى بعد ان بويع للسفاح تسعة اشهر، وكان ابيض مشربا حمرة، ازرق العينين كبير اللحية ،ضخم الهامة... كان مقتله فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة.
ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠، ص ٤٧-٤٨ ، وانظر ترجمته فى الذهبى، سير اعلام النبلاء، حـ٦، ص ٧٤-٧٧ وجعله الذهبى مروان بن محمد بن عبد الملك الا ان الصحيح هوماذكره ابن كثير.

فكتب اليه مروان بن محمد: "الشاهد يرى مالايراه الغائب . فقال نصر ان صاحبكم قداخبركم ان لانصر عنده" (١)

وكتب نصر بن سيار الى نائب العراق يستمده فقال له: لاغلبة الابكثرة وليس عندي رجل "(٢).

اعلم نصر بن سيار مروان بن محمد ان ابامسلم يدعوالى ابراهيم بن محمد وكان مروان مقيما بحران(٣) فكتب الى نائبه بدمشق(٤)، يامره بالذهاب

---

(١) ابن الاثير، الكامل ، حـ٤، ص ٣٠٣، ابن قتيبة الدينورى ، الامامة والسياسة ، ص ١١٥، البلخى ، البدء والتاريخ ، حـ٦، ص ٦٤.

(٢) الطبرى ، تاريخ ، حـ٧، ص ٣٧٠

(٣) مدينة من ديار مضر قديمة عتيقة ، لايدرى متى بنيت ، يقال بناها هاران ، اخو ابراهيم عليه السلام وهوابو لوط عليه السلام ، ويقال هارون ، واليه تنسب حران ، وهى مدينة الصابئين ولهم بهاتل عليه مصلاهم ، وهم يعظمونه وينسبونه الى ابراهيم عليه السلام ، محمد بن المنعم الحميرى الروض المعطار فى خبر الاقطار ، ص ١٩١ .

(٤) دمشق :
دمشق مدينة جليلة قديمة وهى مدينة الشام فى الجاهلية والاسلام وليس لها نظير فى جميع اجناد الشام فى كثرة انهارها وعمارتها ، ونهرها الاعظم يقال له بردا . افتتحت مدينة دمشق فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة اربع عشرة افتتحها ابوعبيدة ابن الجراح من باب يقال له باب الجابية صلحا بعد حصار سنة ، ودخل خالد بن الوليد من باب لها يقال له الباب الشرقى بغير صلح فاجاز ابوعبيدة الصلح فى جميعها وكتبوا الى عمر بن الخطاب فاجاز ماعمل ابوعبيدة .

اليعقوبى ، احمد بن ابى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى ، ت سنة ٢٨٤هـ ، كتاب البلدان ، بذيل كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ، الناشر مكتبة المثنى ـ بغداد ، ص ٣٢٥ـ ٣٢٦ وانظر القزوينى ، اثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٨٩ .

الى الحميمة وهى البلدة التى يقيم فيها ابراهيم بن محمد فيقيده ويرسله اليه ، فبعث نائب دمشق الى نائب البلقاء[1] فذهب الى مسجد البلدة المذكورة فوجد ابراهيم جالسا فقيده وارسل به الى دمشق ، فبعثه نائب دمشق من فوره الى مروان فامر به فسجن"[2].

الا ان سجنه جاء متأخرا اذ ان ابامسلم قد سيطر على مناطق واسعة من خراسان واصبحت تحت تصرفه ، ودخل ابو مسلم مرو حاضرة خراسان سنة ١٣٠هـ ونزل قصر الامارة الذى كان ينزله عمال خراسان وهرب نصر بن سيار من مرو وصفت لابى مسلم [3].

ودارت بعد ذلك معارك عديدة بين الطرفين حيث وجه ابومسلم خالد بن ابراهيم احد النقباء الاثنى عشر الاوائل الى مدينة بلخ فاخذها من الوالى الاموى ، كما وجه قحطبة بن شبيب الطائى[4] الى نيسابور[5] للقاء نصر

---

(١) كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادى القرى ، قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، ومن البقاء قرية الجبارين التى اردا الله تعالى بقوله ."ان فيها قوما جبارين" ويقال ان بها مدينة الشراة ،شراة الشام، وهى ارض معروفة وبها الكهف والرقيم.
الحموى، ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى معجم البلدان ج ١،ص ٤٨٩ وانظر الحميرى ،الروض المعطار،ص ٩٦- ٩٧، القزوينى، اثار البلاد،ص ١٥٦.

(٢) محمودشاكر، الدولة العباسية ،منشورات المكتب الاسلامى بيروت، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م، ص ٦٠

(٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٣، ص ٣٧٩.

(٤) قحطبة بن شبيب الطائى احد النقباء الاثنى عشر الاوائل الذين قاموا بامر الدعوة فى خراسان ،قاد جيوش ابى مسلم وكان مظفرا فى جميع وقائعه غرق فى الفرات على اثر وقعة له مع ابن هبيرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.
انظر الطبرى ، تاريخ،٥٦٢/٦، ابن الاثير، الكامل ١٥٩/٤، الزركلى الاعلام، ١٩١/٥.

(٥) مدينة سهليه ، جبلية على جانب منها جبل شاهق ومياهها من قنى تحت الارض وبعض مياهها من الاودية. وهى بلد واسع كثير الكور افتتحها عبد الله بن عامر فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه.
ابن رستة ، ابوعلى احمدبن عمر، الاعلاق النفيسة ،طبع فى مدينة ليدن ١٨٩١م، الناشر مكتبة المثنى، بغداد، ص ١٧١، اليعقوبى ، البلدان ص ٢٧٨.

بن سيار الذى هزمت جيوشه وفر منها الى قومس[١] فالرى[٢] التى مرض فيها واقام فيهايومين وارتحل عنها وتوفى في ساوة [٣] قبل ان يصل الى همذان[٤] التى دخلها اصحابه بعدموته[٥].

وبذلك دانت خراسان كلهالابى مسلم بعدموت نصر بن سيار وسيطر العباسيون على خراسان حيث انطلق منهادعاة بنى العباس الى العراق والشام

---

(١) بالضم ثم السكون وكسر الميم... وهى كورة كبيرة واسعة تشمل على مدن وقرى ومزارع وهى ذيل جبال طبرستان واكبر مايكون فى ولاية ملكها، وقصبتها المشهورة دامغان، وهى بين الرى ونيسابور ،ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار.
ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ح٤، ص ٤١٤، الحميرى ،الروض المعطار، ص ٤٨٥.

(٢) كورة معروفة تنسب الى الجبل وليست منه بل هى اقرب الى خراسان، وهى بقرب دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان .ولمافتح نعيم بن مقرن الرى خرب مدينتها القديمة ، وهى التى يقال لها العتيقة وبنى الرى الحديثة وهى كثيرة الخيرات والفواكه ويروى انه لمامات محمد بن الحسن والكسائى قال الرشيد:دفنت الفقه والعربية بالرى ،الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٧٨، ٢٧٩، وانظر ياقوت معجم البلدان، ح٣، ص ١١٦ومابعدها ، القزوينى ، زكريا بن محمدابن محمود، اثار البلاد واخبار العباد، (دار صادر بيروت) ص ٣٧٥، البكرى معجم مااستعجم، ح٢، ص ٦٩٠ .

(٣) مدينة حسنه بين الرى وهمذان فى وسط ، وبينهاوبين كل واحد من همذان والرى ثلاثون فرسخا وبقربهامدينة يقال لهاآوه ، فساوة سنية شافعية وآوه اهلهاشيعة امامية، وبينهمانحو فرسخين وقد ضربها التتر سنة ٦١٧هـ وقتلواكل من فيها. ياقوت الحموى ، معجم البلدان،ح٣، ص ١٧٩ ، وانظر القزوينى ، اثار البلاد، ص ٣٨٦، الحميرى ، الروض المعطار،ص٢٩٧.

(٤) مدينة من عراق العجم من كورالجبل ، كبيرةجدافرسخ فى مثله ، محدثة محدثة اسلامية ولها اربعة ابواب ، وهى كثيرة المياة والبساتين والزروع الحميرى ، الروض المعطار، ص ٥٩٦ .

(٥) انظر الطبرى ، تاريخ، ح٧، ص ٣٨٨، ومابعدها.

ومصر حتى تم لهم الامر، وقدتحققت وصية محمد بن على الذى اوصى دعاته بخراسان لتكون منطلقا لهم.

واما ابراهيم بن محمد فقد بقى فى سجن مروان حتى مات سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وكان قبل موته قد نعى نفسه الى اهل بيته وامرهم بالمسير الى الكوفة مع اخيه ابى العباس عبدالله بن محمد وبالسمع له وبالطاعة واوصى الى ابى العباس وجعله الخليفة بعده فسار ابوالعباس ومن معه من اهل بيته الى الكوفة"(١)

ولما وصلوا الى الكوفة نزلوا على ابى سلمة الخلال(٢) فاسكنهم فى دار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم، وكتم امرهم وبدا ينقلهم بعد اربعين يوما من مكان الى اخر ولما بلغهم موت ابراهيم بن محمد فى صفر اراد ابو سلمة ان يحول الخلافة الى آل على إلا أن بقية النقباء والأمراء قد عرفوا مكان السفاح فدخلوا عليه ومن معه وسألوهم أيكم عبدالله بن محمد ابن الحارثية؟ فقالوا هذا فسلموا عليه بالخلافة (٣).

وسنقوم بتوضيح هذه الاحداث فى موضعها.

---

(١) ابن الاثير، الكامل، حـ٥، ص ٣٢٣، البلخى، البدء والتاريخ، حـ٦، ص ٦٦.

(٢) سبقت الترجمة اليه.

(٣) الطبرى، حـ٧، ص ٤٢٤، ابن الاثير، الكامل، حـ٤، ص ٣٢٣
ابن تغرى بردى، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، جـ١، ص ٣٢٠ وورد ذلك فى ابن قتيبة ولكن برواية مختلفة، الامامة والسياسة، حـ٢، ص ١١٨.

الباب الأول

النظام السياسي والإداري في العصر العباسي الأول

ويشتمل على خمسة فصول

الفصل الأول : الخلافة

الفصل الثاني : الوزارة

الفصل الثالث : الدواوين

الفصل الرابع : الحجابة

الفصل الخامس : النظم المالية

الفصل الاول

الخلافة فى العصر العباسى الاول

الخلافة العباسية

لابدلنا ان نبين المعنى اللغوى والاصطلاحى للخلافة قبل ان ندخل فى هذا الموضوع، كما انه لابد من تناول نشأة الخلافة، ورأى بعض فقهاء المسلمين فيها، والشروط اللازمة لاختيار الخليفة قبل ان ننتقل الى دراسة موضوع الخلافة العباسية.

معنى الخلافة لغة:

"الخلافة فى الاصل مصدر خلف، يقال خلفه فى قومه، يخلفه خلافة فهو خليفة ومنه قوله تعالى:"وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى"(١)، ثم اطلقت فى العرف العام على الزعامة العظمى، وهى الولاية على كافة الامة، والقيام بامورها والنهوض باعبائها".(٢)

وخلفته اذا جئت بعده، وخلف فلان فلانا، اذا كان خليفته، يقال خلفه فى قومه من باب كتب، ومنه قوله تعالى "اخلفنى فى قومى وخلفه جاء بعده(٣).

واطلقت الخلافة على الامارة فى اللغة وعلى السلطان الاعظم ولفظ خلاف مصدر يدل على معنى الكثرة، ويراد به كثرة اجتهاده فى ضبط امور الخلافة وتصريف اعنتها(٤).

اما الخلافة فى الاصطلاح: فهى نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا(٥).

---

(١) سورة الاعراف، الاية (١٤٢).

(٢) القلقشندى، ابو العباس احمد بن على (ت ٨٢١هـ)، مآثر الاناقة فى معالم الخلافة، جـ١، ص ٨.

(٣) الجوهرى، اسماعيل بن حماد، مختار الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار القاهرة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م – جـ٤ – ص ١٣٥٦ – ١٣٥٧ هـ.

(٤) ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين (ت ٧١١هـ) لسان العرب، ص ٨٢٦

(٥) الماورى، ابو الحسن على بن محمد بن حبيب، (ت ٤٥٠هـ) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ص ٥.

نشأة الخلافة :

بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى اجتمع نفر من الانصار فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار من يخلفه صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وادارة شئون الدولة الاسلامية. فأتى ات ابابكر وعمر فقال : ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل ان يتفاقم امرهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من امره، قد اغلق دونه الباب اهله. فقال عمر: فقلت لابى بكر انطلق بنا الى اخواننا من الانصار حتى ننظر ماهم عليه ".(١)

ولما وصلوا الى مكان السقيفة وجدوا ان الانصار قدهموا بتولية سعد بن عبادة اذ انهم كانوا يرون باحقيتهم فى هذا الامر لما لهم من سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب (٢).

وجرى حوار بين المهاجرين يمثلهم ابوبكر وعمر وابوعبيدة وبين الانصار انتهى ببيعة ابى بكر(٣).

وباجماع الصحابة رضى الله عنهم. على مبايعة الصديق رضى الله عنه. اكتسبت الخلافة الصفة الشرعية واصبح اختيار ابى بكر رضى الله عنه الصورة المثلى لاختيار الخلفاء ، وبنى على ذلك فقهاء المسلمين احكامهم فى امر الخلافة.

وقد اختلفت الطريقة التى اختيربها الخلفاء الراشدون الثلاثة عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، ولكنها فى مجملها تتمشى مع روح الشورى التى تعتبر من اهم اسس الخلافة الراشدة.

---

(١) ابن هشام، ابومحمد عبد الملك، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، ح٤، (دار الفكر بيروت - لبنان) راجعة الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) انظر الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ح٢، ص ٢٠٧

(٣) انظر تفصيل ذلك فى البخارى ، ابوعبد الله محمد بن اسماعيل البخارى، صحيح البخارى، ط دار القلم (دمشق - بيروت) الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ضبطه د. مصطفى ديب البغا، ح٣، ص ١٣٤١-١٣٤٢، وانظر الدياربكرى ، حسين بن محمد الحسن ، تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس ، ح٢، ص ١٦٨.

وقدتناول بعض فقهاء المسلمين موضوع الخلافة في كتب السياسة الشرعية وغيرها من الكتب التي الفوها، كالماوردي في كتابه الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، وابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية، وابويعلى الفرا الحنبلي في كتابه الاحكام السلطانية وابن خلدون في المقدمة وغيرهم.

فقد تناول الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية موضوع الامامة او الخلافة فذكر بأنها: "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" (١).

اما ابن تيمية فيرى بان موضوع الخلافة او الامامة من الامور الواجب على المسلمين اقامتها دياناة حيث يقول: "يجب ان يعرف ان ولاية امر الناس من اعظم واجبات الدين ، بل لاقيام للدين الا بها فان بني ادم لاتتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض ولابد لهم عند الاجتماع من الحاجة الى راس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم" (٢) فاوجب النبي صلى الله عليه وسلم تامير الواحد في الاجتماع القليل العارض تنبيها بذلك على سائر انواع الاجتماع" (٣).

ويرى ابن خلدون بان الخلافة "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا كلها ترجع عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا" (٤).

---

(١) الماوردي ، ابو الحسن علي محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية ، ص ٥

(٢) سنن ابي داود، طبعة دار الفكر، ج٣، ص ٣٦

(٣) ابن تيمية ، ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا، محمد احمد عاشور، دار الشعب . القاهرة، ص ١٨٤ – ١٨٥.

(٤) ابن خلدون، ولي الدين ابوزيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، الناشر: دار الباز للنشر والتوزيع مكه - الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ص ١٩١ .

ويرى القاضى ابويعلى الفراء الحنبلى" بوجوب نصب الامام والوجه فيه ان الصحابة لما اختلفوا فى السقيفة،فقالت الانصار منا اميرومنكم امير،ودفعهم ابوبكر وعمر رضى الله منهما،وقالوا :"ان العرب لاتدين الا لهذا الحى من قريش ، ورووا فى ذلك اخبارا فلولا ان الامامة واجبة لماساغت تلك المحاورة والمناظرة عليها، ولقال قائل : ليست بواجبة فى قريش ولافى غيرهم"[1].

وتنعقد الامامة بوجهين: الوجه الاول باختيار اهل الحل والعقد،والثانى بعهد الامام من قبل[2].

ولقد اجمع فقهاء المسلمين واستقر رايهم على وجوب تنصيب خليفة اوامام فى الدولة الاسلامية وتكون الامة اثمة اذا لم تقم بهذا الواجب لان الامة الاسلامية لايمكن ان تعيش بدون راع يرعى شئونها الداخلية والخارجيه وقد اشترط الفقهاء عددا من الشروط التى ينبغى توافرها فيمن يرشح للخلافة .

الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى الخلافة :

اولا : الاسلام والاسلام شرط اساسى فيمن يتولى الخلافة على المسلمين فقد اجمع العلماء على ان الامامة لاتنعقد لكافر ،وعلى انه لو طرا عليه الكفر انعزل[3].

ثانيا : البلوغ:

يشترط فيمن يتولى الخلافة ان يكون بالغا فلاتصح امامة الصبى لانه غير مكلف شرعا واعماله لاتحسب عليه ، كما ان الصبى محتاج لمن يوجهه ويشرف عليه .

ثالثا: الحرية فلاتنعقد رئاسة الدولة الاسلامية لعبد لان وقته كله فى خدمة سيده فاذا كانت اموره بيد غيره فكيف يمكن ان توكل اليه امور الدولة .

---

(١) ابويعلى الفرا الحنبلى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٩.
(٢) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٦.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج١٢ ص٢٢٩ .

رابعا : الذكورة اشترط الفقهاء فيمن يرشح للامامة اوالخلافة ان يكـون رجلا فلاتصح الخلافة لامراة. يقول ابوحامد الغزالى فى كتابه فضائح الباطنية "فلاتصح الامامة لامراة وان اتصفت بجميع خلال الكمال وصفات الاستقلال"(١)

امابقية الشروط فيجملها الماوردى فى سبع نقاط(٢):

احدها العدالة على شروطها الجامعة

والثانى العلم المودى الى الاجتهاد فى النوازل والاحكام .

والثالث سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة مايـدرك بها .

والرابع سلامة الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض .

والخامس الراى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

والسادس الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو.

والسابع النسب وهو ان يكون من قريش .

---

(١) ابوحامد الغزالى ت ٥٠٥هـ، فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بـدوى دار الكتب الثقافية الكويت ١٣٨٣هـ -١٩٦٤م ، ص ١٨٠

(٢) الماورى ، الاحكام السلطانية ، ص ٦٠.

الخلافة العباسية :

قامت الخلافة العباسية على اثر سقوط دولة بنى امية بمقتل مروان بن محمد اخر خلفاء الامويين عام ١٣٢هـ/٧٤٩م.

وفى هذه السنة بويع لابى العباس (عبدالله بن محمد بن على الملقب بالسفاح)[١] بالخلافة فى ليلة الثالث عشر من ربيع الاخر[٢] وكان مقيما بالكوفة عندما بويع بالخلافة، فلما حان وقت صلاة الجمعة خرج الى المسجد الجامع بالكوفة وصلى بالناس وخطب فيهم قائلا: "الحمدلله الذى اصطفى لنفسه الاسلام تكرمة، وشرفه، وعظمه، واختاره لنا، وايده بنا، وجعلنا اهله وكهفه، وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له والزمنا كلمة التقوى، وجعلنا احق بها واهلها، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرابته، وانشانا من ابائه، وانبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، جعله من انفسنا عزيزا عليه ما عنتنا، وحريصا علينا بالمؤمنين رؤوفا رحيما، ووضعنا من الاسلام واهله بالموضع الرفيع، وانزل بذلك على اهل الاسلام كتابا يتلى عليهم، فقال عز من قائل فيما انزل من محكم القرآن: "انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا"[٣]

وقال سبحانه: "قل لا اسالكم عليه اجر الا المودة فى القربى"[٤]، وقال:

---

(١) هو ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن حبر الامة عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى امير المومنين وامه ريطة ويقال لها رايطة - بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبدالدار الحارثى، كان مولد السفاح بالحميمة من ارض الشراه من البلقاء بالشام، ونشا بها حتى إخذ مروان بن محمد اخاه ابراهيم الامام فانتقلوا الى الكوفة . بويع له بالخلافة بعد مقتل اخيه فى حياة مروان وتوفى بالجدرى بالانبار فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان عمره ثلاثا، وقيل ثنتين، وقيل احدى وثلاثين سنه وقيل ثمان وعشرين سنه . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٥٨، وانظر ترجمته فى الذهبى سير اعلام النبلاء، ج٦، ص٧٧ . محمد بن شاكر الكتبى، فوات الوفيات .

(٢) ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ج٧، ص٤٣١.

(٣) سورة الاحزاب الايه ٣٣ .

(٤) سورة الشورى الاية ٢٣ .

"وانذر عشيرتك الاقربين"(١) وقال:" ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى(٢)" وقال : "واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى(٣)" فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا واوجب عليهم حقنا ومودتنا واجزل من الفي والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا، وفضلا علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبئية(٤) الضلال، ان غيرنا احق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم بم ولم ايها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وانقذهم بعد هلكتهم، واظهر بنا الحق وادحض بنا الباطل، واصلح بنا منهم ماكان فاسدا، ورفع بنا الخسيسة، وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة اهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم ودنياهم، واخوانا على سرر متقابلين في اخرتهم، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله اليه، قام بذلك الامر من بعده اصحابه، وامرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الامم، فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها واعطوها اهلها وخرجوا خماصا منها. ثم وثب بنو حرب ومروان فابتروها وتداولوها بينهم فجاروا فيها، واستاثروا بها وظلموا اهلها، فاملى الله لهم حينا حتى اسفوه، فلما اسفوه انتقم منهم بايدينا، ورد علينا حقنا وتدارك بنا

---

(١) سورة الشعراء الايه ٢١٤ .

(٢) سورة الحشر الاية ٧ .

(٣) سورة الانفال الاية ٤١.

(٤) السبئية هم اصحاب عبدالله بن سبأ الذى قال لعلى كرم الله وجهه: انت انت، يعنى انت الاله فنفاه الى المدائن، زعموا انه كان يهوديا فاسلم، وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى عليهما السلام مثل ماقال فى على رضى الله عنه وهو اول من اظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه تشعبت اصناف الغلاة (انظر الشهرستانى، الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، جا، ص ١٧٤ .

امتنا ، وولى نصرنا والقيام بامرنا ، ليمن بناعلى الذين استضعفوا في الارض ، وختم بناكما افتتح بنا واني لارجو الله ان لاياتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وماتوفيقنا اهل البيت الا بالله . يا اهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عن ذلك تحامل اهل الجور عليكم ، حتى ادركتم زماننا ، واتاكم الله بدولتنا ، فانتم اسعد الناس بنا ، واكرمهم علينا ، وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فانا السفاح المبيح ، والثائر المبير "(1).

وكان ابو العباس موعوكا فلما اشتدت عليه الوعكة جلس على المنبر وقام دونه عمه داود بن علي(2) ليكمل الخطبة فقال" الحمدلله شكرا شكرا ، الذي اهلك عدونا واصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ...... لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله ، ان نحكم فيكم بما انزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا تبا لبني حرب بن امية وبني مروان . اثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الاجلة ، والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الاثام وظلموا الانام ، وانتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم وجاروا في سيرتهم في

---

(1) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ح٧، ص ٤٢٥-٤٢٦، ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج٤ ص ٣٢٤-٣٢٥، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح١٠، ص ٤٠-٤١ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٩-٢٤٠، عبد الملك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ح٣، ص ٢٤٢

(2) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، عم السفاح ، كان خطيبا فصيحا ، من كبار القائمين بالثورة على بني امية ولد سنة ٨١ هـ وهو اول من ولي المدينة من بني العباس واول من اقام الحج للناس في ولاية العباسيين وتوفي بالمدينة سنة ١٣٣هـ ، روى الحديث عن ابيه وروى عنه الاوزاعي وشريك القاضي وابن ابي ليلى ، ابن عساكر ، تهذيب التاريخ الكبير ، ج٥، ص ٢٠٣ -٢٠٥، الزركلي ، الاعلام ، ح ٢، ص ٢٣٣ .

العباد"(١).

وبهاتين الخطبتين المطولتين افتتحت الخلافة العباسية واعلنت بصورة رسمية من على منبر مسجد الكوفة، واعلن للناس نهاية حكم الامويين وبدء حكم العباسيين.

ونلاحظ على هاتين الخطبتين تاكيد كل من ابى العباس السفاح وعمه داود بن على على شرعية الخلافة العباسية وانهم احق بها من غيرهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم قاموا بالامر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قيام وعدلوا بين الرعية، وان بنى امية وبنى مروان قد وثبوا على الخلافة وظلموا الرعية فانتقم الله منهم، ورد الحق المغتصب الى اهله واستخدم السفاح فى خطبته عبارات (انتقم منهم بايدينا، رد علينا حقنا، افتتح بنا، ختم بنا، فضلنا) ليؤكد للناس انهم اصحاب هذا الامر.

وبين السفاح فى خطبته انهم سيسيرون فى حكمهم سيرة حسنه ويعدلون بين الناس، كما اكد عمه داود بن على على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ذلك نزل ابو العباس وداود بن على امامه حتى دخل القصر، وجلس ابوجعفر المنصور(٢) ياخذ البيعة الناس فى المسجد الى وقت

(١) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ٧/٤٢٦-٤٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية جـ١٠، ص ٤١-٤٢، الاربلى، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٥٥.

(٢) عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، كنيته ابوجعفر ولد سنة خمس وتسعين وكان يقال له قبل الخلافة عبد الله الطويل ...وكان اسمر طويلا نحيفا خفيف العارضين، مفرق الوجه، رحب الجبهة، يخضب بالسواد كأن عينيه لسانان ناطقان، يخلط ابهة الملك بزى النساك، تقبله القلوب وتتبعه العيون، وكان من افراد الدهر حزما ودهاء وجبروتا حريصا على جمع المال، وكان يلقب "ابا الدوانيف" لمحاسبته الكتاب والعمال على الدوانيق، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب كامل العقل، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الامر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه توفى محرما على باب مكة فى سادس ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن مابين الحجون وبئر ميمون. محمد بن شاكر الكتبى، ==

متاخرمن الليل "(١)

وبويع ابو العباس اول خليفة للعباسيين على الرغم من ان ابا جعفر المنصور يكبره فى السن ولكنه بويع بالخلافة لان اخاه ابراهيم الامام اوصى بعد ان وقع فى قبضة مروان بن محمد بان يكون الخليفة من بعده شقيقه عبدالله بن محمد (السفاح).

وبمبايعة ابى العباس بدات صفحة جديدة فى تاريخ الدولة الاسلامية.

لم يطرأ تغيير يذكر على الخلافة فى عصر ابى العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٥٠ - ٧٥٤م) لانشغاله بالقضاء على المناوئين والخارجين على سلطان الدولة الوليدة وتشير المصادر التاريخية الموثقة الى كثرة هذه الحركات الخارجة على سلطان الدولة فيذكر الطبرى خروج ابى الورد مجزاة بن زفر بن الحارث الكلابى على سلطان العباسيين فى سنة ١٣٢هـ وقد كان احد اصحاب مروان وقواده وفرسانه، ويذكر فى نفس السنة خروج اهل الشام بقيادة حبيب بن مرة المرى وخروج اهل الجزيرة وخلعهم ابا العباس فى نفس السنة ايضا(٢).

ويستخدم الطبرى كثيرا كلمة "التبييض" للدلالة على خروج اهل منطقة ما على سلطان العباسيين لان الدولة العباسية شعارها السواد فحينما يظهر اهل منطقة البياض معنى ذلك انهم خرجوا على الدولة العباسية(٣)

وفى سنة ١٣٤هـ "خلع بسام بن ابراهيم ابا العباس وكان من فرسان اهل خراسان وخرج من عسكر ابى العباس مع جماعة اخرين"(٤).

= فوات الوفيات والذيل عليها، حـ٢، ص ٢١٦، تحقيق د. احسان عباس. وانظر الزركلى، الاعلام حـ٤، ص ١١٧.

(١) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، حـ٧، ص ٤٢٨، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، حـ٣، منشورات دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٥٧م ص٢٧٧

(٢) انظر الطبرى، تاريخ الامم والملوك، جـ٧، ص ٤٤٣، ٤٤٦

(٣) انظر نفس المصدر، ص ٤٤٣، ٤٤٦

(٤) نفس المصدر، ٤٦١، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٥٦.

وفى سنة ١٣٥هـ خرج زياد بن صالح وراء نهر بلخ(١).

وهناك حركات اخرى كثيرة مناوئة افاضت المصادر فى ذكر اسباب خروجها، ونحن نكتفى بهذه الامثلة كنماذج لهذه الحركات لندلل على عدم استقرار الدولة فى عصر ابى العباس السفاح.

وكانت هذه الحركات ترهق الدولة الوليدة وتضطرها الى بعث قواتها من حين الى اخر للقضاء عليها.

يقول الاستاذ محمدكرد على "لم يتفرغ السفاح لوضع اساس ثابت للادارة لانصرافه جملة واحدة الى توطيد دعائم الفتح وقتال الخوارج عليه وسار فى الجملة على نظام الامويين وكان اخوه ابوجعفر يتولى لاخيه كل امر عظيم، وكانت العراق على خظ وافر من ترتيب دواوينها وانتظام شئون ادارتها على العهد الاموى، بفضل من وليها من اكبر رجال الادارة والسياسة من بنى امية. وكذلك الحال فى معظم الاقطار تبدلت دولة بدولة وخليفة بخليفة، ونسج الاخر على منوال الاول اضطرارا واختيارا، وقل ان خالفه فى ترتيبه ونظمه. خطب السفاح قائما وكانت بنوامية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا احييت السنة يا ابن عم رسول الله"(٢).

حقا لقد انشغل السفاح بملاحقة الامويين والقضاء عليهم اينما كانوا، وكذلك المناوئين له.

وكان يساعده فى تنفيذ سياسته ابوجعفر المنصور وابومسلم الخراسانى وعمه عبدالله بن على وقد سفك الكثير من دماء الامويين وغيرهم فى عهده الذى لم يعرف الهدوء والاستقرار ويعتبر عصره، عصر ملاحقة الخارجين عن الدوله والخلافة الجديدة.

---

(١) الطبرى، المصدر السابق، ص٤٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص٥٧

(٢) محمدكردعلى، الاسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، حـ٢، ص١٩٦.

وعرف السفاح بالكرم والجود ويقال انه اعطى عبدالله بن حسن بن حسن[1] الفى الف درهم[2] حتى يكسب ابناء عمومته من العلويين .

ومن الاعمال الخيرة التى قام بها اثناء خلافته توسعة المسجد النبوى الشريف وقد اورد السمهودى نصا كتابيا يتعلق بهذه التوسعة نصه: "امر عبد الله امير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه وتوسعته، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وثلاثين ومائة ابتغاء رضوان الله، وان الله عنده ثواب الدنيا والاخرة"[3].

وفاة السفاح وتولى ابى جعفر المنصور الخلافة :

مات السفاح بالجدرى فى ذى الحجة من سنة ست وثلاثين ومائة/٧٥٣م[4] وكان قبل وفاته قد كتب العهد الى اخيه ابى جعفر بالخلافة ومن بعده لابن اخيه عيسى بن موسى[5].

وكان ابو جعفر المنصور عند وفاة السفاح بمكة على امارة الحج واخذ له البيعة بالانبار[6] ابن اخيه عيسى

(١) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب الهاشمى القرشى، ابو محمد : تابعى من اهل المدينة ، كان ذا هيبة ولسان وشرف . وكانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز . ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين ، على السفاح ، وهو بالانبار، فاعطاه الف الف درهم. وعاد الى المدينة . ثم حبسه المنصور عدة سنوات من اجل ابنية محمد وابراهيم . ونقله الى الكوفة فمات سجينا فيها . الزركلى ، الاعلام، حـ ٤، ص ٧٨ .

(٢) الذهبى ، سير اعلام النبلاء ، حـ ٦ ، ص ٨٠.

(٣) السمهودى ، وفاء الوفا فى اخبار دار المصطفى، حـ٢، ص ٥٣٦

(٤) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، حـ٧ ، ص ٤٧٠

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

(٦) الانبار بفتح الهمزة بينها وبين بغداد ثلاثة عشرة فرسخا وهى مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وفيها قلعة وفواكه كثيرة وهى على رأس نهر عيسى، وكان فيما سلف قبل الاسلام لاتصل مياه الفرات الى دجلة وانما كان مغيضها فى البطاح دون ان يتصل منها شىء بدجلة فلما جاء الاسلام احتفر نهر عيسى حتى وصل به الى بغداد، وفيها بويع بالخلافة لابى جعفر المنصور الحميرى ، الروض المعطار ص ٣٦ .

بن موسى"(١) .

ويقال ان الاخبار وصلته بعد صدوره من موسم الحج فى موقع يقال له زكية فلما جاءه الكتاب دعا الناس فبايعوه وسال عن الموضع الذى هم فيه فقيل له زكية ، فقال امر يزكى لنا ان شاء الله تعالى . وفى رواية اخرى صفية فتفاءل باسمه وقال صفت لنا ان شاء الله تعالى(٢).

ويرى ابن كثير بان الاخبار وصلته وهو بذات عرق(٣) راجعا من الحج(٤).

وبعد رجوع ابى جعفر المنصور من الحج بعد موت اخيه السفاح دخل الكوفة فخطب باهلها يوم الجمعة وصلى بهم، ثم ارتحل الى الانبار وقد اخذت له البيعة من اهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام"(٥).

---

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ولى العهد ابو موسى الهاشمى . عاش خمسا وستين سنة ،وكان فارس بنى العباس وسيفهم المسلول . جعله السفاح ولى عهد المؤمنين بعد المنصور،وهو الذى انتدب لحرب ابنى عبد الله بن حسن فظفر بهما، وقتلها،وتوطدت الدولة العباسية به وقد تحيل المنصور بكل ممكن حتى اخره وقدم فى العهد عليه المهدى ..... توفى سنة ثمان وستين ومائة بالكوفة ، وله اموال واولاد وحشمة وشان .
الذهبى ،سير اعلام النبلاء ،حـ٧، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ، حـ٧ ، ص ٤٣١، ابن الاثير،الكامل فى التاريخ، حـ٤، ص ٣٤٧، اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، حـ٢، ص ٣٦٤.

(٣) الطبرى ، المصدر السابق ، حـ٧ ، ص ٤٣١، ابن الاثير، المصدر السابق حـ٤، ص ٣٤٧.

(٤) ميقات اهل العراق ، وهو منزل كثير الاهل والشجر وماؤه من البرك ..... وتبلغ المسافة من ذات عرق الى بستان ابن عامر اثنان وعشرون ميلا ومن بستان ابن عامر الى مكة، اربعة وعشرون ميلا. محمد بن عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار، ص ٤٢٥٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٦١

ولم تؤخذ له البيعة بالشام لان عبدالله بن على(١) عم المنصور كان قائدا للجيوش العباسية بالشام وادعى ان الخلافة له ولذلك لم يبايع المنصور وسنتعرض لهذا الامر عند حديثنا عن خروج عبدالله بن على .

وقد ضبط عيسى بن موسى بيوت الاموال والخزائن والدواوين لحين قدوم ابى جعفر عليه بالانبار فلما قدم سلم اليه الامر(٢). وتمت البيعة للمنصور فى عام سبع وثلاثين ومائة على ارجح الاقوال(٣).

وبعد ان تولى المنصور الخلافة حاول بكل ما استطاع من قوة وجهد ان يزيل الاخطار التى كانت لاتزال تحيط بدولتهم الناشئة وان يثبت اركانها.

المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية :١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣ - ٧٧٤م

اتجه المنصور بعد توليه امور الدولة الى مواجهة الاخطار التى تمثلت فى جبهات ثلاث :

اولها :خروج عمه عبدالله بن على فى الشام.

ثانيها: نفوذ ابى مسلم الخراسانى .

ثالثها:خروج العلويين .

وسنتعرض لهذه الاخطار بشئ من التفصيل لانها من اكبر الاحداث التى جرت ابان تولى ابى جعفر المنصور للخلافة.

اولا : خروج عبدالله بن على : لقد واجه المنصور منذ توليه الخلافة تصدعا فى البيت العباسى وذلك لطمع البعض من افراد الاسرة العباسية فى تولى هذا المنصب والذين احسوا بان الخلافة ستكون فى فرع معين من الاسرة العباسية ويمثل هذا الاتجاه عم المنصور عبدالله بن على الذى كان قائدا للجيوش فى الشام .

---

(١) هو عبدالله بن على بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ،عم المنصور والسفاح احد دهاة الارض ، وكان من الشجعان الابطال وهو الذى انتدب لحرب مروان الحمار، ولج فى طلبه وطوى الممالك حتى بلغ دمشق ونازلها وحاصرها وفتحها بالسيف وعمل على الثأر واسرف فى قتل بنى امية. محمد بن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، ح٢، ص ١٩٢.

(٢) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ،ح٧ ، ص ٤٧٤، ابن كثير، البداية والنهاية ، ح١٠، ص ٦٢.

(٣) الطبرى،المصدر السابق ، ٤٧٤/٧، ابن العبرى،مختصر الدول،ص ١٢٠، الذهبى،دول الاسلام، ص ٩٣.

لاشك ان المنصور كان يحس بخطر عمه عبدالله بن على عليه منذ اول يوم جاءته فيه الاخبار بموت اخيه السفاح، ومبايعته بالخلافة وقد اباح لابى مسلم الخراسانى بماكان يجيش فى صدره من الجزع منه فقد روى الطبرى "........ ونظر ابومسلم الى ابى جعفر وقد جزع جزعا شديدا فقال :ماهذا الجزع وقد اتتك الخلافة ؟ فقال اتخوف شرعبدالله بن على وشيعة على ، فقال لاتخفه، فانا اكفيك امره ان شاء الله تعالى ، انما عامة جنده ومن معه اهل خراسان وهم لايعصوننى فسرى عن ابى جعفر ماكان فيه "(1).

وقد صدق احساس ابى جعفر فما ان علم عبدالله بن على بوفاة ابى العباس السفاح - وكان على راس جيش كبير فى الشام متوجها الى الروم - حتى امر مناديا فنادى الصلاة جامعة فاجتمع اليه القواد والجند واعلمهم بوفاة ابى العباس السفاح، ودعاالناس الى نفسه ،واخبرهم ان اباالعباس حين اراد ان يوجه الجنود الى مروان بن محمد، دعابنى ابيه ، فارادهم على المسير الى مروان بن محمد، وقال :من انتدب منكم فسار اليه فهو ولى عهدى ، فلم ينتدب له غيرى ، فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت"(٢)

وكان عيسى بن موسى قد ارسل له يزيد بن زياد وهو حاجب ابى العباس لاخذ البيعة لابى جعفر ولكن عبدالله بن على امتنع عن البيعة للمنصور.

وكان خروج عبدالله بن على اول خطر يجابه المنصور حين توليه الخلافة فى ايامه الاولى .

وقد شهدت مجموعة من قواد صالح بن على بصحة ماذكره (٤). وبايعه

---

(١) الطبرى ، تاريخ، ٤٧٢/٧، ابن الاثير، الكامل ، حـ٤، ص٣٤٧.

(٢) الطبرى ، تاريخ،٤٧٤/٧، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ،حـ٤،ص ٣٤٨ المسعودى ، مروج الذهب ، حـ٣، ص ٣٥٥، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ١، ص ٣٣٣ .

(٢) الطبرى ، تاريخ،٤٧٤/٧، امين العماد الحنبلى ، شذرات الذهب،حـ١،ص ٢٠٥

(٣) من هؤلاء القواد ابوغانم الطائى ، وخفاف المروروذى ، من اهل خراسان وحميد بن قحطبة وخفاف الجرجانى ، وحياش بن حبيب ، ومخارق بن غفار.

من كان معه من الجند من اهل خراسان والشام والجزيرة [١].

ولما علم المنصور بذلك ندب أبامسلم بالمسير اليه وقال له :"انما هو انا او انت "[٢] ، فسار أبومسلم إلى أن التقى بجيش عبدالله بن على في نصيبين[٣]. وكتب الى عبدالله بن على"انى لم اومر بقتالك ،وانما بعثني امير المؤمنين واليا على الشام فانا اريدها"[٤].

وقد تحايل ابومسلم على عبدالله بن على حتى ازاحه عن موضعه الذى كان فيه ، وكان موضعا جيدا ودارت معارك عنيفة بين الطرفين استمرت قرابة الخمسة اشهر[٥].

فلما كان يوم الثلاثاء - اوالاربعاء - لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين ومائة - اوسبع وثلاثين ومائة - اقتتلوا اقتتالا شديدا، وانتهت هذه المعركة بهزيمة عبدالله بن على الذى فر الى البصرة حيث اواه سليمان بن على* "[٦]

وقد وصف الذهبى هذه المعركة بقوله :

"وكانت وقعة هائلة فانكسر الشاميون وهرب عبدالله الى البصرة وناثبها اخوه- سليمان بن على - فاختفى عنده ، وحاز ابومسلم خزائنه وكانت

---

(١) الطبرى ،مصدر سابق ، حـ٧ ، ص ٤٧٥

(٢) الطبرى ، ٤٧٥/٧، ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،حـ١، ص ٣٣٣

(٣) نصيبين بالفتح ثم الكسر .... وهى مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفى قراها على مايذكر اهلها اربعون الف بستان ... ونصيبين مدينة وبئة لكثرة بساتينها ومياهها ،وقد فتحها عياض بن غنم.
ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى ، معجم البلدان، حـ٥، ص ٢٨٨-٢٨٩

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠، ص ٦٢

(٥) المصدرنفسه ، ص ٦٢

* هوسليمان بن على بن عبدالله بن عباس الهاشمى، احد اعمام السفاح والمنصور حدث عن ابيه وعكرمة ، وولى الموسم فى خلافة السفاح وولى البصرة له وللمنصور ولد سنة اثنتين وثمانين،وتوفى سنة اثنتين واربعين ومائة وكان سليماكريماجوادا محمدبن شاكرالكتبى، فوات الوفيات،حـ٢،ص ٧٠، الذهبى ،سيراعلام النبلاء، ١٦٢/٦.

(٦) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٧،ص٤٧٩، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ،حـ١، ص ٣٣٣ .

عظيمة، لانه استولى على ذخائر بنى امية"(١)

وبذلك تمكن المنصور من القضاء على نفوذ عمه عبدالله بن على ولم يكتف بذلك اذ انه تخوف من نفوذ عمه صالح بن على(٢) الذى لاحق مروان بن محمد اخر خلفاء بنى امية فى مصر وقتله فيها، فوضعه المنصور تحت مراقبته، وعزله عن الولايات التى ولاها له السفاح وهى مصر وافريقيا وفلسطين والاردن واتى به الى الجزيرة ليكون قريبا منه"(٣).

اما الخطر الثانى الذى واجه حكم المنصور فكان يتمثل فى أبى مسلم الخراسانى.

كان أبو مسلم الخراسانى هو احد دعاة العباسيين الذين أبلوا بلاء حسنا فى سبيلهم حتى انتصرت الدعوة العباسية وقامت الدولة كما رأينا فى التمهيد لهذا البحث.

وكانت تصرفات أبى مسلم لاترضى المنصور ولم تطمئن نفسه اليه منذ ايام خلافة ابى العباس السفاح وقد اطلع اخاه على ما فى نفسه وطلب منه قتله والتخلص منه وقال له :"لست خليفة ولا امرك بشئ ان تركت ابامسلم ولم تقتله، قال وكيف ؟ قال : والله مايصنع الا ما اراد قال ابو العباس : اسكت فاكتمها"(٤).

---

(١) الذهبى ،تاريخ دول الاسلام، تحقيق محمد فهيم شلتوت ، محمد مصطفى السقا ،حـ١، ص ٩٣

(٢) صالح بن على بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الامير الشريفه ابو عبدالملك الهاشمى العباسى احد الابطال المذكورين ، هو الذى افتتح مصر وانتدب لحرب مروان ابن محمد فجهز جيشا فى طلبه فادركه ببوصير قرية من اعمال مصر. ولى نيابة دمشق . ت سنة ١٥١هـ او ١٥٢هـ وله نحوا من ستين سنة.
الذهبى ،سير اعلام النبلاء ٧/١٧-١٨، الزركلى ،الاعلام، حـ٣، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) انظر د. محمد الشامى ، الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الاول ، ص ٦٣.

(٤) الطبرى، مصدر سابق ، حـ٧ ، ص ٤٥٠

ولقد استطاع المنصور ان يقنع السفاح بقتل ابى مسلم ورسم معه خطة لذلك الا ان السفاح تراجع عن ذلك وكف المنصور عن قتله.

قال أبوجعفر لابى العباس: "يا أمير المؤمنين اطعنى واقتل ابامسلم، فوالله ان فى راسه لغدرة ، فقال :يا اخى ، قدعرفت بلاءه ، وماكان منه ، فقال ابو جعفر:يا امير المؤمنين انماكان بدولتنا ،والله لوبعثت سنورا لقام مقامه. وبلغ مابلغ فى هذه الدولة .فقال له :أبوالعباس كيف تقتله؟ قال اذا دخل عليك وحادثته واقبل عليك دخلت فتغفلته فضربته من خلفه ضربة اتيت بهاعلى نفسه ، فقال ابو العباس :فكيف باصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم؟ فقال يئول ذلك كله الى ماتريد،ولو علموا انه قتل تفرقوا وذلوا، قال : عزمت عليك الا كففت عن هذا. قال : أخاف والله ان لم تتغده اليوم يتعشاك غدا، قال : فدونكه انت اعلم(1)"الا ان السفاح بعث الى ابى جعفر وقال له : الامر الذى عزمت عليه لاتنفذه(٢).

يتضح لنا من هذا الحوار بين ابى العباس وابى جعفر مدى الخوف الذى كان يعترى اباجعفر من هذا الرجل ، وكان يريد التخلص منه باى شكل كان، الا ان ابا العباس كان ينظر الى شئ اخر، وهو اصحاب ابى مسلم وكان يخاف ثورتهم عليه ان قتل ابامسلم والدولة لاتزال فتية تحيط بها الاخطار من كل جانب فلذلك اوقف امر قتله.

وبعد تولى المنصور الخلافة استحكم العداء بينه وبين ابى مسلم اضافة الى ماكان بينهما من خلاف فى السابق .

ويذكر المؤرخون جملة من الامور ادت الى قتل ابى مسلم فيروى الطبرى فى احداث سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م انه لماصدر الناس عن الموسم (موسم الحج).نفر ابومسلم قبل ابى جعفر فتقدمه ، فأتاه كتاب بموت ابى العباس واستخلاف

---

(١) الطبرى ، تاريخ،حـ٧، ص ٤٦٨-٤٦٩، ابن الاثير،الكامل ،حـ٤،ص ٣٤٦،عبد الملك العصامى المكى ، سمط النجوم العوالى ، حـ٣، ص ٢٤٣.

(٢) الطبرى ، حـ٧، ص ٤٦٩، ابن الاثير الكامل ، حـ٤، ص ٣٤٦ .

ابى جعفر ، فكتب ابومسلم الى ابى جعفر يعزيه باميير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع فغضب ابوجعفر، فقال لابىايوب ، اكتب اليه كتابا غليظا فلما اتاه كتاب ابى جعفركتب اليه يهنئه بالخلافة "(١)

ان هذا الموقف الذى وقفه ابو مسلم مع المنصور موقف يثير الشك حقا، ماكان لابى مسلم ان يقفه مع الخليفة المنتخب ولانجد له مبررا سوى الغرور بالنفس وانه ربما كان يطمع فى شئ ما فى الدولة العباسية بعدان حقق انتصارات متوالية، وانه كماقال للمنصور من قبل ان جند خراسان معه وهم لا يعصونه ابدا.

وكان يستخف كثيرا بالمنصور فى خلافة السفاح فحينما ولى السفاح الخلافة،وجه اخاه المنصور الى خراسان لاخذ البيعة على ابى مسلم"فصارالى مرو فى ثلاثين فارسا،فلم يحتفل به ابومسلم،ولم يلتقه واستخف به فانصرف واجدا عليه. وشكاه الى ابى العباس، واعلمه مانال منه..... ثم قدم ابومسلم على ابى العباس، فاكرمه ، واعظمه،ولميذكر لهمن امر ابى جعفر شيئا.ودخل اليه يومامن الايام ،وابوجعفر جالس معه، فسلم عليه وهوقائم،ثمخرج ولم يسلم على ابى جعفر، فقال له ابوالعباس: مولاك مولاك لم لاتسلمعليه؟ يعنى اباجعفر. فقال: قد رايته ولكنه لايقضى فى مجلس الخليفة حق احدغيره"(٢).

لقد اساء ابومسلم التصرف مع المنصور فى مواقف كثيرة واحتمل المنصور هذه التصرفات المشينة معه احتراما لاخيه الخليفة السفاح الا انه كتمهافى نفسه. وازداد خطر ابى مسلم على المنصور بعدانتصاره على عبد الله بن على وقد رأى فيه المنصور منافسا خطيرا لابد من التخلص منه.

أرسل المنصور بعد هزيمة عبدالله بن على احد قواده الى ابى مسلم ويدعى ابوالخصيب ليحص عليه ما اصاب من الاموال فغضب ابومسلم وهم بقتل

---

(١) الطبرى ، تاريخ،ح٧، ص ٤٨٠، وانظرابن كثير، البداية والنهاية، ح١٠، ص ٦٣ .

(٢) احمد بن واضح اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ح١، ص ٣٦٧.

الرسول ولكنه تركه وقال" امين على الدماء وخائن على الاموال"(١) وشتم القائد ومن معه" وتناول المنصور بلسانه حتى ذكر امه ،وقال : ويلى على ابن سلامة . فانصرف القوم الى ابى جعفر، فاخبروه الخبر"(٢)

ولعل المنصور قداراد باقدامه على هذه الخطوة كاول مواجهة صريحة لابى مسلم وتنبيهه من الغفلة التى هوفيها، وتحجيمه وايقافه عند حده حتى لايتمادى كثيرا فى طغيانه وجبروته .

كما أقدم المنصور على خطوة أخرى هى استدراج أبى مسلم بعيدا عن مناطق نفوذه فى خراسان فكتب اليه كتابا يوليه فيه على مصر والشام فرفض ابومسلم وقال :"هو يولينى الشام ومصر ، وخراسان لى"(٣).

وتطور الخلاف كثيرا بين المنصور وابى مسلم فكتب اليه المنصور:" امابعد فانه يرين على القلوب ويطبع عليها المعاصى، فع ايها الطائش وافق ايها السكران ، وانتبه ايها النائم، فانك مغرور باضغاث احلام كاذبة، فى برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوالف القرون "هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا"(٤) وان الله لايعجزه من هرب ، ولايفوته من طلب ،فلاتغتر بمن معك من شيعتى واهل دعوتى ،فكأنهم قد صالوا عليك بعدأن صالوا معك ، ان أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدا لك مالم تكن تحتسب ، مهلامهلا احذرالبغى أبامسلم فانه من بغى واعتدى ، تخلى الله عنه، ونصرعليه من يصرعه لليدين وللفم، واحذر ان تكون سنة فى الذين خلوامن قبلك ، ومثلة لمن ياتى بعدك ، فقد قامت الحجة واعذرت اليك والى اهل طاعتى فيك. قال تعالى "واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنافانسلخ منها فأتبعه الشيطان

---

(١) الطبرى، حـ٧،ص ٤٨٣، ابن طباطبا ،محمدبن على بن طباطبا العلوى(ت٧٠٩هـ) الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر بيروت- لبنان، ص ١٦٨.

(٢) اليعقوبى، تاريخ،حـ١، ص ٣٦٦، ابن قتيبه الدينورى ،ابو محمدعبدالله ابن مسلم(ت ٢٧٦هـ) عيون الاخبار، الهيئة المصرية العامةللكتاب - ١٩٧٣م، المجلدالاول ، ص ٢٦، العبارة: افعلها ابن سلامة".

(٣) الطبرى،حـ٧،ص ٤٨٢، ابن كثير، البداية والنهاية،حـ١٠، ص ٦٤، ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، حـ٣، ص ٣٨٨. (٤)سورة مريم، الاية (٩٨).

فكان من الغاوين"(١)(٢).

ويبدو لنا من خطاب المنصور هذا ان الخلاف قد بلغ ذروته بين الاثنين. فكتب اليه المنصور يذكره لعله يرجع عن غيه ولكن ابا مسلم رد عليه بقوله: "أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانبا، وعن الحق حائدا، اذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها، وكتبت إليّ فيه آيات منزلة من الله للكافرين، ومايستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون، وانني والله ما انسلخت من آيات الله، ولكنني ياعبدالله بن محمد كنت رجلا متأولا فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة، فائتممت باخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما، فكنت لهما شيعة متدينا أحسبني هاديا مهتديا، وأخطأت فى التأويل وقديما اخطأ المتأولون، وقد قال الله تعالى: "واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم"(٣) وان اخاك السفاح ظهر فى صورة مهدى وكان ضالا فامرنى أن أجرد السيف واقتل بالظنة واقدم بالشبهة وارفع الرحمة ولااقيل العثرة فوترت أهل الدنيا فى طاعتكم وتوطئة سطانكم، حتى عرفكم الله من كان جهلكم. ثم ان الله سبحانه تداركنى منه بالندم واستنقذنى بالتوبة، فان يعف عنى ويصفح فانه كان للاوابين غفورا، وان يعاقبنى فبذنوبى، وماربك بظلام للعبيد"(٤).

وفى هذا الرد وصل أبو مسلم درجة من الغرور والكبرياء جعله يصف الخليفة بعدم العلم بقوله ومايستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وخاطبه باسمه مجردا حيث قال له: ياعبد الله بن محمد. وذكر له فضله فى اقامة الدولة ووصف السفاح بالضلال .

---

(١) الاعراف، الاية (١٧٥)
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٦٨ .
(٣) الانعام، الايه (٥٤).
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٦٨-٦٩، الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، حـ١٠، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

انه موقف يتطلب من الخليفة المنصور الحسم الذى عرف به فجاءرده التالى اليه عنيفا زاجراً لأبى مسلم حيث قال له :"أمابعدايها المجرم العاص فان اخى كان امام هدى يدعو الى الله على بينة من ربه فأوضح لك السبيل وحملك على المنهج السديد، فلو بأخى اقتديت لماكنت عن الحق حائدا، وعن الشيطان واوامره صادرا، ولكنه لم يسنح لك امران الاكنت لارشدهماتاركا، ولاغواهما راكبا، تقتل قتل الفراعنة ، وتبطش بطش الجبابرة، وتحكم بالجور حكم المفسدين ، وتبذر المال وتضعه فى غير مواضعه فعل المسرفين".(١)

وازداد خوف المنصور من ابى مسلم عندما لجأ الاخير الى تقديم اسمه على اسم الخليفة المنصور نفسه فى الرسائل التى كان يبعث بها اليه".(٢)

وكان خوف المنصور مبنياعلى ماكان قد ادعاه ابومسلم من قبل من انه من ولد سليط بن عبدالله بن عباس(٣)كمايرى الدكتور عبدالعزيزالدورى(٤) . ومعنى هذا الادعاء انه على قدم المساواة مع العباسيين وليس اقل منهم شأنا طالماأنه ينتسب الى عبدالله بن عباس وله الحق فى الخلافة معهم.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٦٩ .

(٢) د. احمد الشامى ، الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الاول ، ص ٦٥.

(٣) يروى ان عبدالله بن عباس اشترى بالمدينة امة صفراء بربرية ،فولدت فى منزلة غلاما فسماه سليطا. ونشا فى منزله فخرج جلدا ظريفا. ثم شخص مع على بن عبدالله بن عباس الى الشام فلم يزل فى خدمته حتى مات عبدالملك ، وولى الوليد ابنه، فاظهر التحامل على على بن عبدالله، وعيبه بحضره الناس، وسعى قوم من حسدة على واهل البغى فافسدوا سليطا وزينوا له ادعاء ولادة عبدالله بن عباس ، وقالوا له انت شبيهه فى جمالك وهيئتك . فادعى سليط انه ابن عبدالله بن عباس وخاصم عليا الى الوليد. فامر الوليد برفعهما الى قاضى دمشق ، فاحضر سليط قوما شهدوا له على نسبه، وانهى ذلك الى الوليد فالحقه بعبدالله ابن عباس فخاصم فى الميراث وطالت منازعته اياه حتى قاربه على وصيره فى عياله فكان يقوم لعلى بحوائجه واموره.
انظر الشابشتى، ابوالحسن على محمدبن محمد(ت ٣٨٨هـ)، الديارات تحقيق كوركيس عواد، ص ٢١٤-٢١٥.

(٤) د. عبدالعزيز الدورى ، العصرالعباسى الاول ، ص ٧٥ .

ويرى الدكتور محمدمصطفى هدارة ان السبب الوحيد لاقدام المنصورعلى قتل ابى مسلم هوان انتصاراته المتلاحقه ادخلت فى روع الموالى والاعاجم جميعا انه ليس بشرا عاديا، ولكن به جزءا الهيا جعل له هذا التأثير القوى وحقق له الغلبة على خصوم كثيرين معاندين(١).

وارى ان هذه الاسباب التى ذكرناها مجتمعة كافية لاقدام المنصور على قتل ابى مسلم.

ومهمايكن من شئ فقد استطاع المنصور تدبير حيلة استدرج بها ابامسلم واتى به الى مركز الخلافة وقضى عليه وتخلص من خصمه العنيد "وكان ذلك يوم الاربعاء لاربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة"(٢).

وبعد مثول ابى مسلم بين يدى المنصور دار بينهما حوار قبل مقتله ونستنبط من هذا الحوار الاسباب الحقيقية التى ادت الى مقتل ابى مسلم.
قال ابو جعفر لابى مسلم وهو يعاتبه بعد قدومه عليه: "كتبت الى السفاح تنهاه عن الموات كانك تعلمه، فقال ابو مسلم: ظننت انه لايحل، ثم اقتديت بكتاب السفاح وعلمت انكم معدن العلم، قال فتقدمك عنى بطريق مكة؟ قال كرهت مزاحمتك على الماء، قال فامتناعك عن الرجوع الى حين بلغك موت السفاح وامتناعك من الاقامة حتى الحقك .... فقال ابومسلم طلبت الرفق بالناس والمبادرة الى الكوفة ، قال فجارية عمى عبدالله اردت ان تتخذها لنفسك؟ قال: لاوانما وكلت بها من يحفظها، قال: فمراغمتك وسيرك الى خراسان قال: خفت منك فقلت اتى خراسان واكتب بعذرى فاذهب مافى نفسك منى. قال: فالمال الذى جمعته بحران؟ قال انفقته على الجند تقوية لكم، قال: الست الكاتب الى تبدأ بنفسك وتخطب امنه بنت على بن عبدالله بن عباس، وتزعم انك من ذرية سليط بن عبدالله بن عباس؟ لقد ارتقيت لا ام لك مرتقى صعبا ثم قال له: وما الذى دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع اثره فى دعوتنا

(١) د. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، ص ٤٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ، تحقيق د. اكرم ضياء العمرى سهيل زكار ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م وزارة الثقافة - دمشق، ص ٤١٦.

وهو احد نقبائنا من قبل ان ندخلك فى هذا الامر ؟ قال : اراد الخلافة فقتلته . ثم قال أبومسلم: كيف يقال لى هذا بعد بلائى وماكان منى ؟قال :يا ابن الخبيثة لوكانت أمة مكانك لاغنت ، إنما كان ذلك بدولتنا وريحنا.فأكب أبو مسلم يقبل يدى المنصور ويعتذر، فازداد المنصور غضبا. فقال ابومسلم دع هذا فقد اصبحت لااخاف الا الله وحده. فشتمه المنصور وصفق بيديه فخرج الحرس وضربه عثمان بن نهيك فقطع علابيه [(١)]، فقال ابومسلم يا أمير المؤمنين استبقنى لعدوك ، فقال لا ابقانى الله اذن واى عدو اعدى منك؟ واخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه "[(٢)].

واسدل الستار على نهاية حياة هذا الرجل ووضع المنصور حدا لطغيانه وتسلطه واسرافه فى سفك الدماء التى قيل انها بلغت ستمائة الف نفس[(٣)].

واستراح ابوجعفر المنصور بعد مقتله واعتبر احد رجاله ان خلافته الحقيقية تبدأ من هذا اليوم حيث قال للمنصور" عد من هذا اليوم لخلافتك"[(٤)]، وتفرغ المنصور للمهام الاخرى التى كانت فى انتظاره.

ويذكر ابن اعثم الكوفى ان اصحاب ابى مسلم "كانوا بالباب فضجوا واستعظموا قتله فخرج اليهم ابوخصيب الحاجب فقال اسكتوا فان اميرالمؤمنين يقرأ عليكم السلام وامر لكم بجائزة سنية وضمكم الى من اجبتم من اهل خراسان ، وبعد فان ابامسلم كان عبدا من بعض عبيد اميرالمؤمنين فتعدى طوره وجاوز حده ، فى صنائع اميرالمؤمنين مثله كثير. فسكت الناس ووضعت

---

(١) العلباء :صفحة العنق .

(٢) عبدالملك العصامى المكى، سمط النجوم العوالى ، حـ٣، ص ٢٥٠-٢٥١، ابن اعثم الكوفى، الفتوح، حـ٨ ، ص ٢٢٧، الاربلى، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٦٦-٦٧، المسعودى ، مروج الذهب ، حـ٣، ص ٣٥٦-٣٥٧وقد وردت مختصرة فى المسعودى ووردت كلمة آسية بنت على بدلا من امنه بنت على كماوردت فى الطبرى ايضا حـ٧، ص ٤٩٠-٤٩١ مع اختلاف فى الالفاظ . ابن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، حـ٣، ص ٣٩٠،٣٩١، ٣٩٢
احمد بن واضح اليعقوبى ، تاريخ،١/٣٦٧

(٣) الطبرى ، حـ٧، ص٤٩١، عبدالملك العصامى المكى ، سمط النجوم العوالى ، حـ٣، ص ٢٥٢

(٤) الطبرى ، حـ٣، ص ٤٩٢، ابن خلدون ، العبر، حـ٣، ص ٣٩٢، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ،حـ١، ص ٣٣٥ وجاءت العبارة فى ابن خلدون "عد خلافتك من هذا اليوم ، وابن تغرى بردى"هذا اول خلافتك".

لهم الارزاق ، ثم بعث براس ابى مسلم الى خراسان وكتب المنصور الى ابى داود وهو يومئذ خليفة ابى مسلم على خراسان ونسوا ابا مسلم كانه لم يكن"(١). ورجع اصحابه وهم يقولون بعناموولانا بالدراهم ".(٢)

ردود الفعل الفارسية لمقتل ابى مسلم :-

كان من نتائج قتل ابى مسلم ظهور حركات

---

(١) دارت اسئلة كثيرة وشبهات حول شخصية ابى مسلم الخراسانى ومدى صحة معتقده واسلامه فيرى فان فلوتن صاحب كتاب السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ان اصحاب ابى مسلم ذهبوا الى انه احد اعقاب زرادشت الذى ينتظر المجوس ظهوره ويشكك بعض الباحثين المسلمين فى صحة اسلام ابى مسلم وانه تستر بالاسلام فقط لكى يصل الى اهدافه . واذا جمعنا بعض الروايات حول هذه الشخصية لاستبان لنا حقيقة ماذهب اليه من قالوا بتستر ابى مسلم بالاسلام فيروى ابن النديم فى الفهرست:" ان من الاعتقادات التى حدثت بخراسان المسلمية، اصحاب ابى مسلم، يعتقدون امامته، ويقولون انه حى يرزق ، وكان المنصور لماقتل ابامسلم هرب دعاته المتحققون به الى نواحى البلاد ، فذهب رجل يعرف باسحاق الترك الى بلاد ماوراء النهر، واقام بها داعية لابى مسلم، وادعى ان ابا مسلم محبوس فى جبال الرى ، وعندهم انه يخرج فى وقت يعرفونه :كما يزعم الكيسانية فى محمد ابن الحنفيه _ ابن النديم ،الفهرست ، ص ٤٨٣

ويذكر الطبرى وصاحب العيون والحدائق فى احداث سنة ١٤١هـ خروج الراونديه وهم قوم من اهل خراسان كانوا على راى ابى مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح ادم فى عثمان بن نهيك. الطبرى ، حـ٧ ، ص ٥٠٥، مجهول ،العيون والحدائق ، ص ٢٢٧، مكتبة مركز البحث العلمى .

ومعنى هذا ان ابامسلم كان يقول بتناسخ الارواح.

وعلى اية حال فان شخصية ابى مسلم الخراسانى من الشخصيات التى قامت بدور فعال فى قيام الدولة العباسية وكان ذا اطماع كثيرة وقد تنبه المنصور الى هذه الشخصية منذ وقت مبكر فتخلص منها قبل ان يستفحل امرها.

(٢) الطبرى ، تاريخ، حـ ٧ ، ص ٤٩٣

الزندقة (1) التى تزعمها الفرس اذ خرج سنباذ سنة ١٣٧هـ وهومجوس من اهل قرية من قرى نيسابور وادعى انه خرج عضبا لقتل ابى مسلم وطلبا لثأره وقد تبعه جمع كبير من اهل خراسان فارسل له المنصور جهور بن مرار العجلى فى عشرة الاف مقاتل واستطاع ان يلحق به الهزيمة وقتل ستين الفا من اصحابه، وسبى دراريهم ونساءهم وقتل سنباذ وكان بين مخرجه الى مقتله سبعين ليلة (٢).

وظهرت حركة اخرى فى سجستان(٣) بقيادة استاذسيس (٤) وطالب بالثأر لقتل ابى مسلم واستولى على كثير من القرى ولكن اباجعفر ارسل لهم جيشا بقيادة ابنه المهدى الذى تمكن من القضاء على هذه الحركة (٥).

وهناك حركات اخرى مثل حركة اسحاق الترك الذى دخل الى بلاد ما وراء النهر يدعوهم برسالة ابى مسلم ويرى البعض ان اسحاق الترك من

---

(١) قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ان الزندقةهى المانوية وكان المزدكية يسمون بذلك وقد زعم مزدك ان الاموال والحرم مشتركة واظهر كتابا سماه زند وزعم ان فيه تاويل الابستا وهوكتاب المجوس الذى جاء به زرادشت الذى يزعمون انه نبيهم فنسب اصحاب مزدك الى زند فقيل زندى وعربت الكلمة فقيل للواحد زنديق وللجماعة زنادقة. ص ٢٥-٢٦ . وقال الشهرستانى فى الملل والنحل ج١،ص ٢٤٤ : ان المانوية هم اصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمن سابور بن اردشير وقد زعم مانى ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور، والاخر ظلمة وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا ، وانكر وجود شئ الامن اصل قديم.

(٢) الطبرى،تاريخ،ج٧ ، ص ٤٩٥، اليعقوبى ،تاريخ،ج٢، ص ٣٦٨

(٣) سجستان بكسر اوله وثانيه، وبين اخرى مهملة... ناحيةكبيرة وولاية واسعة ، فقيل اسم للناحية ومدينتهازرنج، وبينهاوبين هراةعشرة ايام وهى جنوبى هراة، وارضها كلها رملةسبخة والرياحفيهالاتسكن ابدا: انظر صفى الدين بن عبدالمؤمن البغدادى ،مراصدالاطلاع على اسماءالامكنهوالبقاع ج٢، ص ٦٩٤ تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ، داراحياءالكتب العربية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٤) فى تاريخخليفة بن خياط اشناشيش.

(٥) الطبرى ، ج٨ ، ص ٢٩، ٣٠، ٣١ .

العلوية الا انه تستربهذا المذهب عندهم[1] وهو من ولد يحى بن زيد بن علي [2].

الا انني انفي هذا الزعم اذ كيف يتسنى لاحد العلويين من ال بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعتنق هذا المذهب ولو انه من العلويين لما احتاج الى التستر وراء هذه المذاهب الباطلة.

وقد استطاع المنصور القضاء على هذه الحركات ثم اتجه نحو العلويين .

الخطر الثالث : العلويون :

تذكر بعض المصادر ان اجتماعا قد تم في ذيل الدولة الاموية بين الهاشميين جميعا وانهم بايعوا في هذا الاجتماع محمدا النفس الزكية [3]. يقول ابن طباطبا: ان بني هاشم من الطالبيين والعباسيين

---

(١) ابن النديم، الفهرست ، ص ٤٨٣ .

(٢) هو يحى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (٩٨-١٢٥ هـ / ٧١٦ - ٧٤٣م) وامه ريطه بنت ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية احد الابطال الاشداد، ثار مع ابيه علي بن مروان. وقتل ابوه وصلب بالكوفة، فانصرف الى بلخ، ودعا الى نفسه سرا،فطلبه امير العراق (يوسف بن عمر) فقبض عليه نصر بن سيار. وكتب يوسف الى الوليد بن يزيد ابن عبد الملك يخبره ، فكتب الوليد يأمره بان يؤمنه ويخلي سبيله ، فاطلقه نصر، وامره ان يلحق بالوليد ، فسار الى سرخس وابطأ بها ، فكتب نصر الى عامل سرخس ان يسيره عنها فانتقل يحى الى بيهق ثم الى نيسابور، وامتنع، فقاتله واليها عمرو بن زرارة وهو في عشرة الاف ويحى في سبعين رجلا ، فهزمهم يحى، وقتل عمرا وانصرف الى هراة ، قتل في الجوزجان في قرية يقال لها "ارغوية" وحمل راسه الى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ١٥٢ - ١٥٣ ، خير الدين ، الزركلي ، الاعلام ، جـ ٨ ، ص ١٤٦.

(٣) محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب روى عن ابيه ونافع . كان طويلا سمينا اسمر ضخما ذاهمة سامية وسطوة عالية وشجاعة باهرة ، لقب بالمهدي وبالارقط وبالنفس الزكية وكان يقال له صريح قريش لان امه وجداته لم يكن فيهن ام ولد.وسماه اهل بيته بالمهدي .وكان غزير العلم فيه شجاعة وحزم وسخاء.

ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٩٥، الزركلي ، الاعلام ٦/٢٢٠

اجتمعوا فى ذيل الدولة الاموية وتذاكروا حالهم وماهم عليه من الاضطهاد واتفقوا على دعوة الناس سرا وعلى مبايعة محمد النفس الزكية ويذكر ابن طباطبا ان هذا الاجتماع قد حضره اعيان الطالبيين والعباسيين وفيهم ابو جعفر المنصور"(١)

اما الطبرى فيقول :"وقد ذكر ان محمدا كان يذكر ان اباجعفر ممن بايع له ليلة تشاور بنوهاشم بمكة فيمن يعتقدون له الخلافة حين اضطرب امر بنى مروان"(٢).

ويذكر الاصفهانى ان جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالابواء(٣) وفيهم ابراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس ، وابو جعفر المنصور ، وصالح بن على (٤) وعبدالله بن الحسن ابن الحسن(٥) وابناه محمدوابراهيم

---

(١) ابن طباطبا ، الفخرى، ص ١٦٥ .

(٢) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج٧، ص ٥١٧

(٣) الابواء قرية جامعة بين مكة والمدينة شرفهما الله تعالى وسطا من المسافة ، ومعنى الابواء اخلاط من الناس ، وفى واديها من نبات الطرفاء مالايعرف بواد اكثر منه ، وهى قرية صغيرة حصينة كثيرة الاهل وماؤها من الابار، والبحر منهاقريب ..... وبهامات امنة بنت وهب ام النبى صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين وكانت قدمت به صلى الله عليه وسلم المدينة على اخواله من بنى عدى بن النجار.
محمد عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار، ص ٦،

(٤) سبقت الترجمة اليهم.

(٥) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب رض الله عنه ويكنى ابا جعفر وامه ام عبدالله بنت عامر وهى ام اخيه على.قال الاصفهانى لماخرج رياح ببنى حسن ، ومحمد بن عبدالله بن عمرو الربذة ، وصاروا بقصر نفيس على ثلاث اميال من المدينة ، دعا بالحدادين ،والقيود والاغلال . فالقى كل رجل منهم فى كيل وغل ، فضاقت حلقتاقيد عبدالله بن حسن فعضتاه فتأوه منهافاقسم عليه اخوه على بن الحسن ليحولن عليه حلقتيه اذا كانت اوسع فحولهات سنة ١٤٥هـ. الاصفهانى، ص ١٩٦

ومحمد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان[1]. "فقال صالح بن على قد علمتم انكم الذين تمد الناس اعينهم اليهم، وقدجمعكم الله فى هذا الموضع ،فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من انفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ...... فبايعوا جميعا محمدا، النفس الزكية ومسحوا على يده "[2].

وعلى اية حال فان المعلومات متناقضة حول مؤتمر الابواء وغير مؤكدة[3] كما ان معلوماتنا عن الدعوة العباسية انها بدأت فى فترة مبكرة ٩٩-١٠٠هـ فى خلافة عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، وان الدعاة كانوا نشطين خلال تلك الفترة فلا تنسجم فكرة مبايعة المنصور للنفس الزكية بعد سبع وعشرين سنة من بدء الدعوة العباسية ولو ان المنصور بايع النفس الزكية فى هذا الاجتماع لذكر له ذلك فى رسائلهما المتبادلة التى سنتعرض لها فيما بعد.

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموى رحمه الله، ابو عبد الله المدنى المعروف بالديباج لحسن وجهة ،وامه فاطمة بنت الحسين ابن على ،روى الحديث عن ابيه وامه وخارجة بن زيد وطاوس وابى الزناد والزهرى ونافع وغيرهم. وكان اخا عبدالله بن الحسن لامه... كان كريما جوادا ممدحا. ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٠، ص ٨٢.

(٢) ابو الفرج الاصفهانى ، مقاتل الطالبيين ، شرح وتحقيق السيد احمد صقر، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت ، لبنان، ص ٢٠٦

(٣) اورد الاصفهانى عدة روايات حول مؤتمر الابواء منها: ان اباجعفر قال للمجتمعين :لاى شئ تخدعون انفسكم. والله لقدعلمتم ما الناس الى احد اصور اعناقا ولا اسرع اجابة منهم الى هذا الفتى ،يريدمحمد بن عبدالله قالوا قدوالله صدقت ، ان هذا لهوالذى تعلم.ص ٢٠٦.واورد رواية اخرى مفادها ان جعفر بن محمد جاء الى الحاضرين وقال لهم لاتفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد وقال لعبدالله بن الحسن ان كنت ترى ان ابنك هذا هوالمهدى فليس به ، ولاهذا اوانه، وان كنت انماتريدان تخرجه غضبا لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فاناوالله لاندعك، وانت شيخنا ونبايع ابنك ص ٢٠٧...... ولماقال جعفر ذلك انفض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها. ص ٢٠٨ .

لقد كان دعاة بنى العباس يدعون الناس (للرضامن آل محمد)[١]،فلما قامت الدولة العباسية انكشف للناس امر الدعوة العباسية وادرك العلويون الخدعة التى لم ينتبهوا اليها طوال تلك المدة اذ ان الشعار كان عاما لم يحدد هل الرضا من البيت العباسى ام العلوى .

فلما استبانت الحقيقية خرج العلويون مطالبين بحقهم فى الخلافة الذى بنوه على ان الامر فى الاصل كان لهم وان اباهاشم بن محمد الحنفية قدسلم الامر الى محمد بن على بن عبدالله بن عباس "وقال له ان هذا الامر الذى يرتجيه الناس فيكم"[٢].

وذكر ابن سعد، ان اباهاشم اوصى لمحمد بن على ودفع اليه كتبه وصرف الشيعة اليه"[٣].

وقد ذكرت ذلك فى التمهيد لهذا البحث . وظل العلويون ينظرون الى العباسيين على انهم مغتصبون للخلافة من اصحابها الشرعيين فخرجوا على سلطان العباسيين فى عهد الخليفة المنصور.

،وكان الخليفة السفاح يعلم مايدور بخلد ال الحسن من انهم الاحق بالخلافة ولابد من الدعوة لانفسهم ولكنه كان يعاملهم معاملة حسنه ولايحب ازعاج هذه الاسرة المنكوبة زمن بنى امية،[٤].

ولماجاء بعده المنصور كان يحس بخطورتهم على الخلافة وانهم ربماقاموا بحركة لمناهضته وقداسلفنا القول بانه كان يحس بخطرهم مع عمه عبدالله بن على منذ اول يوم تولى فيه الخلافة.

---

(١) اطلق العباسيون هذااللقب على صاحب دعوتهم.فكانوا يدعون للرضا من ال محمد وكانوا يقصدون بذلك التمويه على انصارعلى اذ انهم لوصرحوا بان الدعوة لاحد بنى العباس لخسروا تاييد العلويين .
د.حسن الباشا، الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار، ص ٣٠٣
(٢) الطبرى ، ح٧ ، ص ٤٢١.
(٣) الطبقات، ح٥ ، ص ٣٢٨ .
(٤) محمد سليمان العبده، حركة النفس الزكية دراسةوتقويم، ص ٥٢ .

وكان العلويون يتطلعون الى محمد النفس الزكية ولذلك اراد المنصور القبض على محمد وابراهيم ابنى عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب لاسيما "وانهما قدتخلفا عن الحضور اليه مع من حضره من بنى هاشم حينما حج ايام السفاح فى عام ست وثلاثين ومائة كما انهما قد اختفيا عنه ايضا عندما حج سنة اربعين ومائة "(١).

لقد ازعج المنصور غياب محمد وابراهيم عنه فى هاتين المرتين وانه لابد وراء غيابهما شئ مايدبر فلذلك لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه ومايريد ، فدعا بنى هاشم رجلا رجلا كلهم يخليه فيسالهم عنه ،فيقولون يا امير المؤمنين ، قدعلم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه ، وهو لايريد لك خلافا ، الا ان حسن بن زيد(٢) اخبره خبره، فقال : والله ما امن وثوبه عليك فانه للذى لاينام عنك.."(٣).

وهنا ادرك المنصور السبب فى اختفاء محمد بن عبدالله وقد نبهه حسن بن زيد الى ماكان يريده محمد وزادت شكوكه فقام ببث العيون لتأتيه باخبار محمد واستطاعت هذه العيون ان تصل الى عبدالله بن الحسن وتخدعه حتى عرفت منه ان ابنيه خارجان لوقت كذا وكذا"(٤).

---

(١) انظر ابن الاثير، الكامل ،حـ ٤، ص ٣٧٠، ص ٣٧٢

(٢) هوحسن بن زيد بن حسن بن على بن ابى طالب ، ولاه المنصور المدينة خمس سنين، ثم غضب عليه وضربه وحبسه ،كان من الاشراف النابهين، شيخ بنى هاشم فى زمانه. فلما ولى المهدى اخرجه واستبقاه معه مولده بالمدينة ووفاته بالحاجر على بعد خمسة اميال منها.
انظر ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ١٥٠-١٥١، الزركلى الاعلام حـ٢، ص ١٩٦ .

(٣) الطبرى ، تاريخ، حـ ٧، ص ٥١٨، الاصفهانى ، مقاتل الطالبيين، ص ٢١٠ ، شمس الدين الذهبى ، سير اعلام النبلاء، حـ٦ ص ٢١٠، واورد الذهبى كلمة "هم" بدلا من "همة".

(٤) انظر الطبرى ، حـ ٧ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، ابن الاثير، الكامل ، حـ ٧ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

وبذلك وصل ابوجعفر المنصور الى مقصده وهوالوقت المحدد لخروج محمد وابراهيم لاتخاذالتدابير اللازمة لمواجهة هذا الموقف ٠

كان النفس الزكية من افضل رجال بنى هاشم وساداتهم علماوشجاعة وفصاحة ورياسة وكرماونبلا وكان فى ابتداء الامر قد اشيع بين الناس انه المهدى الذى بشر به(١).

طلب المنصور من عبدالله بن الحسن وهومن سادات بنى هاشم واشرافهم ابنية محمد وابراهيم اللذين اختفياعنه والحعليه الحاحا شديدا فى ان يخبره بمكان ابنيه، ولمالم يجد استجابة من عبدالله اخذه ومعه اثنى عشر رجلا من العلويين الى العراق وسجنوا فى قصر ابن هبيرة ولاقوا اهوالا عظيمة فى الحبس ومات اكثرهم فيه، ولماعلم محمد بماحدث لابيه واسرته اضطر الى الخروج بالمدينة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م واعلان دعوته فتبعه اعيان المدينة، واعتقل الوالى العباس رياح بن عثمان(٢). وروى عن الامام مالك انه افتى الناس بمبايعته فقيل له ان فى اعناقنا بيعة للمنصور، فقال انماكنتم مكرهين وليس لمكره بيعة فبايعة الناس عند ذلك"(٣)

---

(١) ابن طباطبا، الفخرى ، ص ١٦٥٠

(٢) يعتبر رياح بن عثمان من اقسى الولاة العباسيين على المدينة وقد استخدم مع اهل المدينة الشدة والبطش لكى يدلوه على مكان النفس الزكية "وجهر يشتم محمد وابراهيم ابن عبدالله، وشتم اهل المدينة ثم قال يوما وهوعلى المنبر يذكرهما الفاسقين الخالعين الحاربين وذكر امهما فافحش لها القول وقال لاهل المدينة اماوالله لاكتبن الى خليفتكم فلأعلمنه غشكم وقلة نصحكم . فقال الناس :لانسمع منك يا ابن المحدود ، وبادروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان واغلق عليه الباب وخرج الناس حتى صفوا وجاهه ، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفوا" الطبرى ، ٥٢٧/٧ ٠

(٣) انظر تفاصيل ذلك فى الطبرى ، حـ٧ ، ص ٥٢٤، ومابعدها، ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٨٢ ومابعدها، ابن الاثير، الكامل،حـ٤، ص ٣٧٠ ومابعدها ابن طباطبا، الفخرى ، ص ١٦٣، اليعقوبى ، تاريخ،٣٧٤/٢ ٠

وقام النفس الزكية بعدمبايعته خطيبافى الحاضرين بمسجد المدينة المنورة وعاب على ابناء عمومته من العباسيين سياستهم التى انتهجوها(١) ، كماقام بتنظيم ادارة المدينة حيث "استعمل عليهاعثمان بن خالد بن محمد ابن الزبير ، وعلى قضائها عبدالعزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى، وعلى الشرط ابا القلمس عثمان بن عبيد الله ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبدالله ابن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة"(٢).

وبذلك خرجت المدينة على سلطان العباسيين واستخدم ابوجعفرالمنصور دهاءه للقضاء على هذه الحركة فى مهدها، ودارت مكاتبات بين ابى جعفر والنفس الزكية ذكر كل منهما فيهاحجته فقد كتب المنصور اليه :"بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عبدالله امير المؤمنين الى محمد بن عبدالله : "انماجزاء الذين يحاربون اللهورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اويصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم" الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان اللهغفور رحيم"(٣)

ولك على عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسول الله صلى اللهعليه وسلم ان تبت ورجعت من قبل ان اقدر عليك ان اؤمنك وجميع ولدك واخوتك

---

(١) قال فى خطبته :" امابعد، ايها الناس ، فانه كان من امر هذا الطاغية عدو الله ابى جعفر مالم يخف عليكم ، من بنائه القبة الخضراء فى ملكه ، وتصغيرا للكعبة الحرام، وانما اخذالله فرعون حين قال : "انا ربكم الاعلى " وان احق الناس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين الاولين والانصار المواسين، اللهم انهم قد احلوا حرامك ، وحرموا حلالك وامنوا من اخفت ، واخافوا من امنت اللهم فاحصهم عددا، واقتلهم بددا ولاتغادر منهم احدا" الطبرى، تاريخ، حـ ٧ ، ص ٥٥٨، والقبة الخضراء هى التى بناها المنصورعلى قصره فى بغداد.

(٢) الطبرى ، تاريخ، حـ ٧ ، ص ٥٥٩

(٣) المائدة، الاية (٣٣) .

واهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم واموالكم، واسوغك ما اصبت من دم او مال واعطيك الف الف درهم، وماسالت من الحوائج، وانزلك من البلاد حيث شئت وان اطلق من فى حبسى من اهل بيتك ، وان اؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك او دخل معك فى شئ من امرك، ثم لااتبع احدا بشئ كان منه ابدا. فان اردت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من احببت ياخذ لك من الامان والعهد والميثاق ماتثق به"(١).

فرد عليه محمد بن عبدالله :"بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله المهدى محمد بن عبدالله الى عبدالله بن محمد"طسم* تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون* إنّ فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون"(٢). وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى عرضت على فان الحق حقنا، وانما ادعيتم هذا الامر بنا، وخرجتم له بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا، وان ابانا عليا كان الوصى وكان الامام، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر احد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف ابائنا، لسنا من ابناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت احد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل، وانا بنو ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنو بنته فاطمة فى الاسلام دونكم. ان الله اختارنا واختار لنا، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن السلف اولهم اسلاما على ، ومن الازواج، افضلهن خديجة الطاهرة ، واول من صلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ،ومن المولودين فى الاسلام حسن وحسين سيدا شباب اهل الجنة

---

(١) الطبرى ، تاريخ ، حـ ٧ ، ص ٥٦٦ ، ابن الاثير، حـ ٥ ، ص ٥،مجهول، العيون والحدائق ، ص ٢٤٠ .

(٢) سورة القصص ، الايات (١-٦).

وان هاشما ولد عليامرتين[١]، وان عبد المطلب ولد حسنامرتين[٢]وان رسول الله صلى اللهعليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين، وانى اوسط بنى هاشم نسبا واصرحهم ابا[٣]، لم تعرق فى العجم،ولم تنازع فى امهات الاولاد، فمازال الله يختار لى الاباء والامهات فى الجاهلية والاسلام حتى اختار لى فى النار، فانا ابن ارفع الناس درجة فى الجنة، واهونهم عذابا فى النار، وانا ابن خير الاخيار ، وخير الاشرار، وابن خيراهل الجنة وابن خير اهل النار، ولك الله على ان دخلت فى طاعتى ، واجبت دعوتى ان اؤمنك على نفسك ومالك ، وعلى كل امر احدثته، الاحدا من حدود الله اوحقا لمسلم او معاهد ، فقد علمت مايلزمك من ذلك ، وانا اولى بالامر منك واوفى بالعهد لانك اعطيتنى من العهدوالامان ما اعطيته رجالا قبلى، فأى الامانات تعطينى . أمان ابن هبيرة أم امان عمك عبداللهبن على أم امان أبى مسلم ".(٤)

تكشف لنا هذه الرسائل المتبادلة بين الطرفين أن الصراع بينهماقد دخل فى طور جديد،وأخذ النزاع أبعادا أخرى فقداستطاع المنصور فى الطور الأول أن يخرج محمداً من مخبئه ثم بدأ فى مراسلتهعلهيرجع وبدأت رسالة المنصور بتهديد صريح للنفس الزكية ان لم يرجع عماهوفيه،واعتبره من

---

(١) على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم،وعلى زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب .

(٢) هو محمدبن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب .

(٣) كان يقال له صريح قريش لانه لم يقم عنه أم ولد فى جميع آبائهوأمهاته وجداته الاصفهانى ،مقاتل الطالبيين ،ص ٢٣٣ وهو هنا يفتخر بنسبه العربى الخالص ويعرض بالمنصورلأن امه بربرية اسمهاسلامة.

(٤) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ج ٧ ،ص٥٦٧،ابن الاثير الكامل،ج ٥، ص ٥-٦ ،الازدى الشيخ ابى زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) تاريخ الموصل ،تحقيق د. على حبيبة القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م ص ١٨٢-١٨٣. المبرد، ابو العباس احمد بن يزيد الكامل تعليق محمدابوالفضل ابراهيم ، السيد شحاته - دار نهضة مصر للطبع والنشر،ج٢،ص ١٢٤،وهى مختصرة جدا".

المفسدين فى الارض ،وطالما انه من المفسدين فى الارض فلابد أن يكون جزاؤه القتل اوالصلب أو قطع الايدى والارجل من خلاف ،ولكنه يرجع ويعطى محمدا بن عبدالله عهدا وميثاقا على ان يؤمنه على ماله واهله وحتى الذين خرجوا معه ان رجع وتاب ،وأن يسكنه أى بلد شاء ولاينسى ان يغريه بالمال. كما أنه اكد فى بداية رسالته بانه اميرالمؤمنين ،وهو خليفة المسلمين الحقيقى بلانزاع وكتب الى النفس الزكية محمد بن عبدالله)مجردا من كل لقب .

وجاء رد النفس الزكية على رسالة المنصور ردا قويا عبر فيه بكل صدق عماكان يجيش فى نفس العلويين تجاه العباسيين ولم يقل انه خليفة الا انه استخدم لقب "المهدى " وكتب اسم المنصور مجردا من لقب الخليفة او امير المؤمنين (عبدالله بن محمد).

وفى ذلك عدم اعتراف بخلافة المنصور،وبدأ خطابه بايات من سورة القصص تتعلق بشان فرعون وكأنه يشبه المنصور بفرعون الذى علا فى الارض ويؤكد على حق العلويين فى الخلافة وان العباسيين نالوا هذاالامر بفضل العلويين ثم يفتخر بنسبه على ابى جعفر المنصور من جهة امه .كما انه يستهزئ بالأمان الذى اعطاه له المنصور مشيراالى نقضه للأمان الذى أعطاه لكل من ابن هبيرة (١) وعبدالله بن على وأبى مسلم الخراسانى .

ورد المنصور على رسالة النفس الزكية برسالة فند فيهاكل اقواله التى جاءت فى رسالته حيث قال له : بسم الله الرحمن الرحيم. امابعد،فقد بلغنى كلامك ،وقرات كتابك ،فاذا جل فخرك بقرابة النساء،لتضل به الجفاة

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة من الامراء الامويين الذين ظلوا يدافعون عن الدولة الاموية بواسط الى حين سقوطها وبعدان هدأت الاحوال صالحه ابو جعفر المنصور وامنه على نفسه وكان السفاح خليفة فى ذلك الوقت ولم يرض بهذا الصلح الذى تم بين المنصور وابن هبيرة فلذلك امر المنصور بقتله واصر على ذلك وراجعه المنصور ،الا انه اصر على رايه فوجه اليه المنصور بعض الجند الخراسانيين الذين قتلوه وكان ذلك فى سنة ١٣٢هـ.
انظر ابن كثير ،البداية والنهاية،حـ١٠،ص ٥٤ — ٥٥ .

والغوغاء،ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء،ولاكالعصبة والاولياء، لان الله جعل العم ابا ،وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا، ولوكان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت امنة اقربهن رحما،واعظمهن حقا، واول من يدخل الجنة غدا،ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم، واصطفائه لهم.

اماماذكرت من فاطمة ام ابى طالب وولادتها،فان الله لم يرزق احدا من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا،ولو ان احدا رزق الاسلام بالقرابة رزقه عبد الله اولاهم بكل خير فى الدنيا والاخرة،ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء،قال الله عز وجل "إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين "(١)،ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة اربعة ، فانزل الله عز وجل "وأنذر عشيرتك الأقربين "(٢). فأنذرهم ودعاهم،فأجاب اثنان أحدهما أبى ،وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ،ولم يجعل بينه وبينهما إلاً ولاذمة ولاميراثاً. وزعمت أنك ابن أخف اهل النار عذاباً ،وابن خير الأشرار،وليس فى الكفر بالله صغير،ولافى عذاب الله خفيف ولايسير،وليس فى الشر خيار، ولاينبغى لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار، وستردفتعلم" وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون"(٣).

وأماما فخرت به من فاطمة أم على وان هاشما ولده مرتين ،وان النبى صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين فخير الاولين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلده هاشم الا مرة ولاعبد المطلب الامرة.

وزعمت أنك أوسط بنى هاشم نسبا،وأصرحهم أما وأبا،وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد،فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طراً،فانظرويحك أين انت من الله غدا فانك قدتعديت طورك ،وفخرت على من هوخير منك نفسا وأبا وأولاً واخراً،ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى

---

(١) سورة القصص ، الاية (٥٦) .

(٢) سورة الشعراء، الاية (٢١٤).

(٣) سورة الشعراء، الاية (٢٢٧).

والد ولده ،وما خيار بنى أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد،وماولد فيكم بعد وفاة رسول اللهصلى اللهعليهوسلم افضل من على بن حسين ،وهو لام ولد،ولهوخير من جدك حسن بن حسن ،وماكان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن على ،وجدته ام ولد،ولهوخير من ابيك،ولا مثل ابنه جعفر وجدته ام ولد،ولهوخير منك .

واماقولك :انكم بنو رسول اللهصلى اللهعليهوسلم،فان اللهتعالى يقول فى كتابه:"ماكان محمد أبا أحدٍ من رجالكم"(١)ولكنكم بنوابنته ، وانها لقرابة قريبة ولكنها لاتحوزالميراث ولاترث الولاية ،ولاتجوز لها الامامة فكيف تورث بها،ولقد طلبها ابوك بكل وجه فاخرجها نهارا(٢)،ومرضهاسرا ودفنها ليلا،فابى الناس الا الشيخين وتفضيلهما،ولقد جاءت السنة التى لااختلاف فيها بين المسلمين ان الجد ابا الام والخال والخالهلايرثون(٣).

وأمامافخرت به من علىوسابقته ،فقد حضرت رسول اللهصلى اللهعليهوسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ،ثم أخذالناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ،وكان فى الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها،ولم يروا له حقا فيها،أماعبدالرحمن فقدم عليه عثمان ،وقتل عثمان وهوله متهم،وقاتله طلحةوالزبير،وابى سعد بيعته واغلق دونه بابه ،ثم بايع معاوية بعده. ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها،وتفرق عنه اصحابه ،وشك فيه شيعته قبل الحكومة،ثم حكم حكمين رضى بهما،واعطاهما عهده وميثاقه ،فاجتمعا على خلعه .ثم كان حسن فباعهامن معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز،واسلم شيعته بيدمعاوية ودفع الامر الى غير اهله ،واخذ مالا من غير ولائه ولاحله ،فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه واخذتم ثمنه. ثم خرج عمك حسين بن على على ابن مرجانه ،فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ،ثم خرجتم على بنى أمية ،فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ،وأحرقوكم بالنيران ،ونفوكم من البلدان،حتى قتل يحى بن زيد بخراسان ،وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء،وحملوهم بلا وطاء فى

---

(١) سورة الاحزاب ،الاية ٤٠ .

(٢) ابن الاثير ،فاخرج فاطمة نهارا،حـ ٥ ،ص ٦

(٣) ابن الاثير لايورثون حـ ٥،ص ٦

المحافل كالسبى المجلوب إلى الشام . حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم وأدركنا بدمائكم واورثناكم ارضهم وديارهم ،وسنينا سلفكم وفضلناه ،فاتخذت ذلك حجة علينا .

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلناه للتقدمة منا على حمزة والعباس وجعفر ،وليس ذلك كما ظننت ،ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلما منهم ،مجتمعا عليهم بالفضل ،وابتلى ابوك بالقتال والحرب ،وكانت بنو امية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة ،فاحتججنا له ،وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت ان مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم ،فصارت للعباس من بين اخوته ،فنازعنا فيها ابوك . فقضى لنا عليه عمر ،فلم نزل نليها فى الجاهلية والاسلام ،ولقد قحط اهل المدينة فلم يتوسل عمر الى ربه ولم يتقرب اليه الا بأبينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ،وابوك حاضر لم يتوسل به ،ولقد علمت انه لم يبق احد من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وسلم غيره ،فكان وراثة من عمومته ،ثم طلب هذا الامر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله الا ولده ،فالسقاية سقايته وميراث النبى له ،والخلافة فى ولده ،فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا اسلام فى دنيا ولا اخرة الا والعباس وارثه ومورثه .

وأما ماذكرت من بدر ،فان الاسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للازمة التى أصابته ،ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا ،وللحسا جفان عتبة وشيبة ،ولكنه كان من المطعمين ،فاذهب عنكم العار والسبة ،وكفاكم النفقة والمؤونة ،ثم فدى عقيلا يوم بدر ،فكيف تفخر علينا وقد عُلْنَاكم فى الكفر، وفديناكم من الأسر،وحزنا عليكم مكارم الآباء ،وورثنا دونكم خاتم الأنبياء وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ماعجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم . والسلام عليك ورحمة الله [1].

---

(١) الطبرى ،تاريخ ،حـ٧ ،ص ٥٦٨ ومابعدها ؛ ابن الاثير ،الكامل ،حـ٥ ،ص ٦-٧ ،وقد وردت هذه الرسالة فى كثير من المصادر الاخرى مع اختلاف فى العبارات او اختصار احيانا مثل : الازدى ،تاريخ الموصل ،ص ١٨٣-١٨٧ ابن عبد ربه العقد الفريد ،حـ٥ ،ص ٧٩ المبرد ،الكامل ،ص ١٢٤-١٢٥ .

لقد جاء رد ابى جعفر هذه المرة على النفس الزكية عنيفا جدا،واستخدم عبارات قاسية على ابناء عمومته من العلويين ،ويبدو لى ان طبيعة الصراع بينهما هى التى حدت بالمنصور الى ان ينحو هذا المنحى فقد افتخر عليه النفس الزكية بنسبه فماكان من المنصور الا ان فند هذه الدعاوى التى ذهب اليها النفس الزكية ويرى ابن خلدون ان هذه الامور كان ينبغى الاعراض عنها .(١).

ويمكن أن نلخص أهم النقاط التى جاءت فى رسالة المنصور فى الاتى:-

(١) عاب على النفس الزكية فخره بقرابة النساء وذكرله بان اللهجعل العم بمنزلة الاب مشيرا الى منزلة جده العباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد عرض النفس الزكية بالمنصور حينماقال له فى رسالته بانه لم يعرق فى العجم فماكان من المنصورالا ان ذكر له ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم امه من العجم وانه قد تعدى طوره وخرج عن حدوده بفخره على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم مدح المنصور الفرع الحسينى وفضلهم على الحسنيين عن قصد "ففضل عليا زين العابدين على عبدالله ابن الحسن وفضل جعفرا الصادق على محمد ذى النفس الزكية. وبما ان زين العابدين والصادق من ابناء امهات اولا وان عبدالله بن الحسن وابنه من امهات عربيات هاشميات فان الخليفة يدحض بذلك فخر محمد بقرابة النساء ونقاء الدم بصورة غيرمباشرة،ويثبت مركزه باعتباره ابن أم ولد نفسه".(٢)

وتعرض المنصور لأمور كثيرة فى رسالته حيث ذكر أن السقاية كانت لهم فى الجاهلية والاسلام،وأن العلويين قاموا بثورات عديدة الا انهم لم ينجحوا وأنهم قاموا بالثورة فنجحوا واخذوا لهم بثارهم من الامويين حيث قال له "وطلبنا بثاركم فادركنا منه ماعجزتم عنه".

---

(١) ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر،جـ ٣،ص ٤٠٧ .
(٢) د. فاروق عمر،بحوث فى التاريخ العباسى ،ص ١٠٨ .

لقد كان المنصور ذكيا فطنا فجاء رده على كل النقاط التى ذكرهـــا محمد النفس الزكية بهذه الكيفية.

وعلى كل حال فان الاثنين ينتميان الى بيت رسول اللهصلى الله عليـــه وسلم وكفى بهما ذلك الانتماء شرفا وفخرا،وماكان ينبغى ان يصل بهمـــا الصراع الى هذه الدرجة الا أن ظروف الازمة التى يعيشانهاهى التى جعلتهمـا يوصلان الصراع الى هذه الغاية فهذا خليفةيرى بان احد افراد رعيته خـــرج عليه وشق عصا الطاعة،وهذا يرى بان الخليفة مغتصب لحقه.

وفى نهاية الامر أرسل المنصور جيشا بقيادة إبن اخيهعيسى بن موســى لقتاله بالمدينة ويروى ابن كثير[1] بأن عيسى بن موسى لما اقترب مـــن المدينة"صعد محمد بن عبدالله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهادوكانوا قريبا من مائة الف،فقال لهم فى جملةماقال :انى جعلتكم فى حل من بيعتى، فمن احب منكم ان يقيم عليها فعل،ومن احب أن ينزلهافعل فتسللوا ولـــم يبق الا شرذمة قليلة معه"[2].

ودارت معركة غير متكافئةبين الطرفين"بين ثوار غير مدربين ولامنظمين وبين جيش منظم مارس القتال،عدا الفرق فى العدد ولم يبق مع محمـــد الا المئات"[2]

وكان من الطبيعى أن تنتهى المعركة بهزيمة محمدوجيشه طالما انالطرفين غير متكافئين،وقتل محمد وبعث برأسه الى المنصور وكان ذلك فى سنـــة ١٤٥هـ/٧٦٢م[3].

وبمقتل النفس الزكية قضيت على ثورة العلويين بالمدينة وبقى علـــى المنصور أن يتجه نحوالبصرة[4] حيث كان ابراهيم اخومحمدالنفس الزكيـــة

---

(١) البداية والنهاية،حـ ١٠،ص ٨٨.

(٢) محمدسليمان العبده،حركة النفس الزكية،ص ٩٥

(٣) ابن الاثير،الكامل،حـ ٥،ص ١١

(٤) قبة الاسلام ومقراهله،بنيت فى خلافة عمر رضى اللهعنهسنة اربع عشـــرة واختط عتبة بن غزوان المنازل بهاوبنى مسجدا من قصب،ويقال بل كـان ذلك سنة سبع عشرة. وعتبة اول من اختطهاونزلهافى ثمانمائةرجل وهـو الذى فتح الابلة.
الحميرى،الروض المعطار فى خبر الاقطار،ص ١٠٥

هناك يخطط للخروج ،وقد كانت الخطة تقتضي خروج الاثنين في وقت واحد، الا ان محمدا اضطر الى الخروج قبل اخيه لماحل باهل بيته كمارأيناولم يكن ابراهيم يدرى بماحدث لاخيه.

خرج ابراهيم بالبصرة ودعا الناس سرا الى اخيه ،فاجابه كثيرمن اهلها بلغ عددهم اربعة آلاف وايده كثير من العلماء والفقهاء واستولى ابراهيم على البصرة وعلى ماقرب منها والاهواز(١) وواسط (٢)ولم يزل على امره ذلك حتى اتاه نعى اخيه محمد قبل فطر سنة ١٤٥هـ بثلاثة ايام فصلى بالناس يوم الفطر وعليه اثر الانكسار(٣).

"وخرج ابراهيم بعساكره من البصرة يريد الكوفة في مائة الف مقاتل فأرسل اليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبه في ثلاثة الاف"(٥).

---

(١) ناحية بنى البصرة وفارس ،ويقال لها خوزستان بهاعمارات ومياه وأوديه كثيرة ،فتحها حرقوص بن زهير السعدى في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،والاهواز موضع يجمع سبع كور،كل كورة منها اسم ، انظر القزوينى، اثار البلاد واخبار العباد،ص ١٥٢ ،ياقوت الحموى ،معجم البلدان،حـ١ ، ص ٢٨٥ ، الحميرى الروض المعطار،ص ٦١-٦٢ .

(٢) مدينة بين الكوفة والبصرة من الجانب الغربى ،كثيرة الخيرات وافرة الغلات . تشقها دجلة .... بناها الحجاج سنة اربع وثمانين وفرغ منها سنة ست وثمانين ،وسكنها الى سنة خمس وتسعين وتوفى في هذه المدينة . القزوينى ، اثار البلاد،ص ٤٧٨ .

(٣) ابن الاثير، الكامل ،حـ٥،ص ١٧ ،خليفة بن خياط،تاريخ،تحقيق د.اكرم ضياء العمرى ،ص ٤٢٢، الخضرى ،تاريخ الدولة العباسية ،ص ٦٨ .

(٤) هوحميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائى ،ولى امرة مصر من قبل الخليفة المنصور،سنة ١٤٣هـ بعد عزل محمد بن الاشعث عنها ،ووجه لغزو افريقيه من قبل الخليفة ،وعزل عن امرة مصر،ووجه لغزوة ارمينية سنة ١٤٨هـ،وولاه المنصور امرة خراسان واقام بها مدة طويلة الى ان مات في خلافة المهدى سنة ١٥٩هـ .
انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،جـ١،ص ٣٤٩-٣٥٠، الزركلى، الاعلام، ٢٨٣/٢

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ٩٢

واقبل الجيشان فتصافوا فى باخمرى[1] وهى على ستة عشر فرسخامن الكوفة فاقتتلوا بهاقتالا شديدا وكانت العاقبة لعيسى فقتل ابراهيم لخمس ليال بقين من ذى القعده سنة ١٤٥هـ"[2]. الموافق ٧٦٢م.

وبذلك استطاع المنصور القضاء على منافسيه من العلويين ليتفرغ الى المهام الاخرى التى كانت فى انتظاره، كماقضى من قبل على نفوذ عمه عبدالله بن على، وابى مسلم الخراسانى، ومهد الطريق للاستقرار والبناء، فاتجه لبناء حاضرة الخلافة العباسية (بغداد اومدينة السلام) لتكون مركزا اداريا له ولاتباعه الذين يعتمدعليهم فى حكم الدولة فبدأ فى البحث عن مركز ملائم لهذه العاصمة الجديدة.

بناء مدينة بغداد:

كان المنصور قد ابتنى مدينة الهاشمية[3] بنواحى الكوفة وبنى أيضا مدينة بظهر الكوفة اسماها الرصافة[4]، فلما

---

(١) موضع بين الكوفة وواسط وهو الى الكوفة اقرب قالوا بين الكوفة وباخمرا سبعة عشر فرسخا، بهاكانت الواقعة بين اصحاب ابى جعفرالمنصور وابراهيم بن عبدالله بن حسن بن على بن ابى طالب وقتل ابراهيمفيها. ياقوت الحموى، معجم البلدان، حـ١، ص ٣١٦ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، حـ١٠، ص ٩٣، خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٤٤٢، الخضرى، تاريخ الدولة العباسية، ص ٦٨.

(٣) الهاشمية مدينةبالعراق، قيل انه لماجاء السفاح اميرالمؤمنين نزل الكوفة اول امره ثم انتقل الى الانبار فبنى على شاطئ الفرات الهاشمية، وتوفى قبل ان تستتم المدينة. ولماولى ابوجعفرالخلافة بنى مدينة بين الكوفة والجزيرة سماها الهاشمية، فأقام بهامدة الى ان عزم على توجيه ابنه محمد المهدى لغزو الصائفة فى سنة اربعين ومائة، فسارع الى بغداد وشرع فى بنيانها.
الحميرى، الروض المعطار، ص ٥٩١ .

(٤) رصافةبغداد بالجانب الشرقى لمابنى المنصور مدينتهبالجانب الغربى واستتم بناءها امر ابنه المهدى ان يعسكرفى الجانب الشرقى وان يبنى لهفيه دورا وجعلها معسكرا له فالتحق به الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور، وعمل المهدى بها جامعا اكبر من جامع المنصور....... وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ وهى السنة الثانية من خلافته. ياقوت الحموى، معجم البلدان، حـ٣، ص ٤٦ .

ثارت الراوندية (١) بمدينة الهاشمية كره سكناها لاضطراب من اضطرب امره عليه من الراوندية، مع قرب جواره من الكوفة، ولم يأمن اهلها على نفسه فاراد ان يبعد من جوارهم، وخرج بنفسه يرتاد موضعا يتخذه مسكنا لنفسه وجنده ويبتنى به مدينة (٢).

قام المنصور بنفسه بجولات عديدة للبحث عن موقع لمدينته كما بعث برجاله ايضا للبحث عن موقع مناسب حتى وقع اختياره على موقع بغداد يقول البلاذرى: (٣) وكانت بغداد قديمة - يقصد موقع مدينة بغداد - فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله ابتنى بها مدينة وابتدأها فى سنة خمس واربعين ومائة".

وقد استشار المنصور اصحاب القرى التى كانت فى موقع بغداد فأشاروا اليه بهذا الموقع فقال احدهم: "يا أمير المؤمنين، سألتنى عن هذه الأمكنة وطيبها ومايختار منها، فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل اربعة طساسيج (٤) فى الجانب الغربى طسوجين وهما قطربل وبادوريا، وفى الجانب الشرقى طسوجين وهما نهر بوق وكلواذى (٥)، فانت تكون بين نخل وقرب الماء، فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان فى الطسوج الآخر العمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراه، تجيئك الميرة فى السفن من المغرب فى

---

(١) الراوندية فئة تنسب الى ابو الحسين احمد بن يحى ابن اسحاق الراوندى ونسبته الى راوند - بفتح الراء والواو وهى قرية بنواحى اصبهان، وهو فيلسوف مجاهر بالالحاد، زنديق، كان اولا من متكلمى المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالالحاد.
ابن خلكان، وفيات الاعيان، حـ١، ص ٩٤، الزركلى، الاعلام، ١/٢٦٧.

(٢) الطبرى، حـ٧، ص ٦١٤، ابن الاثير، الكامل، حـ٥، ص ١٤. (٣) فتوح البلدان، ص ٢٨٩.

(٤) الطسوج : الناحية. انظر ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ١٠٧.

(٥) نهر بوق يقع فى شمال طريق خراسان، وعدة كلواذى قائمة على ضفة دجلة على شئ يسير تحت اقصى ابواب بغداد الشرقية، كى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩-٥٠.

الفرات ،وتجيئك طرائف مصر والشام ،وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة ،وتجيئك الميرة فى أرمينية وما اتصل بها فى تامرا حتى تصل الى الزاب ،وتجيئك الميرة من الروم وآمدوالجزيرة والموصل فى دجلة ،وأنت بين أنهار لايصل اليك عدوك الا على جسر أوقنطرة فاذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك ،وأنت بين دجلة والفرات لايجيئك أحد من المشرق والمغرب ،الا احتاج الى العبور،وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ،وأنت قريب من البر والبحر والجبل فازداد المنصور عزماعلى النزول فى الموضع الذىاختاره "(١)

هذه هى صفات المدينة التى يبحث عنها المنصور وقد عثرعليها ،فموقعها زراعى تؤمن الغذاء فى معظم فصول السنةكما ان السفن تصلهامن الصين والهند والبصرة وارمينية وغيرها كما انهامحصنة من الناحية العسكرية .

وقدأجمل الدكتور صالح أحمدالعلى مميزات موقع بغداد بقوله :"ان تربته قليلة الملح،صالحة للزراعة ،وأرضه مستوية خالية من التضاريس التى تعرقل الرى ومجارى الانهار والترع،وانحدارها بطئ نحودجلة ،ممايمكن شق الترع للرى ولغسل الاملاح وتصريف المياه الزائدة ،بالاضافة الى فوائدهافى النقل وتيسير المواصلات ،وتكوينها موانع دفاعية تعيق تقدم الجيوش التى قد تحاول غزوها"(٢).

"وذكر أن المنصور لماعزم على بنائها احب ان ينظراليهاعيانا ،فامر أن يخط بالرماد،ثم اقبل يدخل من كل باب ،ويمر فى فصلانها وطاقاتهاورحابها وهى مخطوطة بالرماد،ودار عليهم ينظر اليهم والى ماخط من خنادقها ،فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ،وينصب عليه النفط،فنظر اليهاوالنارتشتعل ففهمها وعرف رسمها،وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ثم ابتدى فى عملها"(٣).

---

(١) الطبرى ،تاريخ،ح ٧ ،ص ٦١٦-٦١٧، ابن الاثير،ح ٥ ،ص ١٤، ابن الفقيه الهمدانى ،بغداد مدينة السلام،ص ٣٢، الطبعة الاولى وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية .

(٢) د. صالح احمدالعلى ،بغداد مدينة السلام،ح ١،ص ٢٧ .

(٣) الطبرى ،٦١٨/٧، ابن الاثير، الكامل، ١٥/٥ .

"وقد وجه المنصور فى حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة،فاحضروا وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة فجمعهم وتقدم اليهم ان يشرفوا على البناء"(١).

وجعل المنصور عرض اساس السور من اسفله خمسين ذراعا ومن اعلاه عشرين ذراعا ،وجعل فى البناء القصب والخشب ووضع بيده أول لبنة وقال: بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله "(٢).

وكان يعمل فيها كل يوم خمسون الف عامل (٣)،وبلغت نفقاتها ثمانية عشر مليون دينار(٤)،واكتمل بناؤها فى سنة ١٤٩هـ(٥)/٧٦٦م.

وظهرت اية فى الفخامة والعمران لتدل على عظمة خلافة المنصور ثم انتقل اليها فى السنة التى فرغ من بنائها وهى سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م.

لقد كان المنصور من عظماء الملوك ،وحزمائهم وعقلائهم ،وعلمائهم ، وذوى الاراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة وقورا شديد الوقار،حسن الخلق فى الخلوة ،من أشد الناس احتمالا لمايكون من عبث او مزاح فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس تغير لونه واحمرت عيناه وانقلبت جميع اوصافه"(٦).

وكان من الحزم وصواب الرأى وحسن السياسة حتى تجاوز كل وصف ،وكان يعطى الجزيل والخطير ماكان عطاؤه حزما،ويمنع الحقير اليسيرماكان عطاؤه تضييعا(٧)،حافظا لكتاب الله تعالى متبعالاثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبرى ،٦١٨/٧، ابن الفقيه الهمدانى ،بغداد مدينة السلام ،ص ٣٢، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة،٣٤٠/١ .

(٢) ابن الاثير،الكامل ،١٥/٥ .

(٣) المسعودى ،مروج الذهب ،جـ ٣،ص ٣٧٦

(٤) الطبرى ،تاريخ،٦٥٥/٧ .

(٥) المصدر نفسه ،٢٨/٨ ، السيوطى ، الحافظ جلال الدين ،تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى بمصر الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٩م . ص ٢٤٤.

(٥) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٥٩.

(٦) المسعودى ،مروج ،٣٧٦/٣ .

فقيها محدثا بليغا(١) قال عن نفسه "ان هذا الملك أفضى الى واناحنيك(٢) السن"(٣).

وكان فى اول النهار يتصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكروالتوليات والعزل والنظر فى مصالح العامة فاذا صلى الظهر دخل منزله واستراح الى العصر،فاذا صلاها جلس لأهل بيته ونظر فى مصالحهم الخاصة،فاذا صلى العشاء نظر فى الكتب والرسائل الواردة من الافاق ،وجلس عنده من يسامره الى ثلث الليل ،ثم يقوم الى أهله فينام فى فراشه الى الثلث الاخر،فيقوم الى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح،ثم يخرج فيصلى بالناس ،ثم يدخل فيجلس فى ايوانه"(٤).

ولم يكن المنصور لاهيا ولا لاعبا فقد كان جادا فى حياته ،وقد تفرغ لحمل الاعباء الجسام مدة خلافته التى امتدت زهاء اثنين وعشرين عاما ارسى خلالهادعائم الاستقرار فى دولته وترك لخلفائه دولة قوية موطدة الاركان.

يروى الطبرى رواية تدلناعلى صرامة المنصور وحزمه وعدم انصرافه وانشغاله باللعب واللهو اذ أنه لو انصرف الى ذلك لما استطاع أن يرسى دعائم هذه الدولة فيقول :" ذكر عن حماد التركى - وهو احد موالى المنصور- قال : كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة فى الدار،فقال ماهذا ياحماد انظر،فذهبت فاذا خادم له قد جلس بين الجوارى ،وهو يضرب لهن بالطنبور، وهن يضحكن ،فجئت فاخبرته ،فقال : وأى شئ الطنبور ؟ فقلت :خشبة من حالها وأمرها... ووصفتها له ،فقال له : أصبت صفته ،فمايدريك انت ما الطنبور. قلت رايته بخراسان ،قال : نعم هناك ،ثم قال : هات نعلى ،فأتيته بهافقام يمشى رويدا حتى أشرف عليهم فرآهم ،فلما بصروا به تفرقوا،فقال خذوه،

(١) ابن دقماق ،ابراهيم بن محمد العلائى ،الجوهرالثمين فى سيرالخلفاء والملوك والسلاطين ،تحقيق د.سيد عبدالفتاح عاشور،مركزالبحث العلمى مكة المكرمة ،ص ٩٣ .

(٢) خبير مجرب .

(٣) اليعقوبى ،تاريخ اليعقوبى ،حـ٣،ص ٣٨٨

(٤) الطبرى ،تاريخ،حـ٨ ،ص ٧٠، ابن كثير،البداية والنهاية ١٠/١٢٥، ابن عبد الملك العصامى المكى ،سمط النجوم العوالى ،٣/٢٥٨، الاربلى ،خلاصة الذهب المسبوك ،ص ٦١ .

فاخذ،فقال :اضرب بهارأسه،فلم ازل اضرب به راسه حتى كسرته،ثم قال : اخرجه من قصري،واذهب به الى حمران بالكرخ،وقل له يبيعه"(١).

وعرف المنصور بالبلاغه والفصاحة فى القول والتعبيرعن مقصده بأسلوب رائع جميل،روى انه خطب الناس يوم عرفة فقال :" انما أناسلطان الله فى أرضه،أسوسكم بتوفيقه ورشده،وخازنه على فيئه،اقسمه بارادته واعطيه باذنه،وقد جعلنى الله عليه قفلا اذا شاء ان يفتحنى فتحنى لاعطائكم،واذاشاء أن يقفلنى عليه أقفلنى،فارغبوا الى الله أيها الناس،وسلوه فى هذااليوم الشريف الذى وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم فى كتابه اذ يقول :"اليوم أكملت لكم دينكم،وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا"(٢)،أن يوفقنى للصواب،ويسددنى للرشاد،ويلهمنى الرأفةبكم،والاحسان اليكم ويفتحنى لاعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل،فانه سميع مجيب"(٣).

تعكس لناهذه الخطبة وجهة نظر المنصور فى الخلافة اذ بين أنه سلطان الله سبحانه فى أرضه،يحكم بتوفيق اللهله وارشاده،وهوالخازن والأمين على أموال الأمة الاسلامية يقسمها بارادة الله ومشيئته.

---

(١) الطبرى،تاريخ،٦٣/٨،ابن الاثير،الكامل،٤٥/٥،
ابن طباطبا،الفخرى،ص ١٥٩،ابن العبرى،تاريخ مختصرالدول،ص ١٢٣.

(٢) سورة المائدة الاية (٣).

(٣) الطبرى،تاريخ،٨٩/٨-٩٠،السيوطى،الحافظ جلال الدين،تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٣.

ولقد ذهب بعض الباحثين ومن ضمنهم الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه النظم الاسلامية الى ان هذه الخطبة تعكس وجهةنظر الفرس القائلين بالحق الملكى المقدس، بمعنى ان كل رجل لا ينتسب الى البيت المالك ويتولى الملك يعتبر مغتصبا لحق غيره،وان العباسيين قداخذوا بهذه النظرة ولكننى لااتفق مع الدكتور حسن ابراهيم حسن والذين نقلوا عنه مقولته هذه،ولااعتقد ان هذاالتفكير كان سائدا فى ذهن المنصور ويبدولى ان هذا النوع من التفكير قد جاء فى كتابات المتأخرين.
انظر د. حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن.
النظم الاسلامية، ص ٤٩.

خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد :

سبق أن قلنا أن أبا العباس عهد بولاية العهد قبل موته لاخيه ابى جعفر المنصور ولابن اخيه عيسى بن موسى من بعده فلما تولى المنصور وثبت اركان الدولة اراد خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والمبايعة لابنه المهدى من بعده .

لم يرضخ عيسى بن موسى لطلب المنصور للتنازل لابنه المهدى وكان ذلك فى سنة سبع واربعين ومائة ، وألح عليه المنصور وتحيل عليه بكل طريق ممكن بالرغبة والرهبة وجرت بينهما مكاتبات واضطر عيسى بن موسى الى التنازل عن ولاية العهد للمهدى وهو مكره . وتذكر بعض الروايات ان عيسى بن موسى تنازل رضا منه وركون الى الدراهم وقلة علمه بقدر الخلافة.(١)

وقيل ان المنصور أعطاه لذلك خمسمائة ألف دينار"(٢) وفى رواية أخرى " أحد عشر ألف درهم وأشهد جماعة عليه بالخلع"(٣).

وروى عن عيسى بن موسى أنه قال :" قد بعت نصيبى من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدى بعشرة آلاف درهم وثلاثمائة ألف بين يدى ولدى فلان وفلان وفلان - سماهم - وسبعمائة ألف لفلانة امرأة من نسائه - سماها - بطيب نفس منى وحب لتصييرها اليه لانه أولى بها وأحق ، وأقوى عليها وعلى القيام بها......"(٤)

وفى سنة ١٥٨هـ كتب المنصور العهد لابنه ونصه :

"فانى كتبت كتابى هذا وانا حى فى آخر يوم من الدنيا ، واول يوم من الاخرة ، وأنا اقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله أن لايفتنكم بعدى ولايلبسكم شيعا ، ولايذيق بعضكم بأس بعض . يابنى هاشم ويا أهل خراسان .... ثم أخذ

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ، حـ٨ ، ص ٩ - ٢٦ .
(٢) الذهبى ، تاريخ دول الاسلام ، ص ١٠١
(٣) المكى ، سمط النجوم العوالى ، ٣/٢٦٠ .
(٤) الطبرى ، ٨/٢٥ .

فى وصيتهم بالمهدى واذكارهم البيعة له ،وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده "(١).

وأوصى ابنه المهدى فقال له :" يابنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم فى أمته يحفظك الله ويحفظ عليك امورك ، واياك والدم الحرام ،فانه حوب عند الله عظيم............ فالسلطان يابنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القويم ،فاحفظه وحصنه وذب عنه واوقع بالملحدين فيه والمارقين منه واقتل الخارجين عنه ولاتجاوز ماأمرك الله به فى محكم القرآن ،واحكم بالعدل ولاتشطط فان ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء وأعف عن الفئ .... وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة واياك والتبذير لأموال الرعية واشحن الثغور بالمصالح واضبط الأطراف وآمن السبل وسكن العامة وادخل المرافق عليهم وادفع المكاره عنهم وأعد الاموال وأخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة "(٢)

جاءت وصية المنصور لابنه المهدى جامعة شاملة لكل مايجب عليه القيام به فى ادارة الدولة وهى وصية شخص مجرب خبير بالأمور يدرك الثغرات التى تعمل على عدم استقرار الدولة ولذلك آمره بسد هذه الثغرات لكى يحافظ على كيان الدولة من الانهيار.

سار المنصور ،ومن قبله السفاح - على ماسار عليه الامويون من قبل من توليه العهد لاثنين مماجرّ على الدولة مشكلات عديدة ،ونسج على منوالهما بقية الخلفاء ،حيث كان البعض منهم يضطر الى خلع أحد اولياء العهد ليولى مكانه ابنه كمافعل المنصور مع عيسى بن موسى ،والمهدى مع عيسى بن موسى والهادى مع الرشيد ،والامين مع المأمون "فكان العصر العباسى الاول عصر نضال بين مبدأ العهد لاكثر من ابن ورغبة كل خليفة فى أن يخلفه ابنه "(٣)

---

(١) الطبرى ،٨/١١١-١١٢ ،عبدالملك العصامى ،سمط النجوم العوالى ،٣/٢٦٤ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ج٣ ،ص ٤٣٧ .

(٢) العصامى المكى ، المصدر السابق ،٣/٣٦٢ .

(٣) د. عبدالعزيز الدورى ، النظم الاسلامية ،ص ٤٩ .

تولى المهدى(1) بن المنصور(١٥٨ - ١٦٩هـ) الخلافة بعد وفاة ابيه المنصور الذى اخذ له البيعة من قبل كماذكرنا ،ثم لعيسى بن موسى من بعده.

ولكن المهدى سعى لخلع عيسى بن موسى واخذ البيعةلابنيه الهادى وهارون الرشيد ،وكان من الطبيعى ان يمتنع عيسى بن موسى من التنازل عن حقه فى الخلافه ،فاستخدم معه المهدى الاسلوب الذى استخدمه معه المنصور من قبل وهواسلوب التهديد تارة والترغيب تارة اخرى مما اضطره الى التنازل مكرها ومجبرا.

وجد المهدى دولة موطدة الأركان ،واموالا طائلة فى بيت مال المسلمين تركها له أبوه مماساعده على ادارة شئون الدولة بيسر وسهولة وقداشتهر بالشهامة والكرم وصفه ابن طباطبا بقوله:" كان المهدى شهما فطناكريما، شديدا على اهل الالحاد والزندقة ،لاتاخذه فى اهلاكهم لومةلائم"(٢)

"وكان عادلا فى خلافته حتى يقال انه كان فى بنى العباس كعمر بن عبدالعزيز فى بنى أمية"(٣).

وكان أول عمل قام به بعد توليه الخلافة اطلاق سراح المسجونين فى عهد المنصور،الا من كان قبله تباعة من دم أوقتل ،أو من كان معروفابالسعى

---

(١) هو محمدبن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ،ابوعبد الله المهدى امير المؤمنين .... وامه ام موسى بنت منصور بن عبدالله الحميرى .... وكان مولده فى سنة ست اوسبع وعشرين ومائة ،ولى الخلافة بعد موت ابيه فى ذى الحجة سنةثمان وخمسين ومائة ،وعمره اذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة ،ولد بالحميمه من ارض البلقاء، وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة عن ثلاث اوثمان واربعين سنة ،وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وبعض شهر، ابن كثير البداية والنهاية ،ح ١٠،ص ١٥٢ .

(٢) ابن طباطبا، الفخرى فى الاداب السلطانية ،ص ١٧٩ .

(٣) القلقشندى ،مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ،ح ١،ص ١٨٥.

فى الارض بالفساد أو من كان لاحد قبله مظلمة أوحق"[١] واشتهر المهدى بملاحقة الزنادقة وانشأ ديوانا خاصا بهم[٢].

خطب الناس يوما فقال :" أيها الناس اسروا مثلما تعلنون من طاعتنا تهنكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن ينشر معدلته فيكم، ويطوى ثوب الاصر عنكم، واهال عليكم السلامة ولين المعيشة من حيث اراه الله. مقدما على ذلك فعل من تقدمه، والله لاعفين عمرى من عقوبتكم، ولاحملن نفسى على الاحسان اليكم. فاشرقت وجوه الناس من حسن كلامه. ثم استخرج حواصل ابيه من الذهب والفضة التى كانت لاتحد ولاتوصف كثرة ففرقها فى الناس ولم يعط أهله ومواليه منها شيئا، بل اجرى لهم ارزاقا حسب كفايتهم من بيت المال"[٣].

ورث المهدى ثروة كبيرة عن ابيه - كما اسلفنا - وكانت هذه الثروة سببا كبيرا فى حياة الترف والدعة التى عاشتها الدولة الاسلامية فى عهده ولم يستطع تنفيذ وصية والده السالفة الذكر بالمحافظة على الاموال وعدم التبذير.

الا أن هيبة الخلافة الدينية قد ظلت كما هى لم تتغير نظرة الناس اليها.

وقد أولى المهدى اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء والفقهاء والمحدثين وكان شديد التاثر لدى تلاوة القرآن الكريم، واهتم بالحرم المكى الشريف

---

(١) الطبرى، تاريخ، ١١٧/٨، الجهشيارى، محمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١هـ) تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابيارى مصر، ١٣٠٤هـ - ١٩٣٨م، الوزراء والكتاب، ص ٥٥ نظمى زاده، كلشن خلفا، ص ٣٦.

(٢) الطبرى، تاريخ، ١٦٥/٨، ابو الفرج الاصفهانى، الاغانى، جـ ٣، ص ٢٧٣.

(٣) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، جـ ٥، ص ٣٩٢، ابن كثير، البداية جـ ١٠، ص ١٥١ - ١٥٢، الاربلى، خلاصة الذهب المسبوك، ص ٩٠، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص ٢٧٢.

وأمر بتوسعته وقام بالكثير من أعمال البر والاحسان كبناء البرك والمحطات على طريق الحاج العراقى واهتم بالمرضى والضعفاء والمعوزين . واهتم بالمدينة المنورة حيث وسع المسجد النبوى وأزال عنه المقصورة ،كما أمر بازالة المقصورات الخاصة فى كل المساجد(١).

خلف الهادى بن المهدى(٢) (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م) أباه فى الحكم ولم يطل به المقام سوى عام واحد وبضعة اشهر استمر خلالها فى تنفيذ سياسة ابيه فى ملاحقة الزنادقة والتنكيل بهم وقد ظفر بجماعة منهم وقتلهم فى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م(٣).

تصفه المصادر بأنه كان كريما شهما ذا غيرة على النساء وتتناول هذه المصادر قصته مع امه الخيزران(٤)،ومنعه لها من التدخل فى شئون الدولة ومنع

---

(١) انظر الطبرى ،تاريخ،حـ ٨ ،ص ١٣٦.

(٢) هو موسى بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس ابو محمد الهادى . ولى الخلافة فى محرم سنة تسع وستين ومائة ،وله من العمر ثلاث ،وقيل اربع ،وقيل ست وعشرون سنة ، والصحيح الاول ،ويقال انه لم يل الخلافة احد قبله فى سنه ،وكان حسنا جميلا طويلا ابيض وكان قوى البأس يثب على الدابة وعليه درعان........ توفى فى ربيع الاول سنة ١٧٠هـ وصلى عليه اخوه هارون ودفن فى قصر بناه وسماه الابيض بعيساباذ من الجانب الشرقى من بغداد.
ابن كثير ،البداية والنهاية،١٥٩/١٠ - ١٦٠ .

(٣) ظفر المهدى بجماعة من الزنادقة فى سنة ١٦٩هـ وقتلهم وكان ممن قتل يزدان بن باذان كاتب يقطين وابنه على بن يقطين من اهل النهروان الطبرى ١٩٠/٨ .

(٤) كانت جارية للمهدى اشتراها واعتقها وتزوجها ،وهى ام ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد،وكانت عاقلة لبيبة دينة..... ماتت ليلة الجمعة لثلاث يقين من جمادى الاخرة سنة ١٧٣هـ،ومشى الرشيد ابنها فى جنازتها وعليه طيلسان ازرق وقد شد وسطه واخذ بقائمة التابوت حافيا يخوض فى الطين والوحل من المطر الذى كان فى ذلك اليوم حتى اتى مقابر قريش فغسل رجليه وصلى عليها ودخل قبرها... وتصدق عنها بمال عظيم.
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،حـ ٢،ص ٧٢-٧٣،وانظر ترجمتها فى ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ١٦٣، الزركلى الاعلام ،٣٢٨/٢ .

الناس من الوقوف على بابها حيث كانت المواكب تغدو وتروح الى بابها وحذرها من ذلك قائلا لها "والله ..... لئن بلغني انه وقف ببابك احد من قوادي وخاصتي لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ،ماهذه المواكب التى تغدو وتروح الى بابك ، امالك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك اوبيت يصونك ؟ اياك ان تفتحى بابك لمسلم ولاذمى "(١).

وبذلك فقد ألزمها بيتهاولم تتدخل فى شئ قط مدة خلافته وروى الطبرى انه لماكثر دخول الناس عليهاجمعهم وقال لهم:"أيماخير؟ انا اوانتم؟قالوا: بل أنت ياأمير المؤمنين ،قال : فايماخير،أمى أوأمهاتكم؟ قالوا: بل أمك ياأمير المؤمنين،قال فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبرأمه ،فيقولوا فعلت أم فلان ،وصنعت أم فلان ،وقالت أم فلان؟ قالوا ماأحدمنايحب ذلك،قال:فمابال الرجال يأتون أمى فيتحدثون بحديثها. فلماسمعوا ذلكانقطعوا عنهاالبتة"(٢).

وكان من أهم الاحداث فى فترةخلافته القصيرة هوظهورالعلويين مرة أخرى حيث تزعمهم هذه المرة الحسين بن على بن الحسن(٣)المعروف بصاحب فخ(٤).

---

(١) ابن الاثير،الكامل ،حـ٥ ،ص ٧٩،ووردت بصيغة مختلفة فى الطبرى،٨،ص ٢٠٦

(٢) الطبرى ،تاريخ،حـ ٨ ،ص ٢٠٧

(٣) الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ويكنى ابا عبدالله وامه زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب . وقدكان كريماجوادا ،دخل يوماعلى المهدى فأطلق له اربعين الف دينار ففرقهافى أهله واصدقائه من اهل بغداد والكوفة ،قتل بفخ سنة ١٦٩هـ. الاصفهانى ،مقاتل الطالبيين ،ص ٤٣١، ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ ١٠ ، ص ١٥٧،وانظر الاعلام للزركلى ،حـ٢،ص ٢٤٤.

(٤) فخ : بفتح اوله ،وتشديد ثانيه ،والفخ الذى يصاد به الطير معرب وليس بعربى واسمه بالعربيةطرق وهو واد بمكة . وقيل وادى الزاهر،ويروى قول بلال : الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة بفخ
وعند اذخر وجليل .
ياقوت الحموى ،معجم البلدان ،حـ ٤،ص ٢٣٧ .
وذكر خير الدين الزركلى فى الاعلام حـ٢،ص ٢٤٤،هامش (١) ان الاستاذ محمد حسين نصيف ذكر ان "فخ" هوالمسمى اليوم بالشهداء - بمكة- اوالزاهر، وسمى بالشهداء لدفن الحسين بن على به ،هو وانصاره من اهل البيت .

وكان سبب خروج العلويين هذه المرة كماتروى بعض المصادر أن موسى الهادى ولى على المدينة واليا حمل على الطالبيين وأساء اليهم[١] واخذ هذا الوالى احد العلويين ويدعى الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن[٢]، وآخرين على شراب لهم فأمربهم فضربوا جميعا ثم أمربهم فجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة فكلم الحسين بن على الوالى بشأنهم وقال له ماكان لك ان تضربهم لان اهل العراق لايرون به بأسا فلم تطوف بهم فحبسوا يوما وليلة ثم اطلقوا ،وكفل الحسين ،الحسن بن محمدوكانوا يعرضون فى كل يوم بمقصورة المسجدوفقد يوما الحسن بن محمد فطالب الوالى الحسين بن على ويحى بن عبدالله بن حسن[٣] باحضار الحسين بن محمد فقالا لاندرى عنه شيئا، فكلمهما بكلام اغلظ لهما فيه القول[٤] فكان ذلك سببا لخروجهم.

ولكن فيمايبدو لى أن هذا ليس سببا أساسيا فى خروج العلويين هذه المرة، اذ انهم كانوا يخططون للخروج فقد ذكر الطبرى" أنهم قدتواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو بمكة فى الموسم ـ فيماذكروا ـ وقد كان قوم من

---

(١) الاصفهانى ،مقاتل الطالبيين ،ص ٤٢٣

(٢) الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب، وامه ام سلمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب، ضربت عنقه بعدوقعة فخ.
الاصفهانى ، المصدرالسابق ،ص ٤٣٤

(٣) يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب من كبار الطالبيين فى ايام موسى الهادى وهارون الرشيد، رباه جعفر الصادق فى المدينة ،فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه (الحسين بن على بن الحسن) فى ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، ايام موسى الهادى ، وحضر مقتله فى معركة "فخ"سنة ١٦٩هـ،ونجا. كانت وفاته سنة ١٨٠هـ فى خلافة الرشيد.
الزركلى ،الاعلام ،حـ ٨ ،ص ١٥٤.

(٤) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ، حـ ٨ ، ص ١٦٩ ومابعدها، ابن الاثير، الكامل ، حـ ٥ ،ص ٧٤ ومابعدها.

أهل الكوفة من شيعتهم ـ ممن كان بايع الحسين ـ متكمنين فى دار،فانطلقوا فعملوا فى ذلك من عشيتهم ومن ليلتهم حتى اذا كان فى آخر الليل خرجوا "(١).

ودارت منازلات عديدة بين شيعة بنى العباس والعلويين ولم يرحب اهل المدينة بالحسين بن على فخرج مع أصحابه تاركا المدينة متوجها الى مكة فلما علم الهادى بخبرهم ارسل لهم العباس بن محمد حيث التقوا بفخ وقتل الحسين بن على واصحابه.(٢) وانتهى عهد الهادى بوفاته بعدعام وبضعة اشهر كما اسلفنا ولم يستطع ان يغير او يحدث جديدا وتولى الرشيد بعده.

تولى هارون الرشيد(٣) الخلافة بعدموت اخيه الهادى وامتدت خلافته زهاء ثلاث وعشرين سنة (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) ساس فيها الدولة الاسلامية سياسة حكيمة عادلة وبلغت الدولة فى عهده اوج عظمتها ومجدها."واعاد الى الخلافة رونقها الذى كان على عهد جده المنصور وماكان بالمسرف ولابالمبخل وسمى الناس ايامه "ايام العروس" لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها".(٤)

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ١٩٣

(٢) انظر الطبرى ،حـ٨،ص ١٩٤ومابعدها ، ابن الاثير،الكامل ،حـ٥،ص ٧٤-٧٦، ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ ١٠،ص ١٥٧، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة حـ ٢،ص ٥٩ .

(٣) هوهارون اميرالمؤمنين، الرشيد بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، ابوجعفر ولدبالرى واستخلف بعد وفاة اخيه موسى الهادى .... امه الخيزران الجرسية ، ولد بالرى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة خمسين ومائة ... وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ،وثلاثة اشهر واياما ،وكان هارون ابيض طويلا مسمنا جميلا، وقد وخطه الشيب ويكنى اباجعفر.... مات بطوس ليلة السبت لاربع خلون من جمادى الاخرة من سنة ثلاث وتسعين ومائة ،ودفن بقرية يقال لها سناباذ وصلى عليه ابنه صالح.
الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد،حـ ١٤،ص ٥،٦،١٣ وانظر ترجمته ايضا فى ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ٢١٣، تاريخ الخميس ٢٣١/٢، المسعودى مروج الذهب ٤١٢/٣، الزركلى ، الاعلام ،٦٢/٨
والرشيد من الرشد ضد الغى،وكان نعتا فخريا خاصا به ،حسن الباشا الالقاب الاسلامية ،ص ٣٠٢ .

(٤) محمد كـــرد علـــى الادارة الاسلامية فى عزالعرب ،القاهرة ١٣٥٢هـ ـ١٩٢٤م،ص١٣٨

كان الرشيد من افضل خلفاء بنى العباس ،وفصائحهم وعلمائهم وكرمائهم "كان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته الا سنين قليلة"[1] "فحج تسع حجج وغزا ثمان غزوات "[2].

"وكان الرشيد يصلى كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الا من مرض ، وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعدزكاته ،وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء ،وابنائهم فاذا لم يحج احج ثلثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة ،وكان يطلب العمل بآثار المنصور الا فى بذل المال ،فانه لم ير خليفة قبله كان اعطى للمال منه ،وكان لايضيع عنده احسان محسن ولايؤخر ذلك ،وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى اهل الادب والفقه ويكره المراء فى الدين ،وكان يحب المديح لاسيما من شاعر فصيح .ويجزل العطاء عليه "[3].

وظلت الخلافة فى عهده قوية متماسكة الاطراف ،وهو أول خليفة يقود الغزو بنفسه ،كما انه استمر فى ملاحقة الزنادقة وتتبعهم والبطش بهم. "واتخذ قلنسوة مكتوب عليها غاز حاج".[4]

"وكان يبكى على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه ،لاسيما اذا وعظ"[5].

وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا ،وأوسعها رقعة مملكة ،جبى الرشيد معظم الدنيا ،وكان أحد عماله صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد ،وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه الى أعلى درجة. وكان فاضلا راوية للاخبار والاثار والاشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة ".[6]

(١) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٩٣.
(٢) ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد العلائى ،الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين،ص ١٠١
(٣) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١٤،ص ٦-٧، ابن الاثير الكامل،١٣١/٥، ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٩٣.
(٤) الطبرى ،تاريخ ،٣٢١/٨
(٥) السيوطى ،تاريخ الخلفاء ،ص ٢٦٤
(٦) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٩٥ ١٩٦.

ويحدثنا القلقشندى عن عظمة وفخامة خلافة الرشيد فيقول :"يحكى أنه كان يستلقى على قفاه وينظر الى السحابة الحاملة للمطر ويقول : اذهبى الى حيث شئت فسيأتينى خراجك "(١).

وحدث أن استفزه نقفور ملك الروم ونقض الصلح الذى جرى بين الملكة التى كانت قبله وبين المسلمين فكتب الى الرشيد قائلا:"من نقفور ملك الروم ،الى هارون ملك العرب ،اما بعد فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ من البيدق ،فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله اليها ،لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ،فاذا قرأت كتابى فاردد ماحصل قبلك من اموالها ،وافتد نفسك بمايقع به المصادرة لك ،والا فالسيف بيننا وبينك "(٢).

فغضب الرشيد غضبا شديدا وكتب اليه :"بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ،قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ماتراه دون ان تسمعه . والسلام"(٣).

وقام هارون الرشيد من يومه الى ان وصل باب هرقلة ففتحها بالقوة وغنم مما اضطر نقفور الى طلب الموادعة(٤).

حج الرشيد بالناس فى سنة أربع وسبعين ومائة ومعه ابناه محمد وعبد الله ،وكتب بينهما كتابا بولاية العهد لمحمد ،ومن بعده لعبد الله المأمون وعلق الكتاب فى جوف الكعبة ثم انصرف الى مدينة السلام(٥).

---

(١) القلقشندى ،مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ،ح ١ ،ص ١٩٤
(٢) الطبرى ،تاريخ ،ح ٨ ،ص ٣٠٨
(٣) المصدر نفسه ،ص ٣٠٨ ،عز الدين عمر بن الوردى ،تاريخ ابن الوردى ، ح١ ،ص ٣١٢ ،مجهول ،العيون والحدائق ،ح ٣ ،ص ٣٠٩ ،القلقشندى ،صبح الاعشى فى صناعة الانشا ح ١ ،ص ١٩٢
(٤) الطبرى ،٣٠٨/٨
(٥) ابوحنيفة الدينورى ،الاخبار الطوال ،تحقيق عبد المنعم عامر ،داراحياء الكتب العربية القاهرة ،١٩٦٠م ،ص ٣٨٧ .

وكانت وفاته سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م فى طوس[1] ودفن بقرية يقال لهـا سناباذ[2].

ولقد تناولت الكثير من المصادر والمراجع شخصية الرشيد فقدمت معلومات متناقضة حوله، فتصفه بعض هذه المصادر بانه شخصية لاهية عابثة منهمكة فى المجون وشرب الخمر والرقص مع الجوارى والمغنيات وحب الموسيقى والطرب، ثم تعود فتصفه بانه الخليفة الورع الذى يحج عاما ويغزو عاما وتظهره بمظهر المتناقض مع نفسه.

ولكن الذى أراه ان شخصية عظيمة مثل هارون الرشيد تترفع عن الصغائر التى ذكرها بعض الكتاب قديما، وتناقلها بعض الكتاب المحدثين، مع ان المصادر قد اجمعت كما ذكرنا، على انه كان يصلى فى كل ليلة مائة ركعة، ويحج عاما ويغزو عاما ويصلى الفجر فى جماعة ويستمع الى الوعظ والنصيحة ويقرب الفقهاء.

فهل يعقل لشخص يقوم بهذه الاعمال الى جانب ادارته للدولة ان يجد متسعا وفراغا للهو واللعب والمجون بهذه الصورة التى ذكرها بعض هؤلاء الموتورين ؟ وهل ترك له الغزو مجالا لذلك .

يقول الاستاذ محمود شاكر:" وقد أشيعت الشائعات حول الرشيد ورو جت التهم بصفته كان اعظم خلفاء بنى العباس، وانما توجه التهم الى العظماء فاذا ضعفوا كان الصغار أقزاما، فاشاعوا الكثير عن لهوه، وندمائه وكأسه ووصلوا الى زوجه زبيده وعرضه واتلافه فى ماله، واعراضه عن ملكه." [3]

---

(١) طوس مدينة تبعد من نيسابور ستة عشر فرسخا، وطوس العظمى يقال لها نوقان، وهى مدينة كبيرة حسنة المبانى كثيرة الاسواق شاملة الارزاق ...... وبها قبر الرشيد وفيها توفى الرضا على بن موس بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين.
الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٩٨ – ٣٩٩

(٢) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٣

(٣) محمود شاكر، الدولة العباسية، ص ١٦٤ .

اننا لانحيط الرشيد بهالة من القداسة ،ونرفعه فوق مرتبة البشر، فهو بشر يخطئ ويصيب ،ولكنه يعرف حدود الله سبحانه وتعالى ،ولذلك فاننى لا اتفق مع صاحب الاغانى فيماذهب اليه وتصويره الخليفة بالشخص اللاهى العابث المنغمس فى ملذاته ،وكذلك ماذهب اليه الاستاذ احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام[١].

وأرى ان ذلك كله يكذبه الواقع الذى كانت عليه الدولة الاسلامية فى عهده من القوة والمنعة والهيبة والسلطان ويكفيه فخرا انه مات وهو يقود جيش المسلمين فى سبيل الله وهو امر لم يختلف عليه اثنان .

تولى محمد الأمين[٢] (١٩٣ - ١٩٨هـ/٨٠٨ - ٨١٣م) الخلافة بعدوفاة والده، واجمعت المصادر على انه كان كثير اللهو واللعب ،منقطعا الى ذلك، ومنشغلا به عن تدبير مملكته[٣]،حتى أن ابن الاثير قال : لم نجدللامين شيئا من سيرته نستحسنه فنذكره[٤].

ويحدثنا الطبرى عن شخصية الأمين فيقول :"لماملك محمد وجه الى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمهم اليه ،وأجرى لهم الارزاق ،ونافس فى ابتياع فره الدواب واخذ الوحوش والدواب وغير ذلك،واحتجب على اخوته واهل بيته وقواده واستخف بهم وقسم مافى بيوت الأموال ومابحضرته من الجواهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه وحمل اليهم ماكان فى الرقة من الجواهروالخزائن والسلاح.

(١) انظر الاغانى ،لابى الفرج الاصفهانى ،حـ١،ص٧ ذكرالمائةصوت من الغناء المختارة لهارون الرشيد.
وانظر،ضحى الاسلام ،للاستاذ احمدامين،دار الكتاب العربى بيروت - لبنان الطبعة العاشرة ،حـ١،ص ١١١- ١١٦.
(٢) أبوعبدالله محمدبن الرشيد بن المهدى بن المنصور الهاشمى العباسى البغدادى وامه زبيدة بنت الامير جعفر بن المنصور،عقدله ابوه بالخلافة بعده. وكان مليحا بديع الحسن،ابيض وسيماطويلا ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة . وكان مولده بالرصافة سنة سبعين ومائة ،وكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر وثمانية ايام.
الذهبى ،سير اعلام النبلاء،حـ ٩ ،ص ٣٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية حـ١٠،ص ٢٤١ ،وانظر ترجمته فى المسعودى ،مروج الذهب ،حـ ٣،ص ٤٧٣ ،الزركلى الاعلام،حـ ٧ ،ص ١٢٧ .
(٣) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ٢١٢ (٤) ابن الاثير، الكامل ،حـ ٥،ص ١٣١.

"وأمر ببناء مجالس لمنتزهاته، ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانيه وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذى وباب الانبار وقبارى والهوب وامر بعمل حراقات فى دجلة على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وانفق فى عملها مالا عظيما"(١).

وانشغل الامين مدة خلافته الى جانب لهوه بالصراع مع اخيه المأمون الذى انتصر عليه وتولى الامر من بعده.

الصراع بين الامين والمأمون :

بدأ الصراع بين الاخوين فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م، ولقد ذكرنا من قبل، ان الرشيد كتب العهد لابنيه، عندما حج فى سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م وعلق الكتاب فى جوف الكعبة.

ولكن الامين اراد خلع اخيه من ولاية العهد والمبايعة لابنيه موسى وعبدالله، وقد زين له ذلك الفضل بن الربيع فأمر بالدعاء لابنه موسى بالامرة على المنابر(٢).

وفى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م اسقط الامين اسم اخيه من الدراهم وقطع له الخطبة فى المنابر.(٣)

لقد اتبع الامين نهج اسلافه فى مسألة البيعة، وخلع ولى العهد، والمبايعة لابنائه، ونقض بذلك الميثاق الذى كتبه والده، "فسارت الركبان فى الافاق بغدره وبحسن سيرة المأمون فاستوحش الناس منه وانحرفوا عنه، وسكنوا الى المأمون ومالوا اليه"(٤).

ودار الصراع بينهما طويلا وانتهى بقتل الامين بعد عدة معارك جرت بينه وبين جيش المأمون بعد حصاره فى بغداد سنة ١٩٨هـ(٥)/٨١٣م.

(١) الطبرى، تاريخ، حـ٨، ص ٥٠٩، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٠
(٢) ابن الاثير، الكامل، حـ ٥، ص ١٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ١٤٢/٥.
(٤) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ١٩٢
(٥) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى، حـ ٨، ص ٤٧٨ ومابعدها، ابن الاثير، الكامل، حـ٥، ص ١٤٢ ومابعدها.

وبعد مقتل الامين بويع للمأمون [١] بالخلافة فى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة/٨١٣م ، وصفه السيوطى بانه كان افضل رجال بنى العباس حزما، وعزما، وحلما، وعلما، ورأيا وذهاء وهيبة وشجاعة وسؤددا وسماحة" [٢].

وشخصية المأمون شخصية عجيبة جمعت بين المواقف المتناقضة التى يصعب التوفيق بينها كما يقول الدكتور حسن احمد محمود فهو يميل حينا الى الخراسانية ويعتمد عليهم ثم يميل الى العلويين ميلا متطرفا، حتى ليبذلون له ثقتهم وينسون خصوماتهم، ثم يميل الى السنة، ثم انه استطاع ان يتقرب الى المغرب وان يكسب ثقته بعد ان كان يقصر ثقته على الخراسانية فى المشرق فهو شخصية قادرة على التوفيق بين المواقف المتناقضة " [٣].

وكانت مقاصد المأمون كلها جميلة خلا ما نحا اليه من القول بخلق القرآن وبث علوم الفلاسفة بين المسلمين" [٤].

وقد شهد عصره مجموعة من الاحداث لعل ابرزهما حدثين كان لهما اثرهما الكبير فى مجريات الامور على الدولة العباسية فى عصره.

---

(١) هو ابو العباس عبدالله المأمون بن هارون الرشيد بن المهدى، وامه ام ولد يقال لها مراجل الباذغيسية، ولد سنة سبعين ومائة قبل اخيه الامين بشهر عندما استخلف ابوه الرشيد، بويع بالخلافة بعد قتل اخيه الامين فى اواخر سنة ثمان وتسعين ومائة/٨١٣م.
وقرأ العلم والادب والاخبار والعقليات وعلوم الاوائل وكان ابيض حسن الوجه تعلوه صفرة، قد وخطه الشيب، طويل اللحية. ت سنة ٢١٨هـ.

انظر الذهبى سير اعلام النبلاء ٢٧٢/١٠ - ٢٧٣، ابن كثير البداية والنهاية، ٢٧٤/١٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ٢٢٥/٢.

(٢) السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٤، وانظر الذهبى، سير اعلام النبلاء ص ٢٧٣.

(٣) د. حسن احمد محمود، العالم الاسلامى فى العصر العباس، دار الفكر العربى، ص ١٤٠.

(٤) القلقشندى، مآثر الاناقة فى معالم الخلافة، حـ ١، ص ٢١٣.

واول هذه الاحداث هى البيعة لعلى بن موسى الرضا[١] بولاية العهد ، وثانيها مبايعة اهل بغداد لابراهيم بن المهدى [٢].

جعل المأمون فى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م على بن موسى بن جعفروليا لعهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضامن آل محمد صلى الله عليه وسلم وامر جنده بان يطرحوا لبس السواد - الذى كان شعار العباسيين - وان يلبسوا الخضرة - وهو شعار العلويين - وكتب بذلك الى الافاق[٣].ولعله كان يقصد بهذا العمل التقرب الى العلويين، اذ انه ملء حالة القلق السياسى

---

(١) على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رض الله عنهم ويكنى ابا الحسن وامه ام ولد يقال لها أم البنين. وكان المأمون قد وجه الى جماعة من ال ابى طالب فحملوا اليه من المدينة وفيهم على بن موسى الرضا واعلم المأمون الفضل بن سهل انه يريد العقد لولاية العهد لعل الرضا وقال المأمون انه عاهد الله ان ظفر بالمخلوع ان يخرجها الى افضل ال ابى طالب ،فدعابه المأمون وخاطبه فى ذلك الا انه امتنع وتهدده المأمون فوافق على ذلك وغير المأمون من اجله الزى الى الخضرة. كانت ولادته بالمدينة وكان اسود اللون وامه حبشية. ت سنة ٢٠٤ هـ .

انظر الاصفهانى ،مقاتل الطالبيين ،ص ٥٦١ - ٥٦٢، ابن كثير،البداية والنهاية ،حـ ١٠،ص ٢٥٠، الزركلى ، الاعلام ،حـ٥ ،ص ٢٦.

(٢) ابراهيم بن المهدى (١٦٥-٢٢٤هـ/٧٧٩/٨٣٩م) بن عبد الله المنصور العباسى الهاشمى ابو اسحاق ،ويقال له ابن شكلة: الامير، اخو هارون الرشيد ولد ونشأ فى بغداد: وولاه الرشيد امرة دمشق ،ثم عزله عنها بعد سنتين ،ثم اعاده اليها فاقام فيها اربع سنين . ولما انتهت الخلافة الى المأمون كان ابراهيم قداتخذ من فرصة اختلاف الامين والمأمون للدعوة الى نفسه ،وبايعة كثيرون ببغداد،فطلبه المأمون ،فاستتر ، فاهدر دمه ،فجاءه مستسلما ،فسجنه ستة اشهر ثم طلبه اليه وعاتبه على عمله ،فاعتذر مغفا عنه.وكانت خلافته ببغداد سنتين الاخمسة وعشرين يوما (٢٠٢ - ٢٠٤هـ) وتغلب على الكوفة والسواد،والمأمون بخراسان. واقام فى استتاره ست سنين واربعة اشهر وعشرة ايام وظفر به المأمون سنة ٢١٠هـ. الزركلى ، الاعلام ،حـ ٤،ص ٥٩-٦٠ .

(٣) الطبرى ،تاريخ،حـ ٨ ،ص ٥٥٤ .

بعد الحرب الاهلية واراد ان يبدأ فترة من الاستقرار والتوفيق بين السلطة والمعارضة[١].

ولكن هذا القرار الذى اتخذه المأمون بمبايعة على الرضا لم يرض العباسيين مما جعل اسماعيل بن جعفر بن سليمان يرفض البيعة قائلا: "هذا نقض لله وله"[٢]، ورفض اهل بغداد كذلك البيعة لعلى ولبس الخضرة، وقالوا: " لانبايع ولانلبس الخضرة ولانخرج هذا الامر من ولد العباس"[٣].

وجاء رد فعلهم عنيفا اذ انهم خلعوا المأمون الذى كان بمرو ولم يحضر الى بغداد بعد،" وبايعوا لابراهيم بن المهدى بالخلافة ومن بعده ابن اخيه اسحاق بن موسى بن المهدى واعلنوا خلع المأمون"[٤]

وبويع ابراهيم بن المهدى خليفة فى بغداد فى أول المحرم سنة اثنتين ومائتين . وكان اول من بايعه عبيدالله بن العباس بن محمد الهاشمى، ثم منصور بن المهدى ثم سائر بنى هاشم ثم القواد.[٥]

وانتهت هذه الفتنة بدخول المأمون بغداد واختفاء ابراهيم بن المهدى مع بعض اعوانه وتراجع المأمون عن موقفه ورجع الى لبس السواد فى سنة ٢٠٤هـ[٦]/٨١٩م.

وعرف عن المأمون حرصه الشديد على احوال الرعية حتى قيل انه كان له الف وسبعمائة عجوز، يدورون فى المدينة ويعرفون له احوال الناس ظاهرا وباطنا[٧]، ومن يحبه ويبغضه ومن يفسد حرم المسلمين[٨].

---

(١) د. فاروق عمر، بحوث فى التاريخ العباسى، ص ١٣٧

(٢) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، حـ ٢، ص٤٤٨ـ ٤٤٩ .

(٣) الطبرى، تاريخ، ٥٥٥/٨، الازدى، تاريخ الموصل، ص ٣٤٢، مجهول العيون والحدائق، ص ٣٤٢.

(٤) الطبرى، تاريخ، ٥٥٥/٨

(٥) المصدر نفسه، ٥٥٧/٨

(٦) المصدر نفسه، ٥٧٥/٨

(٧) ابن دقماق، الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، ص ١٠٦

(٨) محمد كرد على، الاسلام والحضارة العربية، حـ ٢، ص ٢٣١.

"وكان كريما فرق فى يوم واحد ثلاثمائة الف دينار، وكان يقول:لوعلم الناس ماعندى من حلاوة العفو ،لماتقربوا الى الا بالذنوب"(١)-دلالة على عفوه وكرمه واحسانه.

ولقد نجح المأمون نجاحا كبيرا فى محاربة اعداء الدولة المحيطين بها لاسيمافى اواسط آسيا ضد الاتراك وفى طوروس ضدالروم(٢).

وكانت وفاته فى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م وكتب وصيته الى عماله بالبلدان قبل وفاته بخلافة المعتصم من بعده فى كتاب جاء فيه :"من عبدالله عبدالله الامام المأمون امير المؤمنين واخيه الخليفة من بعده ابى اسحاق بن امير المؤمنين الرشيد ....امابعد ،فان امير المؤمنين امر بالكتاب اليك فى التقدم الى عمالك فى حسن السيرة وتخفيف المئونة ،وكف الاذى عن اهل عملك ،فتقدم الى عمالك فى ذلك آشد التقدمة ،واكتب الى عمال الخراج بذلك ......"(٣).

خلف المعتصم(٤) اخاه المأمون فى سنة ٢١٠هـ/٨٣٣م،وكان مولعابالفروسية مماجعله يقرب الاتراك الذين امتازوا بها فجند منهم مايزيدعلى الثمانية عشر الفا وجاءبهم الى بغداد وما ان استقر بهم المقام فيهاحتى راحوا

---

(١) ابن دقماق ، المصدرالسابق ،ص١٠٦

(٢) انظرالطبرى ،تاريخ،٦٢٣/٨ ومابعدها

(٣) الطبرى ،تاريخ،ج٨ ،ص ٦٤٥ - ٦٤٦

(٤) هو ابو اسحاق محمدالمعتصم بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور، الخليفة الثالث من اولاد هارون الرشيد،بويع بالخلافة بعدموت اخيه عبدالله المأمون فى شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ومولده سنة ثمانين ومائة،وامه ام ولداسمها ماردة وكان اميا لايحسن الكتابة وكان سبب ذلك انه كان يتردد معه الى الكتاب غلام فمات الغلام فقال له ابوه الرشيد: مافعل غلامك ؟ قال مات فاستراح من الكتاب ،فقال الرشيد: وقد بلغ منك كراهة الكتاب الى ان تجعل الموت راحة منه ؟ والله يابنى لاتذهب بعداليوم الى الكتاب . ت ٢٢٧هـ.
انظر ترجمته فى ابن كثير ،٢٩٥/١٠ ،ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ٢٥٠/٢-٢٥١

يعتدون على اهلها الذين رفعوا شكوى ضدهم الى الخليفة ،فأمر ببناء مدينة سامراء[١] ونقلهم اليها[٢].

وامتدت خلافة المعتصم ثمان سنوات قضى معظمها فى اخماد الفتن والحروب وهو الذى فتح عمورية[٣].

---

(١) وتسمى ايضاسر من راى بناها المعتصم فى سنة ٢٢١هـ ويرجع سبب بنائها ان جيوش المعتصم كثرت حتى بلغت سبعين الفا من الاتراك فمدوا ايديهم الى حرم الناس وسعوا بالفساد،فاجتمع العامة ووقفوا للمعتصم وقالوا: يا أمير المؤمنين ماشئ احب الينا من مجاورتك لانك الامام والحامى للدين وقد افرط علينا امر غلمانك فأمامنعتهم عنا ،أونقلتهم عنا فبحث عن موضع ليرتحل اليه مع جنده حيث وقع اختياره على موضع سامراء. انظر ياقوت ١٧٤/٣-١٧٥ .

وكانت الارض التى بنى عليها الخليفة المعتصم اول قصر له حين قدم سامراء فى سنة ٨٣٦/٢٢١م ديرا للنصارى اشتراه من اصحابه بأربعة آلاف دينار وكان ارضه تعرف بالطيرهان . واقطع جنده الاتراك قطائع فى الكرخ ومافوقها حتى الدور، وقطائع اخرى جنوبى سامرا فى جهة المطيرة. وبنى الخليفة اول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية. كى لسترنج ،بلدان الخلافة الشرقية ،ص ٧٧ نقله الى العربية بشير فرنسيس ،كوركيس عواد.

(٢) نظمى زاده ،روضة الخلفاء ،ص ٥٤،معرب من التركية.

(٣) فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج ملك الروم الى بلاد الاسلام فبلغ زبطرة وقتل من بهامن الرجال وسبى الذرية والنساء،واغار على اهل ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسبى المسلمات ومثل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل اعينهم وقطع انوفهم واذانهم فخرج اليهم اهل الثغور من الشام والجزيرة الا من لم يكن له داب أو سلاح ...... ولما بلغ الخبر المعتصم استعظمه وكبر لديه ،وبلغه ان امرأة هاشمية صاحت وهى آسيرة فى ايدى الروم وامعتصماه فاجابها وهو جالس على سريره لبيك لبيك ونهض من ساعته وصاح فى قصره النفير النفير ...... وسار المعتصم من سر من راى قاصدا عمورية فى جيش كبير حيث تم له فتحها، ابن الاثير، الكامل ،جـ ٥ ،ص ٢٤٧ومابعدها وعمورية فى بلاد الروم وتفسيره المشرق وهى مدينة كبيرة مشهورة ...... ولها سور حصين ،وهى على نهر كبير يصب فى الفرات . الحميرى ، الروض المعطار ،ص ٤١٣ .

ولقد بدا الانحلال والتفكك يدب فى اوصال الدولة العباسية منذ خلافة المعتصم ،باستخدامه للاتراك فى ادارة الدولة الاسلامية ،وقد وضع المعتصم اللبنة الاولى لتدخلهم فى الشئون الادارية ،بتولية اشناس التركى على امرة مصر".(١)

واستمرت خلافته الى سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م وخلفه ابنه الواثق (٢) الذى كان شخصية ضعيفة ،خضع كثيرا للاتراك ،حتى انتهى به الحال الى استخلاف اشناس التركى سلطانا "وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجامجوهرا"(٣).

لقد وسع الواثق نفوذ الاتراك فى خلافته ،ومكن لهم ايماتمكين،وقد بدأ تلك السياسة والده المعتصم،امافى جانب الادارة فانه لم يبتدع شيئا جديدا،يقول محمد كرد على :" لم يبتدع المعتصم ولا ابنه الواثق شيئا جديدا فى الادارة لم يعرفه المأمون والرشيد،بل عاشا وعاشت الخلافة العباسية بعد ذلك بالاساس الذى وضعه المنصور للدولة"(٤).

ويحمدللواثق معاملته الكريمة لابناءعمومته من العلويين ،يقول الخطيب البغدادى :"ما احسن احد الى آل ابى طالب من خلفاء بنى العباس ،ما أحسن اليهم الواثق ،مامات وفيهم فقير"(٥).

---

(١) المقريزى،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ح١،ص ٥٨٦ .
(٢) هو هارون امير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم بالله ابن هارون الرشيد بن محمد المهدى بن عبدالله المنصور بن محمدبن على بن عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب ،ويكنى اباجعفر،استخلف بعدابيه المعتصم وكان يسكن سر من راى ..... ولد سنة تسعين ومائة ،وامه ام ولد يقال لهاقراطيس وولى الخلافة سنةسبع وعشرين ومائتين ،وتوفى لستة أيام بقيت من ذى الحجةسنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، الخطيب البغدادى،تاريخ بغداد،ح ١٤،ص١٥-١٦
(٣) السيوطى ،تاريخ الخلفاء،ص ٣٤٠
(٤) محمد كرد على ،الاسلام والحضارة العربية ،ح ٢،ص ٢٣٨
(٥) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد،ح ١٤،ص ١٩،وانظر ابن الاثير،الكامل ٢٢٧/٥، السيوطى ،تاريخ الخلفاء،ص ٣٤٢ .

مماتقدم يمكننا القول بان الخلافة العباسية فى هذا العصر كانت خلافة وراثية منذ قيامها انحصرت فى افراد البيت العباسى وحدهم تداولها الاخوة والابناء ولم تخرج عنهم لغيرهم ولاشك فى ان ذلك يتنافى مع مبدأ الشورى الذى نادى به القرآن الكريم "وأمرهم شورى بينهم" (١) وطبقه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده .

اما الشروط التى ذكرها الفقهاء فى تولية الخليفة فاننا نجد بعضا منها ينطبق على بعض خلفاء بنى العباس فى هذا العصر وهناك شروط لم يستوفها بعض الخلفاء كشرط العلم المؤدى الى الاجتهاد مثلا اوشرط العدالة .

فاذا اخذنا المنصور مثالا فان جملة الشروط تنطبق عليه فقد كان مستوفيا لها بحق اما اذا اخذنا الامين مثالا فاننا لانجده مستوفيا لشروط العدالة ، او العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والاحكام ، او الرأى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .

اما اهل الحل والعقد فقد انحصروا فى افراد البيت العباسى فهؤلاء هم الذين يحق لهم المشاركة فى اختيار الخليفة ويستأنس برأى بعض كبار القواد والوزراء من خارج الاسرة العباسية اما اهل الحل والعقد الذين عناهم الفقهاء فلا مجال لهم فى اختيار الخليفة وماعليهم الا السمع والطاعة والاذعان للخليفة المختار مع العامة والبيعة له . ولم يكن لهم الا المبايعة على الولاء والطاعة (٢) .

ولكن الذى نؤكده على الرغم من بعض المآخذ التى تؤخذ على الخلافة العباسية انها خلافة سنية ادى خلفاؤها واجبهم بنشر دين الله سبحانه وتعالى فى ارجاء مختلفة من العالم ، وقاموا بحراسته والدفاع عنه فلم يسمحوا لاحد ان ينتقص منه اويزيد فيه ، وحافظوا على حدود الدولة الاسلامية فى مناطق اسيا الصغرى ، كما احاط الخلفاء انفسهم بالفقهاء والعلماء

---

(١) سورة الشورى ، الاية (٣٨) .

(٢) الدورى ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

وقربوهم اليهم واكرموهم. والتزموا بمايعلنوه من احكام مستنبطة من القواعد الكلية المأخوذة من الكتاب والسنة.

واكدوا فى مراسيمهم النواحى الدينية فصارت بردة النبى صلى الله عليه وسلم الشارة الاولى يرتديها الخليفة فى المناسبات العامة كصلاة العيدين والجمعة وحين يعلن الجهاد.(١)

يقول مولوى الحسينى : "اعتنقت الدولة الاسلامية بأسرها الاسلام فى عهد العباسيين الاول بسبب ازالة كافة العقبات من طريق معتنقى الدين حديثا وبمنحهم المساواة مع المسلمين القدامى نظريا وعمليا".(٢)

" وبلغت المساجد فى بغداد وحدها سبعا وعشرين الف مسجد"(٣)

حقا لقد كانت الخلافة العباسية فى هذا العصر خلافة عظيمة ،حيث كان اخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا والباقون يطيعونها رغبة او رهبة"(٤).

---

(١) الدورى ،مرجع سابق ،ص ٤٧

(٢) مولوى الحسينى ،الادارة العربية ،ترجمة د.ابراهيم احمد العدوى ،ص ٣٢١.

(٣) المرجع نفسه ،ص ٣٢١.

(٤) ابن طباطبا ،مصدر سابق ،ص ١٤٠ .

الفصل الثانى

الوزارة والوزراء فى العصر العباسى الاول

الوزارة فى العصر العباسى الاول

معنى الوزارة: قيل من الوزر وهو الملجأ ،او من الوزر وهو الاثم والثقل[١]. فالوزير اماماخوذ من الوزرفيكون المعنى انه يحمل الثقل او يكون ماخوذا من الوزرفيكون المعنى انه يرجع ويلجأ الى رأيه وتدبيره[٢].

ويشير الثعالبى الى هذا المعنى ايضا فيقول : وفى أصل اشتقاق اسم الوزارة اقوال :احدها انه من الوزر وهو الثقل ،لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزور له ومنه قوله تعالى :" ولكناحملنا اوزارا من زينة القوم اى اثقالا من امتعتهم وجلبهم[٤]. وقال تعالى حتى تضع الحرب اوزارها"[٥] اى سلاحها وتقديره حتى يضع اهل الحرب سلاحهم لان السلاح يحمله المحاربون فيثقلهم حمله...

ثانيهما: انه مشتق من الاعانة لان الوزير يعين الملك على ماهو بصدده من اعباء السياسة"[٦]. ومنه قوله تعالى:"واجعل لى وزيرا من أهلى،هرون اخى ،اشدد به ازرى "[٧].

والوزارة هى ام الخطط السلطانية ،والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة"[٨].

---

(١) محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى (ت ٦٦٦هـ)،مختارالصحاح، دار الكتب العربية ،بيروت ص ٧١٨

(٢) ابن طباطبا ،الفخرى فى الاداب السلطانية ،ص ١٢٣

(٣) سورة طه الاية (٨٧).

(٤) ماجلب من خيل وابل ومتاع.

(٥) سورة محمد الاية (٤)

(٦) الثعالبى ،ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ،تحفة الوزراء (منسوب اليه) تحقيق حبيب على الراوى وابتسام الصفار،مطبعة العانى بغداد ١٩٧٧م ،ص ٣٩-٤٠ .

(٧) سورة طه الايات (٢٩- ٣٠)

(٨) ابن خلدون ،المقدمة ،ص ٦٠٣ .

نشأة الوزارة :

عرفت الوزارة لدى الامم السابقة للبعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وازكى السلام فقد عبر عنها القرآن الكريم فى قصة موسى مع فرعون حين دعا موسى ربه ان يشرك معه اخاه هرون فقال :" واجعل لى وزيرا من اهلى ،هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى"(١). كما عرفت لدى الفرس والروم . يقول ابن خلدون ومازال الامر فى الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعى من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه ،فلم يمكن زواله اذ هو لابد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاوضهم فى مهماته العامة والخاصة ، ويخص بذلك ابابكر بخصوصيات اخرى ،حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها فى عهد كسرى وقيصر والنجاشى يسمون ابابكر وزيره "(٢).

الا ان الوزارة كجهاز ادارى مستقل له نظمه وقوانينه لم يكن معروفا فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى عصر الراشدين رضى الله عنهم ، او الامويين الا انها كواقع ملموس كانت موجودة دون المسمى ،فالصديق رضى الله عنه كان بمثابة الوزير للرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن خلدون ، وكذلك كان سيدنا عمر بالنسبة لسيدنا ابى بكر رضى الله عنهما.

والوزارة لم توضع قواعدها فى الدولة الاسلامية وتتقرر قوانينها الا فى دولة بنى العباس ،اما قبل ذلك فلم يكن لها وجود قانونى ،بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فاذا حدث امر استشار ذوى الحجا والاراء الصائبة ،فكل منهم يجرى مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة.(٣)

ولقد عمد بعض المؤرخين المحدثين الى القول بأن نظام الوزارة العباسية مقتبس من الفرس(٤) وانها فارسية المولد والمنشأ لان معظم الذين

(١) سورة طه ، الايات (٢٩-٣١). (٢) ابن خلدون ،المقدمه ،ص ٦٠٤-٦٠٥
(٣) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ١٥٣.
(٤) انظر الدكتور حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسى ،مكتبة النهضة المصرية الطبعة السابعة ،١٩٦٤م ،ج٢،ص ٢٥٧.

وزروا فى هذا العصر كانوا من العناصر الفارسية ،ولكن استوزار الفرس فى هذا العصر ليس دليلا قاطعا بأن الوزارة العباسية فارسية اذ ان كلمة وزير عربية وردت فى القرآن الكريم كما سبقت الاشارة الى ذلك .

والذى اراه ان التطور الادارى الذى طرأ على الدولة الاسلامية ،واتساع رقعتها ،اظهر الحاجة الى مثل هذا المنصب لمعاونة الخليفة فى ادارة الدولة .

ولاننكر ان الوزارة كانت معروفة لدى الساسانيين ،وان العرب قد استفادوا منهم فى هذا المجال بلاشك .

انواع الوزارة فى العصر العباسى الاول

تنقسم الوزارة بصفة عامة الى قسمين :(أ) وزارة تفويض .
(ب) وزارة تنفيذ(١).

وكانت الوزارة عند قيامها فى العصر العباسى الاول وزارة تنفيذ ولانجد ذكرا لوزارة التفويض فى تلك الفترة الا فى حالات نادره لم تستمر.

(أ) وزارة التفويض : وهى التى يفوض فيها الامام أو الخليفة وزيره بالنظر فى شئون الرعية نيابة عنه .

يقول الماوردى : فأما وزارة التفويض فهو ان يستوزر الامام من يفوض اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده .(٢)

"ويعتبر فى تقليد هذه الوزارة شروط الامامة الا النسب وحده لانه ممضى الاراء ومنفذ الاجتهاد فاقتضى ان يكون على صفات المجتهدين . ويحتاج فيها الى شرط زائد على شروط الامامة وهو ان يكون من اهل الكفاية فيما وكل اليه من امر الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما"(٣)

---

(١) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٢٢ ،ابو يعلى ،الفراء ،الاحكام السلطانية ،ص ٩ع .
(٢) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٢٢.
(٣) الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ٢٣ .

(ب) وزارة التنفيذ:

وهى اقل شروطا واضعف حكما من وزارة التفويض لان مهمة الوزير هنا مهمة تنفيذية بحتة ووزير التنفيذ "وسط بين الوالى والرعية يؤدى عنه ما امر وينفذ عنه ماذكر ويمضى ماحكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض ماورد عليه من مهم، وتجدد من حدث ملم، ليعمل فيه مايؤمر به، فهو معين فى تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولامتقلد لها"(١).

ويعدد الماوردى الاوصاف التى ينبغى ان يتصف بها وزير التنفيذ ويحصرها فى سبع نقاط : الامانة، صدق اللهجة، قلة الطمع، ان يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء، ان يكون ذكورا لمايؤدية الى الخليفة وعنه لانه شاهد له وعليه، ان يتسم بالذكاء والفطنة، وان لايكون من اهل الاهواء"(٢).

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦

(٢) نفس المصدر، ص ٢٦ .

التطور التاريخى للوزارة فى العصر العباسى الاول

ذكرنا ان الوزارة لم تتبلور كمؤسسة ادارية قائمة بذاتها فى الدولة الاسلامية الا فى عصر بنى العباس ،ولكنها كفكرة كانت موجودة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الراشدين والامويين .

وقد ظهرت الوزارة فى الدولة العباسية كنتيجة حتمية للتطور الادارى الذى طرأ على الدولة الاسلامية فى عهد العباسيين الاوائل .

يقول ابن خلدون :"فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت ،عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة فى انفاذ الحل والعقد ،وتعينت مرتبته فى الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب"(١).

وكان أول من وزر فى الخلافة العباسية ابوسلمة الخلال "وكان ذلك فى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م حينما اظهر الدعاة اباسلمة الخلال فى الكوفة وسلموا اليه الرياسة وسموه وزير ال محمد"(٢) وقد وزر لابى العباس السفاح اول خليفة عباسى ،ولكن مفهوم الوزارة يومها كان بسيطا ،ولم يكن ابو سلمة الخلال سوى مشاور متنفذ بحكم ظروفه ،وكانت الدواوين المهمة بيد غيره مثل ديوان الجند وديوان الخراج"(٣).

كان ابوسلمة الخلال من اثرياء الكوفة الذين ابلوا بلاء حسنا فى الدعوة لآل العباس وانفق كثيرا من ماله فى سبيل نجاح الدعوة" وكان سمحا مطعاما كريما كثير البذل "(٤) ،فصيح اللسان عالما بالاخبار والاشعار والجدل وتفسير القرآن حاضر الحجة كثير الجد"(٥).

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٦٠٦

(٢) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ٨٣،وانظر الطبرى ،تاريخ، ٤٥٠/٧

(٣) د. عبدالعزيز الدورى ، العصر العباسى الاول ،ص ٢١٧

(٤) ابن طباطبا ، الفخرى فى الاداب السلطانية ،ص ١٥٥.

(٥) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ٨٦ .

وكان الخلال يتمتع بنفوذ كبير ومكانة سامية وسط الخراسانيين وقد استوزره السفاح على كره منه (١)،لانه كان يظهر الادلال والقدرة على امير المؤمنين السفاح (٢)،باعتباره احد الدعامات الرئيسية التى قامت بامر الدعوة للعباسيين وما انفقه من مال ،وبذله من جهد حتى تم امر الدعوة وآلت الخلافة لبنى العباس فكأنه يمن عليهم بجهده الذى قام به.

وعلى الرغم من استوزار السفاح لابى سلمة الا ان اختصاصات الوزارة لم تكن محددة المعالم فى ذلك الحين ، الا ان دورها فى تسيير دفة الحكم برزت بعد استقرار الاوضاع السياسية للخلفاء العباسيين وظهور الوزراء الاقوياء الذين ساهموا فى تثبيت مفهوم الوزارة واعطائها السلطات الواسعة فيمابعد". (٣)

وقد انتهت وزارة ابى سلمة الخلال بمقتله على يد مرار بن انس الضبى (٤).

وبعد مقتل ابى سلمة الخلال وزر للسفاح بعده خالد بن برمك (٥) وهو

---

(١) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،ح٢،ص ١٦٥.

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ،ص ١٢٠

(٣) محمد عبد الله الشبانى ،نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ،ص ٩٣

(٤) يقول اليعقوبى :بلغ ابا العباس عن ابى سلمة امور انكرها ،وذكر له تدبيره وماكان عليه ،وتأخيره له والتماسه صرف الدولة الى بعض الطالبيين ،وكتب اليه ابومسلم من خراسان ان اقتل اباسلمة ،فانه العدو الغاش الخبيث السريرة ،فكتب اليه ابو العباس ان وجه انت من يقتله ،تاريخ اليعقوبى ،ح ٣،ص ٣٥٢،وانظر الجهشيارى ، الوزراء،ص ٩٠ ، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ،ح ٤،ص ٣٦٦ ،ووجه ابو مسلم مرار بن انس الضبى وامره بالمسير الى الكوفة وقال له :"حيث لقيت ابا سلمة فاقتله" فتوجه مرار الى الكوفة حسب توجيهات ابى مسلم له وتربص بأبى سلمة الذى كان يسمر عند السفاح فلما خرج من عنده هجم عليه مع رجاله وقتلوه فى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.
انظر الطبرى ،٧/٤٥٠، ابن الاثير، الكامل ،٣٣٦/٤.

(٥) خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكى ولد سنة ٩٠هـ وهو والد يحى بن خالد وجد جعفر والفضل وكان جليل الفضل خصيصا عند المنصور وابنه المهدى ،وولى الاعمال الجليلة ،وكان عاقلا مدبر سيوساء وكان =

جد البرامكة . قال ابن طباطبا : "ان كل من استوزر بعد ابى سلمة كـــــان يتجنب أن يسمى وزيرا نظراً لما جرى لابى سلمة".(١)

ولذلك كان خالد بن برمك وزيرا يعمل عمل الوزراء ولايسمى وزيـــــرا ، وكان فاضلا جليلا كريما حازما ،وكثر الوافدون على بابه ومدحه الشعـــــراء "وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سؤالا، فقال خالد انى استقبح هذا الاســــم لمثل هؤلاء وفيهم الاشراف والاكابر فسماهم الزوار"(٢).

== وكان ابوه برمك من مجوس "بلخ " ت سنة ١٦٦هـ وقيل ١٦٣ هـ. ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ ١،ص ٣٢٨ فى ترجمة جعفر بن يحى" ابــــن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،حـ٢،ص ٥٠، الزركلى ، الاعلام ،حـ٢،ص ٢٩٥.

(١) الفخرى ،ص ١٥٦

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٥٧.

الوزارة فى عهد المنصور :

وصف صاحب الفخرى الوزارة فى عهد المنصور بقوله : لم تكن الوزارة فى ايامه طائلة لاستغنائه برأيه وكفاءته على انه كان يشاور فى الامور دائما وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء. وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم ابهة ولا رونق [١].

استبقى ابوجعفر المنصور خالد بن برمك على الوزارة مدة ثم عزله [٢] وقلد مكانه ابا ايوب الموريانى [٣]، وكان لبيبا بصيرا بالامور عاقلا فطنا ذكيا فاضلا كريما غزير المروّة [٤]، يخشى المنصور وترعد فرائصه اذا دعاه [٥].

---

(١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٧

(٢) د. محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية دار الانصار بالقاهرة ١٩٧٤م ص ٣٩٤

(٣) موريان قرية من قرى الاهواز وكان المنصور قد اشترى ابا ايوب صبيا قبل الخلافة فثقفه وعلمه وقد حدث ان ارسله المنصور الى اخيه ابى العباس فى خلافته فاعجب به وبفصاحته واعتقه واختص به مدة خلافته ولما تولى المنصور الخلافة قلده الوزارة ، انظر تفصيل ذلك فى الفخرى ص ١٧٥.

وكان سبب اتصاله بالمنصور انه لما غلب عبدالله بن معاوية ابن عبدالله بن جعفر بن ابى طالب ، فى ايام مروان على اصبهان وفد اليه الهاشميون جميعا واستعان بهم فى اعماله وقلد اباجعفر المنصور على كورة ايذج واخذ ابوجعفر المال وقصد البصرة وفى طريقه اليها قبض عليه سليمان بن حبيب بن المهلب والى مروان على البصرة وطالبه بالمال الذى اخذه وضربه بالسياط وكان الموريانى يكتب لسليمان فقال له : ايها الامير توقف عن ضربه ، فان الخلافة ان بقيت فى بنى امية فلن يسوغ لك ضرب رجل من بنى عبد مناف ، وان صار الملك الى بنى هاشم لم تكن لك بلاد الاسلام بلادا فحفظ له المنصور هذا الصنيع.
انظر الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٨.

(٤) الفخرى ، ص ١٧٥.

(٥) الشيخ محمد الخضرى ، محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية ص ٧١ .

ولكن الموريانى اتهم بالخيانة (١) فعزله المنصور فى سنة ١٥٣هـ(٢)/٧٧٠م وقتله واستصفى امواله (٣). وكان ذلك فى سنة ١٥٤هـ/٧٧١م (٤).

بعد مقتل ابى ايوب الموريانى ولى المنصور مولاه الربيع بن يونس (٥)

---

(١) يروى الجهشيارى وابن طباطبا قصة مؤداها ان المنصور اعطى الموريانى ثلاثمائة الف درهم لعمارة بعض المزارع العاطلة بالاهواز لابنه صالح بن المنصور واخذ الموريانى المبلغ ولم يفعل شيئا فى عمارة المزارع واخذ يرسل كل سنة للمنصور ٢٠ الف درهم ويقول له :هذاهو حاصل الضيعة فانكتم الامر على المنصور مدة ولكن اعداء الموريانى وجدوا هذا طريقا للسعاية به فاعلموا المنصور بذلك واكتشف المنصور الامر بنفسه فعزله وقتله. انظر الجهشيارى ،الوزراء ١١٧-١٢٠ والفخرى ،ص ١٧٦.
ويروى ابن الاثير سببا اخر ادى الى عزل الموريانى وقتله وهو ان المنصور كان قد تزوج فى عصر دولة بنى امية امرأة من الازد فى الموصل فحملت منه ثم فارق الموصل واعطى المرأة تذكرة وقال لها اذا سمعت بدولة لبنى هاشم فارسلى هذه التذكرة الى صاحب الامر فهو يعرفها فوضعت هذه المرأة ولدا سمته جعفرا فنشأ وتعلم واتصل بالمنصور الذى عرفه وضمه اليه وارسله لاحضار امه فقام الموريانى بقتله فلماعلم المنصور بذلك نكب الموريانى وقتله. انظر ابن الاثير، الكامل فى التاريخ ،حـ ٥ ،ص ٣٦-٣٧.

(٢) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١١٧

(٣) الفخرى ،ص ١٧٦

(٤) الجهشيارى ،ص ١٧٨

(٥) الربيع بن يونس
ابو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن ابى فروه واسمه كيسان - مولى الحارث الحفار،مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان حاجب ابى جعفر المنصور ثم وزر له بعدابى ايوب الموريانى. وكان من نبلاء الرجال والبائهم وفضلائهم. قال له المنصور:ماطيب الدنيا لولا الموت. قال ياامير المؤمنين ماطابت الا بالموت. قال وكيف. قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد. ت سنة ١٦٩هـ وقيل سنة ١٧٠ هـ.
ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ ٢،ص ٢٩٤، الذهبى ،سير اعلام النبلاء، حـ ٧ ،ص ٣٣٥- ٣٣٦ .

الوزارة وكان " جليلا نبيلا منفذا للامور مهيبا فصيحا كافيا حازما عاقلا فطنا خبيرا بالحساب والاعمال"(١) وقد بقى فى الوزارة الى ان توفى المنصور وهو الذى قام باخذ البيعة للمهدى(٢).

نلاحظ ان الوزارة فى عهد المنصور كانت وزارة تنفيذ ولم تتعد مهمة الوزير "المشورة" وتنفيذ اوامر الخليفة"(٣)

لقد كانت شخصية الخليفة المنصور شخصية مهيبة طغت على شخصية وزرائه، وكان قابضا على زمام الامور بيده ،وكان الوزراء يتهيبونه ويرتعدون بحضرته ،وكان الواحد منهم يخشى على حياته اذا اخطأ خطأ فادحا ولذلك كانوا يتصرفون بحذر شديد بعداذنه.

ومن هنا نجدان الوزارة حتى هذا العهد لم تستقر وتتبلوركادارة لها ذاتيتها وكينونتها واستقلاليتها فقدكان المنصور مباشرا للامور بنفسه ، قوى الشخصية قادرا،فلمتكن الوزارة فى عهده ذات خطر".(٤)

الوزارة فى عهد المهدى : ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م.

بوفاة المنصور وتولى المهدى الخلافة تجلى عمل الوزارة بصورة واضحة ،فقد قلد اباعبيد اللهمعاوية(٥) بن يسار الوزارة(٦)،وقد ظهرت ابهة الوزارة فى ايامه بسبب كفاءته(٧).

---

(١) الفخرى ،ص ١٧٨

(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ١١٠ - ١١١

(٣) د.عبدالعزيز الدورى ،النظم الاسلامية ،مطبعة المعارف ،بغداد،١٩٥٠م،ص ٢١٩

(٤) د. محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية ،ص ٣٩٥.

(٥) هومعاوية بن عبيدالله بن يسار الاشعرى الطبرانى الشامى احد رجال الكمال حزما ورأيا وعبادة وخيرا. وكان المهدى يبالغ فى اجلاله واحترامه ويعتمد على رايه وتدبيره وحسن سياسته. قال حفيده عبيد الله بن سليمان :ابلى جدناسجادتين ،وشرع فى ثالثة موضع ركبتيه ووجهه ويديه ،من كثرة صلاته ت سنة ١٧٠هـ . الذهبى سير اعلام النبلاء، ٣٩٨/٧.

(٦) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٤١

(٧) ابن طباطبا ،الفخرى ،ص ١٨١،وانظر الذهبى ،العبر فى خبر منغبر،حـ١، ص ٢٥٩ .

وكان كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافة ،ضمه المنصور اليه ،وكان قد عزم على ان يستوزره ،لكنه اثر به ابنه المهدى ،فكان غالبا على امور المهدى لايعصى له قولا ،وكان المنصور لايزال يوصيه فيه ويأمره بامتثال مايشير به فلما مات المنصور وجلس المهدى على سرير الخلافة فوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه الدواوين"(١).

وكان ذا كفاءة ادارية عالية خبيرا بالامور لايحب الاطالة فى الحديث فقد ذكر ان رجلا اعتذر اليه فأطال ،فقال له :ما رأيت عذرا هو اشبه باستئناف ذنب من هذا"(٢)

وكان مقدما فى صناعته فاخترع امورا منها انه نقل الخراج الى المقاسمة ،وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجا مقررا ولايقاسم ،فلما ولى ابوعبيد الله الوزارة قرر امر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر"(٣).

ولقد استقامت امور الخلافة فى وزارة ابى عبيد الله لماكان يمتاز به من اخلاص للدولة وكفاءة فى العمل واستقامة فى النفس ،وكان يضبط امور المهدى ويشير عليه بالاقتصاد وحفظ الاموال"(٤)

ولعل ابرز اجراءات الاصلاح التى جرت فى عهده" ان المهدى اصدر امرا بمنع تعذيب الناس من اجل استيفاء اموال الخراج المتأخرة "(٥).

ويؤخذ عليه انه كان متكبرا متعاليا ماجعل الربيع بن يونس حاجب المهدى يحقد عليه ويبغضه لتكبره عليه وعدم اكتراثه به.(٦)

---

(١) ابن طباطبا ،الفخرى ،ص ١٨١

(٢) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٤٢.

(٣) ابن طباطبا ،الفخرى ،ص ١٨٢

(٤) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٢٧

(٥) المصدر نفسه ،ص ١٤٢-١٤٣.

(٦) د.على حسنى الخربوطلى ،المهدى العباسى ،ص ١٠٥

ولماكان ابو عبيد الله من الكفاءة والدراية بعمله،لم يجد الربيع عليه مطعنا سوى اتهام ابنه بالزندقة مما ادى الى قتله واعتزل هو منصبه ومات سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م[١]. فى خلافة الرشيد .

وكان قد كتب الى المهدى بعدعزله عن منصبه قائلا ولم ينكر أمير المؤمنين حالى فى قرب المؤانسة وخصوص الخلطة،وحالى عنده قبل ذلك فى قيامى بواجب خدمته ، التى ادنتنى من نعمته،فلم ابدل . اعزالله امير المؤمنين – حال التبعيد ،ويقرب فى محل الاقصاء،ومايعلم اللهمنى فيماقلت الا ماعلمه امير المؤمنين،فان راى اكرمه الله ان يعارض قولى بعمله بدءا وعاقبة فعل ان اشاء الله"[٢]

استوزر المهدى بعد عزل أبى عبيد الله اباعبدالله يعقوب بن داود[٣] الذى ارتفع امره عند المهدى وفوض اليه امر الخلافة.[٤] روى الطبرى ان الخليفة المهدى قال :" وصف لى يعقوب فى منامى فقيل لى ان اتخذه وزيرا. فلما رآه قال : هذه والله الخلقة التى رايتها فى منامى فاتخذه وزيرا[٦]وكان اختياره للوزارة لاسباب سياسية[٧].

---

(١) المسعودى ،مروج الذهب ،حـ٢،ص ٢٤٨

(٢) القيروانى ، ابراهيم بن على الحصرى ،ت ٤٥٣هـ،زهر الاداب ،تحقيق د. زكى مبارك ،(دار الجبل – بيروت – لبنان) ،حـ٢ ،ص ٤٤٠

(٣) يعقوب بن داود بن عمر السلمى بالولاء، ابوعبدالله،كاتب ،من اكابر الوزراء،كان يكتب لابراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنى. وخرج ابراهيم على المنصور العباسى بالبصرة فظفربه المنصوروقتله سنة ١٤٥هـ وحبس يعقوب ثم اطلق بعد وفاة المنصورفتقرب من المهدى وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم الى الدواوين يقول : ان امير المؤمنين المهدى قدآخى يعقوب بن داود واستوزره سنة ١٦٣ فغلب على الاموركلها،وقصدته الشعراء بالمدائح،وكثر حساده وتتابعت الوشايات فيه . وسقط عن برذون فانكسر ساقه ،فعاده المهدى فى اليوم الثانى ،وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل ،فذكروا للمهدى صلته الاولى بالعلويين ،فقال انه اراداختباره فطلب منه ان يريحه من شخص سماه له ،من العلويين،فاكتفى يعقوب بأن وكل احد رجاله بالعلوى واعطاه مالا،واوعز اليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدهسالة المهدى عنه ،فقال : مات وعرف المهدى انه كذب عليه فانفجر سخطه وعزله سنة١٦٧هـ وامر بحبسه ومصادرة امواله ت ١٨٧هـ. الزركلى، الاعلام ،حـ٨،ص ١٩٧ (٤) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك،حـ٨،ص ١٥٦

(٥) المصدرنفسه ،ص ١٥٧ (٦) د.توفيق سلطان اليوزبكى ،الوزارة ،نشأتها وتطورهافى الدولة العباسية ،ص ٨٦.

ذلك "ان المهدى خاف من بنى الحسن ان يحدثوا امرا لايتدارك فطلب رجلا ممن له انس ببنى الحسن ليستعين به على امرهم فدله الربيع على يعقوب بن داودلصداقة كانت بين الربيع وبينه"(١)

وارتفعت منزلة يعقوب عند المهدى "الى ان سمى المهدى يعقوب بن داود اخا فى الله ووزيرا ،واخرج بذلك توقيعات تثبت فى الدواوين"(٢).

ولقد فعلت السعاية والوشاية فعلتها هذه المرة ايضا بالوزيريعقوب واتهم بميله نحو العلويين وكان يعقوب يميل – حقيقة– الى اسحاق بن الفضل (٣).

ولما بلغ المهدى ميل وزيره نحو العلويين استدعاه ودفع اليه احد العلويين ليقتله وبعث اليه جارية تتجسس عليه وتنقل اخباره الى الخليفة وقد حلف يعقوب للمهدى بانه سيقتل العلوى ولكنه لم ينفذ ما امره به الخليفة وافتضح امره فحبسه المهدى مدة طويلة حتى طال شعره واسترسل كهيئة البهائم وظل فى الحبس الى خلافة هارون الرشيد الذى اطلقه واستأذنه فى الذهاب الى مكة.(٤)

لقد كانت نهاية الوزير يعقوب بن داود نهاية مأساوية ولم تكن حاله بأحسن من حال سلفه ابى عبيدالله معاوية بن يسار ،فقد كانت نكبته لتحقق الخليفة بانه غير مخلص لبنى العباس وكان ذلك الاتهام سببا كافيا لعزله وحبسه لانه يمثل تهديدا وخطرا يجابه الدولة فى نظر الخليفة فجاءت عقوبته رادعة ،ولم تشفع له منزلته عنده.

لقد رأينا فيماسبق ان العلاقة بين الوزير والخليفة تبدأ بصورة ودية وحميمة ولكنهاتنتهى نهاية مأساوية بسبب السعى بالوقيعة بين الخليفة والوزير من حاسديه كمارأينا فيماال اليه حال كل من الوزيرين ابى عبيدالله معاوية

---

(١) الفخرى ،ص ١٨٤ (٢) الجهشيارى ،الوزراء،ص ١٥٥.

(٣) الطبرى ،تاريخ ،١٥٦/٨.

(٤) لمزيد من تفاصيل هذه الحادثة انظر الطبرى ،حـ ٨ ،ص ١٥٧،١٥٨،١٥٩، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ،حـ ٥ ،ص ٦٧–٦٨، ابن كثير، البداية والنهاية حـ ١٠،ص ١٤٨، الجهشيارى ،الوزراء،ص ١٦٠– ١٦١، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ ٢،ص ٢٣٢ .

بن يسار،وابو عبد الله يعقوب ابن داود.

وعلى أية حال فان المهدى استوزر الفيض بن ابى صالح[1] بعد حبس يعقوب بن داود وكان سخيا سريا كثيرالافضال واسع الحال ،متكبرا متجبرا مترفعا "(٢)

وظل الفيض متربعا فى دست الوزارة حتى مات المهدى وولى الهادى الخلافة فلم يستوزره ومات سنة ١٧٣هـ[3]/٧٨٩م.

لقد اظهر المهدى اهتماما كبيرا بامور الدولة "وعنى بالوزارة فاصبحت فى عهده ذات اهمية عظمى اذ تولى الوزيررئاسة الدواوين والجيش فاتسعت بذلك سلطة الوزير وصلاحياته "(٤)

ولقد رسخت اسس الوزارة فى عهد المهدى واتسعت سلطاتهاحتى صارت عامة على الدواوين كافة ومع وجودهذه السلطات الواسعة ،كان الخليفة يستطيع سحبها متى اراد دون تردد او حذر. وكان الوزراء كتابا بالدرجة الاولى بثقافتهم ومؤهلاتهم[5].

ولما افضت الخلافة الى الهادى ١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦ كانت الدولة العباسية قد استقرت تماما فتابع الهادى سياسة ابيه الحكيمة ولم يكن له وزير"[6] فقام بتدبير الامور بنفسه ولكن هناك روايات تذكر بانه استوزر كلا من الربيع بن يونس ومن بعده ابراهيم ابن ذكوان الحرانى[7] ويبدو ان قصر عهده لم

---

(١) الفيض بن ابى صالح بن شيروية ،الوزير الكبيرابوجعفرالفارس ، اسلم وكان نصرانيا ،فوزر للمهدى فى اواخر دولته وكان سخيا جوادا يضرب بكرمه المثل وفيه تيه مفرط انسى الناس تيه الوزير ابى عبيدالله. ت سنة ١٧٣هـ، الذهبى ،سيراعلام النبلاء،حـ٨ ،ص ٢٧٥.

(٢) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٦٤.

(٣) د.حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،حـ١،ص ٢٥٩.

(٤) د.توفيق سلطان اليوزبكى ،الوزارة نشأتها ،تطورهافى الدولة العباسية، ص ٨٤.

(٥) د. عبدالعزيز الدورى ،النظم الاسلامية ،ص ٢٢١.

(٦) اليوزبكى ،مرجع سابق ،ص ٥٦.

(٧) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٦٧، الفخرى ،ص ١٩٢.

يعط فرصة لظهور وزراء قاموا بدور بارز فى مجريات الاحداث فى الدولة العباسية .

توفى الهادى بعدعام واحد من توليه الخلافةفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦موخلفه اخوه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦- ٨٠٨م ولمابويع الرشيد بالخلافة استوزر يحى بن خالد بن برمك[١] وكان ذلك فى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وقال له :"قد قلدتك امر الرعية ،واخرجته من عنقى اليك ،فاحكم فى ذلك بماترى من الصوابه واستعمل من رأيت ،واعزل من رايت ،وامض الاموعلى ماترى"[٢].

وتعتبر وزارة يحى بن خالد البرمكى اول وزارة تفويض فى العصر العباسى الاول فقد اعطاه الخليفة حق التصرف فى التولية والعزل وتدبير امر الرعية بمايراه الصواب وكانت هذه الامور من قبل بيد الخليفة الا ان الرشيد اخرجها من عنقه الى يحى بن خالد وهذامالم يكن يحدث من قبل .

وكانت الدواوين كلها الى يحى بن خالد سوى ديوان الخاتم"[٣]وبتولى يحى بن خالد الوزارة للرشيد ظهرت سطوة البرامكة وتمكنهم من شئون الدولة وبذلهم الاموال بدون حساب فى سبيل الاشادة بكرمهم وعطائهم.

---

(١) يحى بن خالد بن برمك
ابو الفضل يحى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد،وكان جدهم برمك من مجوس بلخ،وكان يخدم النوبهار وهومعبدكان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران ،واشتهر برمك المذكور وبنوه بسدانته.. وكان يحى من النبل والعقل وجميع الخلال على اكمل حال ،وكان المهدى بن ابى جعفر المنصور قد ضم اليه ولده هارون الرشيد،وجعله فى حجره ، فلما استخلف هارون عرف له حقه ،وقال له : ياابت ،انت اجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الامر ودفع اليه خاتمة ، وكان يعظمه واذا ذكره قال ابى وجعل اصدار الامورو ايرادها اليه الى ان نكب البرامكة فغضب عليه ،فخلده فى الحبس الى ان مات فيه . ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ٦ ،ص ٢١٩-٢٢١،وانظر الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد،حـ ١٤،ص ١٢٩.

(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٢٣٧، ابن الاثير، الكامل ،حـ٥،ص ٨٢ ، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ٢،ص ٤٤٣،الجهشيارى ،الوزراء والكتابه ص ١٧٧ ، ابن كثير ،البداية والنهاية ١٠/١٦٠.

(٣) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٧٧ .

وكان يحى من العقلاء الكرماء البلغاء،ومن كلامه ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها: الهدية والكتاب والرسول ،وكان يقول لولده اكتبو أحسن ماتسمعون ،واحفظوا احسن ماتكتبون ،وتحدثوا باحسن ماتحفظون. وكان يقول الدنيا دول والمال عارية ،ولنا بمن قبلنا اسوة،وبمن بعدنا عبرة"(١)

واستعان يحى بولديه الفضل وجعفر(٢) فى ادارة شئون الدولة المترامية الاطراف " فكانوا يجلسون جلوسا عاماللناس فى كل يوم الى انتصاف النهار، ينظرون فى امورهم وحوائجهم،لايحجب عنهم احد ولايلقى لهم ستر".(٣)

وكان جعفر بن يحى اكثر البرامكة اتصالا بالرشيد(٤). يقول ابن خلكان: "كان جعفر بن يحى بن خالد وزير هارون الرشيد من علو القدر،ونفاذ الامر، وبعد الهمة،وعظم المحل ،وجلالة المنزلة عند الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشارك فيها"(٥)

وبذلك اصبحت أسرة البرامكة ذات نفوذ كبير فى دولة الرشيد يتصرفون كيفما شاءوا فى امور الدولة "وعظم مركز يحى عندما تولى النظر فى المظالم واصبح بيده الخاتم،كما قام اولاده بدور خطير فى سياسة الدولة فاصبح الفضل

---

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان ،ج٦ ،ص ٢٢١

(٢) الفضل بن يحى : ابوالعباس الفضل بن يحى بن خالد بن برمك البرمكى، كان من اكثرهم كرما مع كرم البرامكة وسعة جودهم... وكان هارون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر واراد ان ينقلها الى جعفر فقال لابيهما يحى يا ابت ـ وكان يدعوه يا ابت ـ انى اريد ان اجعل الخاتم الذى لاخى الفضل لجعفر،وكان يدعو الفضل يا اخى ،فانهما متقاربان فى المولد،وكانت ام الفضل قد ارضعت الرشيد،واسمها زبيدة من مولدات المدينة ،والخيزران ام الرشيد ارضعت الفضل ،فكانا اخوين من الرضاع كانت ولادته فى سنة ١٤٧هـ،وتوفى بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة.
ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٤،ص ٢٧،٣٦
جعفر بن يحى : ابو الفضل جعفر بن يحى بن خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكى وزير هارون الرشيد... وكان سمح الاخلاق طلق الوجه ظاهر البشر،واما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان اشهر من ان يذكر ، وكان من ذوى الفصاحة والمشهورين باللسن والبلاغة قتله الرشيد سنة ١٨٧هـ
ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج ١،ص ٣٢٨.

(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٧٧.

(٤) د. توفيق سلطان اليوزبكى ،الوزارة فى الدولة العباسية ،ص ٥٩

(٥) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج ١،ص ٢٩٢ .

سنة ١٧٦هـ حاكما على الولايات الشرقية وخراسان ،بالاضافة الى ماكان يتولاه من مهام الادارة مدة غياب والده ،واما جعفر فقد عينه الرشيد حاكما على الولايات الغربية مع الاحتفاظ بمنصبه في البلاط كنديم للرشيد،ثم عهد اليه الخليفة ادارة حرسه والاشراف على البريد ،كما اتخذه مستشارا ومرافقا للامير عبدالله المأمون ،فاصبحت السلطة الحقيقية بيد البرامكة"(١).

ولقد بلغت منزلة جعفر بن يحى قدرا من العلو لدى الخليفة هارون الرشيد لدرجة انه امر بكتابة اسم جعفر على الدنانير والدراهم"(٢)وكان النقش على الدنانير والدراهم خاصا بالخلفاء وحدهم وليس لاحد غيرهم هذا الحق ولكن يبدو ان جعفرا قد استحوذ على الرشيد بدرجة كبيرة حتى انه استلب منه جزءا من خصوصيات الخلافة.

لقد منح الرشيد البرامكة صلاحيات واسعة سيطروا بها على الدولة واموالها،"فكان لايحصل على المال الا باذنهم اذ كانوا يحتجزونه دونه"(٣)فقد حدث ان طلب الرشيد من يحى البرمكى مليون درهم،وكان قد ورد من فارس ستة ملايين ،فلم يجب طلبه بينما اخذ يحى منها مليونا ونصف فرقها في عماله(٤).

وهذا يدلنا على المدى الكبير الذى وصل اليه البرامكة والسيطرة على مقدرات الدولة والجرأة على الخليفة نفسه بمنعه المال الذى طلبه.

وقد عاش البرامكة فى حى خاص بهم- فى بغداد- لايخالطهم فيه احد وهو اشبه بمدينة عامرة بالقصور الفخمة(٥)

وابتنى جعفر بن يحى دارا انفق عليها"نحوا من عشرين الف الف درهم"(٦)

وكان يحى اذا ركب يعد صررا فى كل صرة مائتا درهم يدفعها الى المتعرضين"(٧)

---

(١) د.توفيق سلطان اليوزبكى ،مرجع سابق ،ص ٦٨

(٢) المقريزى ،شذور العقود فى ذكر النقود،ص ٤٧

(٣) د. ضياء الدين الريس ،مرجع سابق ،ص ٤٢٩

(٤) د.عبدالعزيز الدورى ،العصر العباسى الاول ،ص ١٧٠

(٥) د.اليوزبكى ،الوزارة ،مرجع سابق ،ص ٦٩

(٦) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك،جـ٨ ،ص ٢٩١

(٧) ابن طباطبا ،الفخرى ،ص ٢٠١

وفرق يحى خمسمائة الف درهم باسم ولده الصغير ليكون محبوبا بين الناس يقول الجهشيارى :" وليجعل له مننا فى اعناق الرجال ويحببه الى الناس"(١)

ومدح الشاعر مروان(٢) بن ابى حفصه الفضل بن يحى فى معسكره قبل خروجه الى خراسان عندما ولى عليها فامر له بمائة الف درهم وكساه وحمله على بغلة "(٣).

واستمر البرامكة على هذا الحال سبعة عشر عاما حتى تغير عليهم الرشيد ونكبهم نكبة عظيمة تعتبر من كبريات الاحداث فى العصر العباسى الاول وقتل الرشيد جعفر بن يحى فى ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة "(٤)، ٨٠٢م.

وبذلك قضى الرشيد على نفوذ آل برمك وقد تعددت اراء المؤرخين فى اسباب نكبة الرشيد للبرامكة وقتل جعفر بن يحى فمن قائل ان ذلك كان بسبب استبدادهم بالملك واستئثارهم بالاموال ،ومن المؤرخين من يرد ذلك الى اتهامهم بالميل الى العلويين الى غير ذلك من التهم التى رددها بعض الشعوبيين(٥) للنيل من شخص الرشيد.

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٨٠.

(٢) مروان بن ابى حفصه ابو السمط - وقيل ابو الهندام - بن سليمان بن يحى بن ابى حفصه يزيد، الشاعر المشهور كان جده ابو حفصه مولى مروان ابن الحكم بن العاص الاموى فاعتقه... وقيل ان اباحفصة كان يهوديا طبيبا اسلم على يد عثمان بن عفان رضى الله عنه. وقيل على يد مروان بن الحكم ويزعم اهل المدينة انه كان من موالى السمو أل بن عادياء.
ومروان بن ابى حفصة صاحب الترجمة من اهل اليمامة ،وقدم بغداد ومدح المهدى وهارون الرشيد. كانت ولادته سنة خمس ومائة ،وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد:
ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ح ٥ ،ص ١٨٩، ١٩٣.

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ح٨ ،ص ٢٥٨ (٤) المصدر نفسه ،ص ٣٠٠

(٥) الشعوبية حركة سياسية عنصرية ظاهرها المطالبة بالمساواة معتمدة على ايات من القرآن الكريم مثل:" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عندالله أتقاكم ،وعلى أحاديث نبوية مثل"ليس لعربى على أعجمى فضل الا بالتقوى وباطنها إزالة السلطان العربى والدين الاسلامى وإعادة مجد الامبراطورية الفارسية ودينها المجوس .

وعلى كل سنتناول بعض هذه الروايات على اختلافها لنرى السبب الحقيقي الذى ادى الى نكبة البرامكة لما لهذه الحادثة من تأثير فى مجريات الاحداث فى الدولة العباسية .

يقول الطبرى فى احداث سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م :"من قال ان الرشيد قتل جعفر بن يحى بغير سبب يحى بن عبدالله بن حسن(١) فلاتصدقه ،وذلك ان الرشيد دفع يحى الى جعفر فحبسه ثم دعابه ليلة من الليالى فسأله عن شئ من أمره فأجابه ،الى ان قال :اتق الله فى امرى ،ولاتتعرض ان يكون خصمك غدا محمدا صلى الله عليه وسلم ،فوالله ما احدثت حدثا ولا اويت محدثا . فرق عليه ،وقال له : اذهب حيث شئت من بلاد الله . قال : وكيف اذهب ولا آمن ان اؤخذ بعدقليل فارد اليك او الى غيرك . فوجه معه من اداه الى مأمنه . وبلغ الخبر الفضل بن الربيع ،من عين كانت له عليه من خاصة خدمه فعلا الامر – بحثه – فوجده حقا ،وانكشف عنده. فدخل على الرشيد فاخبرة فأراه انه لايعبأ بخيره .وقال : وما انت وهذا لاام لك ؟ فلعل ذلك عن امرى ،فانكسر الفضل ،وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكلا ،وجعل يلقمه ويحادثه ،الى ان كان اخر مادار بينهما ان قال: مافعل يحى بن عبدالله؟ قال بحاله يا اميرالمؤمنين فى الحبس الضيق والاكبال .

قال : بحياتى ؟ فاحجم جعفر– وكان من ادق الخلق ذهنا واصحهم فكرا– وهجس فى نفسه انه قد علم بشئ من امره ،فقال : لا وحياتك ياسيدى ولكن اطلقته ، وعلمت انه لاحياة به ولامكروه عنده . قال : نعم مافعلت ،ماعدوت ماكان فى

---

(١) يحى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب ، من اهل المدينة . وهو اخو محمد وابراهيم ابنى عبدالله ابن الحسن ذكر يحى بن محمد العلوى صاحب كتاب نسب الطالبيين ان يحى بن عبد الله كان قد صار الى جبل الديلم فى سبعين رجلا من اصحابه ،ثم أمنه هارون الرشيد وكتب له امانا،وللسبعين الذين كانوا معه واشهدعلى ذلك شهودا واجازه بمائتى الف دينار. توفى فى حبس الرشيد.
الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد،ج ١٤،ص ١١٠،١١٢ .

نفسى . فلماخرج اتبعه بصره حتى كاد ان يتوارى عن وجهه ، ثم قال:قتلنى الله بسيف الهدى عن عمل الضلالة ان لم اقتلك . فكان من امره ماكان"(١).

والروايات التى وردت فى هذا الشأن كثيرة ،ولكنى اجد نفسى اميل الى الراى الذى ذهب اليه بعض المؤرخين فى ان سبب نكبة البرامكة كان لاستبدادهم بالملك دون الخليفة وقد راينا فيماسبق كيف كانوا يتصرفون فقد روى ان الفضل بن يحى اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية. وجعل ولاءهم للبرامكة ،وان عدتهم بلغت خمسمائة الف رجل ،وانه قدم منهم بغداد عشرون الف رجل ،فسموا ببغداد الكرنبية ،وخلف الباقى منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم(٢).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٢٨٩ ،وهناك رواية رواها الاتليدى بانه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال له يوما لايطيب لى ذلك الابمحضر اختى ميمونه ،ولكن لايجوز الا ان كتبت لك عليها لاباحة النظر من غيران تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليهاثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقهافيه وكان لجعفر البرمكى امرأة تزين له الجوارى كل ليلةفجاءت ميمونة لهاوارشتها بمال ،فزينتها له وادخلتها عليهفظن انهاجارية فواقعها،فلما اصبحوا قالت له: انا ميمونة وقد كنت اسألك ان تساعدنى على مودتك فتابى ، فلما ايست منك احتلت عليك بمارأيت فى هذه الليلة ،وان لم تواظب لاكونن سببا فى سلب نعمتك ،وهل انت الازوجى ؟ فقال لهاجعفر ويحك اهلكتينى ،واهلكت نفسك ، وكان كماقال ،ولم يزرهاحتى ظهر امرهاللرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة.
دياب الاتليدى ،اعلام الناس بماوقع للبرامكة من بنى العباس ،ص ١٢٧ ولاشك مطلقا فى ان هذه الرواية التى ذكرها المؤرخ الاتليدى،موضوعة، ولاتتفق مع ماذهب اليه ،اذ انه لايعقل لخليفة المسلمين ان يتردى لهذه الدرجة ،ويقحم اخته فى مجالس انسه ،ان صحت هذه المجالس ،وعلى الرغم من ان الطبرى قد ذكر هذه الرواية ايضا٢٩٤/٨، الاانه قال: حدثنى احمد بن زهير،ولم يوثق لنا الراوى ،وقال عن صاحب الرواية الاولى التى ذكرناها انه فيماقيل اعلم الناس بالقوم فالرواية الاولى التى ذكرها الطبرى اقرب الى القبول من الثانية.

(٢) الطبرى ،تاريخ ،٢٥٧/٨، ابن كثير، البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ١٧٢ .

"ويعتبر هذا العمل من الامور الخطيرة لتهديد الخليفة نفسه - ودولة بنى العباس - حيث اوجس الرشيد ريبة من ذلك لفخامة العدد، ولعدم اخذ راى الرشيد فيه، فعجل الرشيد بعودة الفضل من خراسان، ولما وصل بغداد كان معه عشرون الف جندى من الاعاجم وليس فيهم عربى واحد"(١).

والذى يمعن النظر فى هذه الخطة المدبرة يجدان انقلابا عسكريا مسلحا وضع مصير الرشيد والخلافة العباسية فى قبضة البرامكة، اذ لم يبق بين سيادة العنصر العربى، وبين خضوعه لحكم الفرس الاغضبة برمكية، فيعتقل الجيش شخص الرشيد، ثم يزحف جيش العباسية من خراسان لضم باقى اقاليم الدولة اليه. هذا اذا اراد آل برمك اعادتها فارسية محضة وماكان ذلك على طموح جعفر بن يحى البرمكى ببعيد"(٢).

ولعل سيطرة البرامكة على الاموال وانفاقها حسب رغباتهم واهوائهم كان سببا من اسباب التصادم وبالتالى عاملا من عوامل نكبتهم".(٣)

ولقد لعب البرامكة دورا خطيرا فى خلافة الرشيد لكنه لم يكن غافلا عن تصرفاتهم، بل كان يراقبهم بدقة، واخذ يشذبهم بالتدريج بعد وفاة امه حليفتهم واخيرا نكبهم بعد سبعة عشرة عاما"(٤).

استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع(٥) وكان حاجبه "ولم يوكل

---

(١) عبد الجبار الجومرد، هارون الرشيد، ج٢، ص ٤٧٢-٤٧٣، نقلا عن اليوزبكى الوزارة، ص ٩٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٧

(٣) المرجع نفسه، ص ٩٧

(٤) الدورى، النظم الاسلامية، ص ٢٢٤

(٥) الفضل بن الربيع بن يونس الامير الكبير، حاجب الرشيد، كان ابوه حاجب المنصور، وكان من رجال العالم حشمة وسؤددا وحزما ورأيا.
قام بخلافة الامين، وساق اليه خزائن الرشيد، وسلم اليه البرد، والقضيب والخاتم، جاءه بذلك من طوس، فلما ادبرت دولة الامين، اختفى الفضل مدة طويلة، ثم ظهر اذ بويع ابراهيم بن المهدى، فساس نفسه ولم يقم معه ولذلك عفا عنه المأمون. مات سنة ثمان ومائتين وهو من موالى عثمان بن عفان رضى الله عنه. يقال انه تمكن من الرشيد، وكان يكره البرامكة فنال منهم وملأه على ذلك كاتبهم اسماعيل بن صبيح. ويقال انه قدم==

اليه الاشراف على الدواوين بل اختصه بنفقاته وتدبير اموره"[١]. ولما ولي الفضل الوزارة تهوس بالادب ،وجمع اليه اهل العلم فحصل منه ما اراد في مدة يسيرة.[٢]

ولقد استمر الفضل بن الربيع وزيرا للرشيد الى ان توفى الرشيد بطوس ، وكان حاضر الوفاته[٣] ،فجمع الفضل العسكر وما فيه ورجع الى بغداد[٤].

ولما توفى الرشيد،وبويع لابنه محمد الامين بالخلافة،لعب الوزراء دورا خطيرا في اذكاء نار الفتنة بين الاخوين(الامين والمأمون).

لقد استمر الفضل بن الربيع وزيرا للامين وهو الذى حسن له خلع المأمون والبيعة لابنه موسى الهادى[٥]. يقول الجهشيارى:"ولما استوثق الامر لمحمد الامين – زين له الفضل بن الربيع خلع المأمون"[٦] ،فلم يزل الفضل يصغر في عينه شأن المأمون ويزين له خلعه ،حتى قال له :ماتنتظر يا امير المؤمنين بعبدالله والقاسم اخويك .

فان البيعة كانت لك متقدمة قبلهما ،وانما ادخلا فيها بعدك واحدا بعد واحد"[٧].

= عشر قصص الى جعفر البرمكي ،فعللها ،ولم يوقع على شئ منها ،فاخذها الفضل ،وقام وهو يقول : ارجعن خائبات خاسرات . ولما نكبوا ولي الفضل وزارة الرشيد وعظم محله ومدحته الشعراء. الذهبي ،سير اعلام النبلاء،ج١٠،ص ١٠٩– ١١٠،وانظر ترجمته في ابن خلكان ٣٧/٤،وابن كثير البداية والنهاية ٦٣/١٠، التنوخي ، الفرج بعد الشدة،٣٠٧/١ .

(١) الدورى ، النظم الاسلامية ،مرجع سابق ،ص ٢٢٤

(٢) الفخرى ،ص ٢١١.

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،جـ ٨ ،ص ٢٤٥.

(٤) الفخرى ،ص ٢١١.

(٥) نفس المصدر،ص ٢٤٣.

(٦) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ٢٩٠

(٧) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،جـ ٨ ،ص ٣٧٥.

وكان الفضل بن[١] سهل يمثل العنصر الفارس فى الفتنة بين الامين والمأمون ..... ولاغرو فقد اوغر الفضل بن سهل قلب المأمون على اخيه الامين"[٢]

واشتعلت الفتنة بين الاخوين بفعل وزراء السوء الذين زينوا للطرفين ذلك ،وكان هم كل وزير مصلحته الشخصية فقط فاحجوا الفتنة التى انتهت بمقتل الامين فى عام ١٩٨ هـ وتولى المأمون الخلافة وقد تحدثنا عن وقائع هذه الفتنة فى فصل الخلافة.

كافأ المأمون وزيره الفضل بن سهل على الدور الذى قام به فى نقل الخلافة اليه واطلق يده فى الامور ولقبه بذى الرياستين ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير"[٣].

وفوض المأمون وزيره الفضل بتوقيع خاص وخطى وهذا اول تشريف من نوعه[٤] جاء فيه :"وقد جعلت لك مرتبة من يقول فى كل شئ فيسمع منه ،ولاتتقدمك مرتبة احد مالزمت ما امرتك به من العمل لله ولنبيه والقيام بصلاح دولة انت ولى بقيامها وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله ،وجعلته لك كفيلا على عهدى"[٥]

---

(١) الفضل بن سهل السرخسى اخو الوزير الحسن بن سهل . اسلم ابوهما على يد المهدى ،واسلم الفضل سنة تسعين ومائة على يد المأمون .وقيل لما عزم جعفر البرمكى على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل ،فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب "ذا الرئاستين" لانه تقلد الوزارة والحرب ... قتله خال المأمون فى حمام سرخس فى شعبان سنة اثنتين ومائتين .
الذهبى ،سير اعلام النبلاء،جـ١٠،ص ٩٩-١٠٠ وانظر ترجمته فى ابن خلكان ٤١/٤ والخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ٣٤١/١٢، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، ١٧٢/٢-١٧٣.

(٢) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،جـ٢،ص ١٧٥.

(٣) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ٣٠٥، الحصرى القيروانى ،ص ٣٥٢.

(٤) الدورى ،النظم الاسلامية ،ص ٢٢٥، اليوزبكى ،الوزارة ،ص ٦٠٨

(٥) الجهشيارى ،الوزراء ،ص ٣٠٦.

"كان الفضل سخيا كريما يجاري البرامكة فى جوده شديد العقوبة ،سهل الانعطاف ،حليما بليغا عالما باداب الملوك بصيرا بالحبل جيد الحدس محصلا للاموال وكان يقال له الوزير الامير"(١).

وكان يترسم خطى الفرس فى تصرفاته يقول الجهشياري : "ان الفضل بن سهل بن زادا نفروخ كان يجلس على كرسى مجنح ،ويحمل فيه اذا اراد الدخول على المأمون ،فلايزال يحمل حتى تقع عينا المأمون عليه .فاذا وقعت وضع الكرسى ونزل عنه فمشى ،وحمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون ،ثم يسلم ذو الرياستين ،فيعود ويقعد عليه"(٢).

ان هذا التصرف يعد من البوادر الخطيرة التى ظهرت على ادارة الدولة الاسلامية ويمثل قمة الغرور والصلف الذى وصل اليه الفضل بن سهل ،وماكان للخليفة المأمون ان يرضى بمثل هذا التصرف ولكن يبدو ان الفضل كان مستحوذا عليه بدرجة كبيرة .

ولم يستفد المأمون من التجارب التى مربها اسلافه مع وزرائهم وماكان له ان يفوض الفضل بن سهل فى أموره ،وكانت نهاية الوزير ابن سهل كنهاية اسلافه المستبدين ،فقد قتله بعض حشم المأمون فى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م(٣) ،لانه استبد الامور وستر الاخبار عن الخليفة يقول ابن طباطبا(٤). "وكان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون ومن امتنانا كثيرا بقيامه فى أمره واجتهاده فى اخذ الخلافه له ،فكان قد قطع الاخبار عنه ،ومتى علم ان احدا قد دخل عليه واعلمه بخير سعى فى مكروهه وعاقبه فامتنع الناس من كلام المأمون ،فانطوت الاخبار عنه . فلماثارت الفتنة ببغداد،وخلع المأمون وبويع ابراهيم بن المهدى ،وانكر العباسيون على المأمون فعله ،كتم الفضل ابن سهل ذلك عن المأمون مدة"(٥)

(١) ابن طباطبا ، الفخرى ،ص ٢٢١

(٢) الوزراء والكتاب ،ص ٣١٦-

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص٥٦٥،ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،حـ٢،ص ١٧٣ .

(٤) الفخرى فى الاداب السلطانية ،ص ٢١٨ .

(٥) تحدثنا فى فصل الخلافة عن ملابسات بيعة اهل بغداد لابراهيم بن المهدى حينما جعل المأمون ولى عهده عليا الرضا.

استوزر المأمون بعدمقتل الفضل بن سهل اخاه الحسن بن سهل(١)، وتزوج بابنته بوران ترضية له(٢)

ثم استوزر المأمون بعده احمد بن ابى خالد(٣) الذى كان من خيار الوزراء يحب ان تخلص قلوب الرعية لامامه فكان دائم المشورة بمايسر أنفسهم ويسل دفين الاحقاد من قلوبهم "(٤) وكان جوادا فاضلا مدبرا اذا رأى وفطنة"(٥)

ومن عيوبه انه كان شرها يتقرب اليه الناس بالماكل لينالوا ماعنده من المصالح وكان المأمون يعرف ذلك منه فأجرى عليه كل يوم لمائدته ألف درهم لئلا يشره الى طعام احد من بطانته، وكان مع هذا يشره الى طعام الناس وتمتد عينه الى هدية تأتيه"(٦).

ولم يكن احمد بن خالد الا"منفذا يرجع الى المأمون فى كل شئ"(٧).

---

(١) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ١٧٣.
وهو الحسن بن سهل الوزير الكامل ابو محمد، حمو المأمون واخو الوزير ذى الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس فاسلم سهل زمن البرامكة.... ونشأ الفضل مع المأمون فغلب عليه، وتمكن الى ان قتل فاستوزر المأمون بعده اخاه. ولم يزل فى صعود وترق الى ان تزوج المأمون ببنته بوران سنة عشر ومائتين ... مات بسرخس فى ذى القعده سنة ست وثلاثين ومائتين. الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج١١، ص ١٧١-١٧٢، وانظر ابن خلكان، ١٢٠/٢، الزركلى، الاعلام، ١٩٢/٢.

(٢) الدورى، النظم الاسلامية، ص ٢٢٦.

(٣) احمد بن ابى خالد الاحول الكاتب، ابو العباس وزر للمأمون بعد الفضل بن سهل، وكان جوادا ممدحا شهما داهية سائسا... وكان ابوه كاتب الوزير المهدى، ت سنة ٢١٢هـ. الذهبى، سير اعلام النبلاء، ١٠/٥٥-١٥٦.

(٤) الخضرى، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٨٥.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٠٣.

(٦) الخضرى، الدولة العباسية، ص ١٨٦.

(٧) الريس، مرجع سابق، ص ٤٤٤.

وبعد وفاته سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م " استوزر المأمون احمد بن يوسف [١] الـذى كان كاتبا من خيرة الكتاب ،واجودهم خطا،وكان من حاشية المأمون من يحسده على الدرجة التى وصل اليهافكادوا له حتى عزل واستوزر المأمون بعده القاضى يحى بن اكتم [٢] وكان من جملة العلماء والفقهاء فكان اليه تدبير المملكة والقضاء وقلما اجتمعا فى شخص واحد" [٣]

وكان يحى على مذهب العامة فكان اذا اراد المأمون شيئا يخالف ماهم عليه احتال فيما يرجعه عنه [٤]،فقد اراد المأمون أن يعلن يوما حل زواج المتعة فدخل عليه يحى متغير الوجه واستطاع ان يقنعه ويرده الى الصواب فاستغفر المأمون ونادى بتحريم زواج المتعة [٥].

---

(١) احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، ابوجعفر الكاتب مولى بنى عجل. كان من افضل كتاب المأمون ،واذكاهم وافطنهم واجمعهم للمحاسن، فصيح اللسان حسن اللفظ مليح الخط، يقول الشعر فى الغزل والمديح والهجاء وله اخبار مع ابراهيم بن المهدى وابى العتاهية وغيرهم ت سنة ٢١٣ هـ. الخطيب البغدادى تاريخ بغداد، ٢١٦/٥ .

(٢) هو ابومحمد يحى بن اكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشيخ، التميمى الاسيدى المروزى ،من ولد اكثم بن صيفى التميمى حكيم العرب ،كان عالما بالفقه بصيرا بالاحكام . واسع العلم ،وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعا وكان المأمون ممن برع فى العلوم فعرف من حال يحى بن اكثم ماهو عليه من العلم والعقل مما اخذ بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة وتدبير شئون مملكته فكان الوزراء لايعملون الا بعد مطالعته ت سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م بالربذه منصرفا من الحج، وله سبعين سنة .
ابن خلكان وفيات الاعيان ،حـ٦ ،ص ١٤٧-١٤٨، الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ،حـ١ ،ص ٣٤٥، الزركلى ، الاعلام حـ ٨ ،ص ١٣٨.

(٣) اليوزبكى،مرجع سابق ،ص ٦٤-٦٥.

(٤) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ١٨٧.

(٥) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد،حـ ١٤،ص ١٩٩، ابن خلكان ،وفيات الاعيان، حـ ٦ ،ص ١٤٩-١٥٠ .

ولم يكن ختام امره مع المأمون خيرا،فقد كان من ضمن وصية المأمون لاخيه المعتصم ،ولا تتخذن بعدى وزيرا تلقى اليه شيئا فقد علمت مانكبنى به يحى بن اكثم فى معاملة الناس وخبث سيرته حتى ابان الله ذلك منه فى صحة منى فصرت الى مفارقته قاليا له غيرراض بماصنع فى اموال الله وصدقاته لاجزاه الله عن الاسلام خيرا"[١].

"وزر للمأمون بعده، ابوعباد ثابت بن يحى بن يسار[٢] الرازى ،وقد كان كاتبا حاذقا بالحساب الا ان به حماقة"[٣]. وقد نهض بأمور الاموال على اتم مايكون للمأمون[٤].

وكان اخر وزراء المأمون ابى عبدالله محمد بن يزداد بن سويد[٥]،ولم يكن ذا نفوذ كبير،وقد ظل وزيرا الى ان توفى المأمون .[٦]

نلاحظان وزراءالمأمونالذين وزروا بعدالفضل بن سهل كلهم كانواوزراءتنفيذ ويبدو ان المأمون قد استفادمن تجربته مع الفضل بن سهل فلم يترك لوزرائه حرية التصرف الكامل فى شئون الدولة واصبح يشرف على الامور بنفسه حتى لايستبد الوزراء بالامور دونه.

---

(١) الخضرى ،مرجع سابق ،ص١٨٩

(٢) ثابت بن يحى بن يسار الرازى ،احد الكفاة البارعين فى الحساب والتصرف والمعرفة ،وبذلك ساد وتقدم وكان جوادا سمحا سريا، الا انه كان منقبضا عبوسا.عاش خمسا وستين سنة وتوفى فى المحرم سنة عشرين ومائتين، الذهبى ،سير اعلام النبلاء،١٠/١٩٩.

(٣) الفخرى ،مصدر سابق ،ص٢٢٦.

(٤) الذهبى ،سيراعلام النبلاء ،١٠/١٩٩

(٥) محمد بن يزداد بن سويد المروزى ،من وزراء المأمون وكان كاتبا للانشاء فى دولة بنى العباس . ت سنة ٢٣٠هـ بسر من راى له شعرجيد. ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، حـ ٢،ص ٢٥٨، الزركلى ، الاعلام،٧/١٤٣.

(٦) ابن طباطبا، الفخرى ،ص ٢٢٧

ولما ولى المعتصم الخلافة ٢١٨ - ٢٢٧ استوزر الفضل بن مروان[١] وهو الذي اخذ له البيعة ببغداد وفوض اليه الوزارة واستقل بالامور دون الخليفة[٢].

ولما اراد الاستبداد بالامور امر المعتصم بحبسه " وان يحمل الى منزله ببغداد ثم نفاه الى قرية فى طريق الموصل"[٣]. وكان المعتصم يقول حينما قبض عليه "عصى الله فى طاعتى فسلطنى عليه".[٤]

ومنذ عهد المعتصم بدأت الوزارة تضعف وتضمحل ،بسبب تولى وزراء لاعلم لهم بالادارة ولا دراية بالحكم فقد استوزر المعتصم بعد الفضل بن مروان، احمد بن عمار[٥] وكان هذا الوزير لايتمتع بالكفاءة الادارية ،والصلاحيات اللازمة مما كان سببا فى عزله "[٦]. فقد روى انه ورد على المعتصم كتابا من بعض العمال فيه" ومطرنا مطرا كثر عنه الكلأ" فقال له المعتصم ما الكلأ! فقال : لا ادرى :انا لله وانا اليه راجعون . خليفة امى وكاتب امى ثم استدعى محمد بن عبد الملك الزيات[٧] فسأله عن الكلأ؟ فقال : النبات كله رطبه

---

(١) ابو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس تولى الوزارة للمعتصم فى مستهل شهر رمضان سنة ٢١٨ هـ وخلع عليه المعتصم ،ورد اموره كلها اليه فغلب عليه بطول خدمته وتربيته اياه ،وكذلك كان فى اواخر ولاية المأمون فانه غلب عليه كثيرا. ت سنة ٢٥٠هـ وعمره ثمانون سنة . ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،٤/٤٥-٤٦ .ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ٢/٢٣٢،الزركلى ، الاعلام،٥/١٥١.

(٢) ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،جـ ٤،ص ٤٥

(٣) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ٢٣١

(٤) ابن خلكان ، المصدر السابق ،ص ٤٦

(٥) احمد بن عمار بن شاذى البصرى ،وزير المعتصم ،وقور رزين مهذب ذى عفة وصدق وخير وكان جده طحانا . ت سنة ٢٣٨ هـ بالبصرة .
الذهبى ،سير اعلام النبلاء،١١/١٦٥.

(٦) اليوزبكى ، الوزارة ،مرجع سابق ،ص ١٢٩.

(٧) الوزير الاديب العلامة ابوجعفر محمد بن عبد الملك الزيات كان والده زياتا سوقيا ،فساد هذا بالادب وفنونه ،وبراعة النظم والنثر،ووزر للمعتصم وللواثق ،وكان معاديا لابن ابى داود فأغرى ابن ابى داود المتوكل حتى صادر ابن الزيات وعذبه . وكان يقول بخلق القرآن . مات فى السجن سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وله ترسل بديع وبلاغة مشهورة . الذهبى ،سير اعلام النبلاء ١١/١٧٢-١٧٣.

ويابسه ،فالرطب منه خاصة يقال له خلا،ومنه سميت المخلاة ،واليابس يقال له حشيش ثم اندفع في صفات النبات فاستحسن المعتصم منه ذلك واستوزره وصرف احمد بن عمار[١]. لينظر في الدواوين.

استمر الزيات وزير للمعتصم الى ان توفى "فنهض باعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من اضرابه،وكان جبارا متكبرا فظا غليظ القلب خشن الجانب مبغضا الى الخلق"[٢].

ولكن على الرغم من ذلك فقد كان على جانب كبير من الكفاءة الادارية ولذلك فقد أقر الخليفة الواثق محمد بن عبدالملك الزيات على وزارته بعد ان كان ساخطا عليه في ايام ابيه وحلف يمينا مغلظة ان ينكبه اذا صار الامر اليه ،فلما ولى امر الكتاب بان يكتبوا مايتعلق بامر البيعة ،فكتبوا فلم يرض ماكتبوه ،فكتب ابن الزيات نسخة رضيها وامر بتحرير المكاتبات عليها فكفر عن يمينه وقال عن المال والفدية عن اليمين عوض ،وليس عن الملك وابن الزيات عوض"[٣]. ومالبث ابن الزيات حتى اصبح صاحب الامر اكثر مماكان في عهد المعتصم[٤]. ولم يستوزر الواثق غيره الى ان توفى .

لقد كانت مؤسسة الوزارة من اهم المؤسسات الادارية في العصر العباسي الاول وقد لعبت دورا كبيرا في اضافة اسس جديدة وهامة للادارة الاسلامية ،ولقد راينا فيما سبق من استعراضنا لاحوال الوزارة في هذا العصر انها في اغلب الاحيان ،كانت وزارة تنفيذ،ورأينا في الاحوال التي فوض فيها الخليفة وزيره القيام بامور الدولة استبداد الوزير المفوض دون الخليفة (البرامكة – الفضل بن سهل). واستئثاره بالاموال والاخبار والتصرف في

---

(١) الحصري القيرواني ،زهر الاداب ،ج ٣،ص ٨٤١،وانظر ابن خلكان،وفيات الاعيان ،ج ٥،ص ١٠١-١٠٢

(٢) ابن طباطبا ، الفخري ،ص ٢٣٤.

(٣) ابن خلكان،وفيات الاعيان ،ج ٥،ص ٩٩.

(٤) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسي ،ج٢،ص ٢٦٢، الخضري الدولة العباسية ،ص ٢٤٩.

شئون الدولة كيفما يحلو له وسرعان مايعلم الخليفة بذلك فينقلب على وزيره لينكبه فيعزله ويصادر املاكه مع افراد اسرته على اقل تقدير،هذا ان سلم من السجن اوالقتل • يقول الدكتور الدوري :لقد مرت الوزارة بدور تجربة قاسية خلال العصرالعباسى الاول وتدرجت فى ظروف مساعدة واخرى دقيقه وينسب الى المأمون انه نصح خليفته بعدم استوزاراحد[(١)]،ولكن المؤسسة ـ اى الوزارة ـ ثبتت واصبحت من اركان تنظيمات العباسيين(٢)•

---

(١) انظر نصيحة المأمون للمعتصم فى ص١٢٩.

(٢) الدورى ،النظم الاسلامية ،ص ٢٢٧ .

الفصل الثالث

الدواوين فى العصر العباسى الاول

الدواويـــن :

الديوان كلمة فارسية تعنى السجل(1). وعرفه القلقشندى "بأنه اســم للموضع الذى يجلس فيه الكتاب ،وهو بكسر الدال . قال النحاس فى صناعــة الكتاب وفتحها خطأ قال : واصله دوان ،فأبدلت احدى الواوين ياء فقيــل ديوان ويجمع على دواوين واختلف فى اصله . فذهب قوم الى انه عربى.قــال النحاس والمعروف فى لغة العرب ان الديوان الاصل الذى يرجع اليه ويعمــل بمافيه ،ومنه قول ابن عباس :اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب "(٢).

ويرجح الصولى ان كلمة ديوان عربية يقال دونته اى اثبته.(٣)

نشأة الدواويــن :

ارتبطت نشأة الدواوين فى الدولة الاسلامية بالخليفة عمر بن الخطــاب رضى الله عنه ،يقول الماوردى فى الاحكام السلطانية :اول من وضع الديــوان فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . واختلف الناس فى سبب وضعه له فقال قوم سببه ان أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة الف درهم فاستكثره عمر فقال له :اتدرى ماتقول ؟قال نعــم مائة ألف خمس مرات فقال عمر اطيب هو ؟ فقال لا ادرى ؟ فصعد عمر المنبــر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال :ايها الناس قد جاءنا مال كثير،فــان شئتم كلنا لكم كيلا، وان شئتم عددنا لكم عدا،فقام اليه رجل فقال يا اميــر المؤمنين قد رايت الاعاجم يدونون ديوانا لهم فدون انت لنا ديوانا"(٤)

---

(١) د. السيدعبدالعزيز سالم ،العصرالعباسى الاول ،ح٣،ص ٢٦٤،د.صبحى الصالح، النظم الاسلامية ،ص ٣١٢،د. الدورى ، النظم الاسلامية ،ص ١٩٤،د. الشامى،الدولة الاسلامية فى العصرالعباسى الاول ص ١٧٥،د. حسن ابراهيم حسن، النظــم الاسلامية ،ص ١٧٠.

(٢) القلقشندى ،صبح الاعشى فى صناعة الانشاء،ح١،ص ٨٢-٩٠،ط المطبعــة الاميرية/ القاهرة.

(٣) الصولى ،ابوبكر محمد بن يحى الصولى ،ادب الكتاب ،دارالباز للطباعة والنشر،مكة المكرمة ،ص ١٨٨.

(٤) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٩٦،وانظرابويوسف ،الخراج ص ١٠٤، البلاذرى ،فتوح البلدان ،ص ٤٣٩-٤٤٠ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ح ٣ ،=

وقال آخرون بل سببه ان عمر بعث بعثا وكان عنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل فمن اين يعلم صاحبك به فاثبت لهم ديوانا فسأله عمر رضى الله عنه عن الديوان ففسره له"(١)

ويذكر الماوردى والنويرى سببا اخر لتدوين الديوان فيقولان ان عمر رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الديوان فقال له على بن ابى طالب رضى الله عنه: تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ولاتمسك منه شيئا وقال عثمان ابن عفان رضى الله عنه ارى مالاكثيرا يتبع الناس ،فان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم ياخذ خشيت ان ينتشر الامر،فقال خالد بن الوليد قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا فاخذ بقوله...."(٢)

ويذكر الجهشيارى ايضا فى كتابه الوزراء والكتاب " ان عمراول من دون الدواوين من العرب فى الاسلام"(٣).

وبعد ذلك توسع المسلمون فى استخدام الدواوين فيما بعد نتيجة للتطورات الادارية التى حدثت فى الدولة الاسلامية فى العصر الاموى .

ولماتولى العباسيون الخلافة حافظوا على الدواوين التى كانت قائمة من قبل ، واستحدثوا دواوين جديدة ولكنها:" لم تصل الى المرحلة التى انفردت فيها اختصاصات كل منها بوضوح وتميزت بدقة عن اختصاصات غيرها وان كانت الخطوط العامة لاعمال كل منهايمكن ملاحظتها وتتبعها الى حد كبير"(٤).

= ص ١٢٩، الصولى ، ادب الكتاب ،ص ١٩٠، الجهشيارى، الوزراء ،ص ١٦، النويرى نهاية الارب فى فنون الادب ،حـ ٨ ،ص ١٩٧.

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٩٩، النويرى ،نهاية الارب ،حـ٨،ص ١٩٧.

(٢) نفس المصدرين السابقين ،الماوردى ،ص ٢٠٠، النويرى ،ص ١٩٨.

(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٦،وانظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٤) د.حسام الدين السامرائى ، المؤسسات الادارية ،دار الفكر العربى ،ص ٢٩٦.

وكانت اهم الدواوين المركزية فى العصر العباسى الاول هى :-

(١) ديوان الخراج .

(٢) ديوان بيت المال .

(٣) ديوان البريد .

(٤) ديوان الرسائل .

(٥) ديوان الجند .

(٦) ديوان الخاتم.

(٧) ديوان المظالم. وسنتحدث عنه من خلال حديثنا عن ولاية المظالم.

وكانت هذه الدواوين المركزية قائمة من قبل خلال العصر الاموى الا انها تطورت بشكل ملحوظ خلال العصر العباسى الاول كما استحدث العباسيون الدواوين التالية :

(١) ديوان النفقات .

(٢) ديوان المصادرات .

(٣) ديوان الزمام .

(٤) ديوان الصوافى .

(٥) ديوان الضياع .

وسوف نتناول هذه الدواوين بشئ من التفصيل .

اولا : ديوان الخراج :

يعتبر ديوان الخراج عمدة الدواوين المالية فى الدولة الاسلامية ولذلك فانه ياتى فى مقدمة الدواوين العباسية وقد تطور هذا الديوان تطورا كبيرا فى عهد العباسيين الاوائل وظل هذا الديوان الذى انشأه الامويون باقيا فى عهد العباسيين . ولم تحفظ فيه تقارير الضرائب التى تجمع فحسب وانما حفظت فيه كذلك سجلات النفقة وبذلك صار ديوان الماليه المركزى ... وكذلك ورد الى هذا الديوان جميع المقادير الفائضة من الولايات بعد دفع رواتب الموظفين"(١).

---

(١) مولوى الحسينى ، الادارة العربية ،ص ٢٣٦ .

لقد اولى الخلفاء العباسيون الإوائل هذا الديوان عنايتهم البالغة اذ ان مالية الدولة تعتمد عليه اعتمادا كليا، وقد ادخلت عليه تعديلات هامة وخاصة فى عهد الخلفاء ، المنصور المهدى ، الرشيد كماسنرى .

لما ولى السفاح الخلافة اسند ادارة هذا الديوان مع غيره من الدواوين الاخرى الى وزيره ابى سلمة الخلال حينما" فوض اليه الامور وسلم اليه الدواوين "(١) ولما قتل ابوسلمة أسندت ادارته الى خالد بن برمك الذى جعل له السفاح" ديوان الخراج وديوان الجند".(٢)

وقد سبق لخالد بن برمك ،عندماكان متقلدا الخراج فى عسكر قحطبة بن شبيب ،انه قسط الخراج فاحسن فيه الى اهله.(٣)

ويبدو ان النظام المعمول به فى هذا الديوان ،استمر كماكان عليه من قبل فى عهد الامويين ،ولم يحدث تطور يذكر فى عهد السفاح،سوى ماقام به خالد بن برمك من " استحداث دفاتر فى عمل الدواوين بدلا من الصحف "(٤)

امافى عهد ابى جعفر المنصور فقد اجريت اصلاحات واسعة على الخراج "فقد امر المنصور بتعديل السواد وقلد ذلك جمادا التركى"(٥) ومعنى تعديل السواد اعادة النظر فى مقادير الضرائب المربوطة على الكور.(٦)

كان المنصور مهتما اهتماماكبيرا بالخراج ،ومن مظاهراهتمامه بالخراج "انه انشأ ديوانا فرعيا من ديوان الخراج سمى بديوان الاكره

---

(١) ابن طباطبا، الفخرى ،ص ١٥٥.
(٢) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ٨٩ .
(٣) الجهشيارى ، الوزراء،ص ٨٧ .
(٤) المصدرنفسه ،ص ٨٩ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٣٤ .
(٦) د. ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم الماليه،ص ٣٨٩ .

لبناء السدود وحفر الترع والقنوات وكرى الانهار"(١).

وقد ذكر الطبرى انه قال :"ان اركان الملك اربعة ولايصلح الملك الا بهم ـ ومن هؤلاء الاربعة ـ صاحب خراج يستقصى ولايظلم الرعية فانى عن ظلمها غنى"(٢).

وبلغ من اهتمام المنصور بهذا الديوان ان خصص له مكانا فى بغداد ليكون على مقربة منه خاضعا لاشرافه. وكان اشد حرصا على ان لايتولى وظائفه الا من عرف بالكفاية ونزاهة اليد واشترط فى هؤلاء الموظفين الحرية والامانة والتفقه فى امور الدين والالمام بقواعد الخراج"(٣).

وكان يتولى الخراج للمنصور، ابو ايوب المورياني الذى قلده الدواوين مع الوزارة(٤) وظل كذلك الى ان عزله المنصور فى سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م.

وقدكان المنصورحريصا على الرعية لايجامل احدا من ولاته ،حتى ولو كانت تربطه به صلة قرابة ،فقد عزل ابن اخيه عبدالوهاب بن ابراهيم عن ولاية فلسطين ،لما عسف باهلهافى امر الخراج وظلمهم ،وشكا اليه اهل فلسطين من تصرفاته ،فيروى الجهشيارى :ان احد اهل فلسطين ويدعى ابن مجير قدحضر الى المنصور ـ شاكيا ـ فقال له: ماوراءك يا ابن مجير؟ فاخرج له طائرا من كمه ،قد نتفه حتى لم تبق عليه ريشة واحدة ،فقال له :فارقت البلد يا امير المؤمنين وقد نتفه ابن اخيك ،حتى تركه كما تركت هذا الطائر فاظهر المنصور انكارا شديدا وعزله(٥)

(١) د. ضيف الله الزهرانى ،موارد بيت المال فى الدولة العباسية ،ص ٢٤٥.
(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ ٨ ،ص ٦٧.
(٣) د. حسن احمدمحمود، العالم الاسلامى فى العصر العباسى،ص ١٩٥.
(٤) الجهشيارى ، الوزراء،ص ٩٧.
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٣٧.

وينسب الى عهد المنصور تلك الرسالة التى وجهها ابن المقفع للمنصور تتعلق بالخراج والسياسات المتبعة فيه وقد ذكر هذه الرسالة الاستاذ احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ،حـ١،ص ٢٠٧-٢١٦ الا اننى لم اقف على اصلها فى المصادر الموثقة المتوفرة لدى ولا اجزم بصحة هذه الرسالة الا ان فيها بعض الاراء القيمة فقد شكا الى المنصور من الفوضى فى الخراج ـ ويبدو ان ذلك كان دون علم المنصور ـ وان الاراضى ـ مـع ==

وفى عهد المهدى حدث تطور مهم فى هذا الديوان ،حيث عدلت الدولة الى نظام المقاسمة بدلا عن نظام المساحة [١]، الذى كان معمولا به منذ عهد عمر بن الخطاب "[٣]. وقد ابتكر هذا النظام وزير المهدى ابى عبيدالله معاوية بن يسار،يقول ابن طباطبا:"٠٠٠٠ وكان السلطان ياخذ عن الغلات خراجا مقررا ولايقاسم،فلماولى ابوعبيد الله الوزارة قررالمقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر"[٢]

= اختلافها جودة - ليس مقررا على كل وحدة منهامبلغ معين،ولاسجل ذلك فى دفاتر يحفظ اصلها ويحصل بمقتضاها ،واقترح للاصلاح ان تمسح الارض،ويفرض عليها المال المناسب ،ويعرف كل مالك ماله وماعليه ،ويدون ذلك فى سجلات تحفظ اصولها فى دواوين الدولة. ففى هذا صلاح للرعية وعمارة للاراضى وحسم لابواب الخيانة وغشم العمال . واشار اليه ايضا بتخير الذين يتولون هذا العمل ،وشدة الرقابة عليهم،والاستبدال بهم عند ظهور خيانة عليهم،واشار اليه ان يحول بين الجنود وبين ادارة الشئون المالية وان لايولى احدا منهم شيئا من الخراج وقدعلل ذلك بان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة،وعلى كل فان اباجعفر المنصور لم يكن غافلا عن هذه الامور وقد كان عينا ساهرة على احوال الرعية وحقوقها.

(١) معنى نظام المساحة ان يكون هناك خراج مقرر معين ،على مساحة محددة من الارض ،تجبيه الدولة كل عام - جملة او منجما.. دون نظر الى مايحدث من اختلاف كميات المحصول ،اواعتبارات اخرى :الااذا كان الحاكم عادلا فيرى تغيير مقدار الخراج المقرر بحسب ماتحتمله الارض والناس. امانظام المقاسمة : كالثلث مثلا للدولة والثلثين للمزارعين ،دون اعتبار للمساحة،فيتغير الخراج بطبيعة الحال بتغير المحصول الناتج من الارض.
الريس- الخراج ، ص٤٠٣،وبذلك يحس المزارع بالعدل فلا يؤخذ منه الا من الخارج من الارض فعلا.

(٢) د. ضياء الدين الريس ،المرجع السابق ،ص٤٠٢

(٣) الفخرى ،ص ١٨٢ .

امافى عصر الهادى" فان عهده لم يطل به اكثر من سنة ،ولذلك فانه لم يدخل تعديلات تذكر على النظام الذى كان سائدا من قبل " وقلد محمد بن جميل ديوان خراج العراقين ، وولى عبيدالله بن زياد بن ابى ليلى ديوان خراج الشام وما يليها"(١).

ونظرا لقصر مدة خلافته ،فان المصادر لم تعطنا تفصيلات وافية لاعمال الخراج فى عهده .

واما عهد هارون الرشيد ،فقد كان بحق عصر النهضة الاقتصادية الكبرى، التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدولة العباسية ،وقد ادخلت الكثير من الاصلاحات على الخراج فى عصره ،ففى بداية عهده سنة ١٧١هـ/٧٨٧م ذكر الطبرى انه "وضع عن اهل السواد العشر ،من الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف"(٢).

ويقف كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف* دليلا شافيا على حسن نوايا الرشيد اذ ان ابا يوسف كتبه بطلب من الخليفة هارون الرشيد نفسه اذ يقول فى مقدمة كتابه :"ان امير المؤمنين ايده الله سألنى ان اضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به"(٣)

والغرض من وضع الكتاب "رفع الظلم عن الرعية والصلاح لامرهم"(٤).

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٦٧

(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ج٨ ،ص ٢٣٦

(٣) ابويوسف ، الخراج ،ص ٣١.

(٤) المصدر نفسه ،ص ٣١

* ابويوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى صاحب ابى حنيفة وكان قد سكن بغداد وولاه موسى بن المهدى القضاء بهاشم هارون الرشيد من بعده وهو اول من دعى بقاضى القضاة فى الاسلام. كان يحب اصحاب الحديث ويميل اليهم. كان يصلى فى كل يوم مائتى ركعة بعدما ولى القضاء ت ببغداد سنة ١٨٢هـ. انظر الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١٤ ،ص ٢٤٢ وما بعدها
ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج٦ ،ص ٣٧٨ وما بعدها.

وقد اشار ابو يوسف على الخليفة هارون الرشيد باتباع نظام المقاسمة العادلة الخفيفة التى فيها رضى للسلطان ولايشعر اهل الخراج بالظلم(١).

فهو يؤيد نظام المقاسمة العادلة الخفيفة الذى ادخل فى عصر المهدى ويرى ان هذا النظام اوفر لبيت المال من غيره.

يقول ابو يوسف رأيت ابقى الله امير المؤمنين - ان يقاسم من زرع الحنطة والشعير من اهل السواد جميعا على خمسين السيح منه، واما الدوالى فعلى خمس ونصف. واما النخل والكروم والرطاب والبساتين فعلى الثلث، واما غلات الصيف فعلى الربع....."(٢)

كما نهى ابو يوسف عن القبالة(٣) فقال:" ورأيت ان لاتقبل شيئا من السواد ولاغير السواد من البلدان، فان المتقبل اذا كان فى قبالته فضل على الخراج، عسف على اهل الخراج وحمل عليهم مالايجب عليهم، فيأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه وفى ذلك وامثاله خراب البلاد وهلاك الرعية"(٤)

كما اشترط ابو يوسف شروطا معينة فيمن يتولى الخراج فقال:"ورأيت - ابقى الله امير المؤمنين - ان تتخير قوما من اهل الصلاح والدين والامانة فتوليهم، الخراج، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لاهل الرأى، عفيفا لايطلع الناس منه على عورة، ولايخاف فى الله لومة لائم"(٥)

---

(١) ابو يوسف، الخراج، ص ١١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٣) هو ان يجعل شخص قبيلا: اى كفيلا بتحصيل الخراج واخذه لنفسه، مقابل قدر معلوم يدفعه - وهو ماعرف فيما بعد باسم نظام "الالتزام" - فيستفيد السلطان تعجيل المال، ويستفيد المتقبل الفرق بين مادفعه وما حصله.
الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٢٦١.
(٤) ابويوسف، الخراج، ص ٢٢٥
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

هذا غيض من فيض مماذكره ابويوسف فى كتابه الخراج اتينا به كنماذج فقط لماحواه هذا الكتاب من احكام جليله تتعلق بالخراج وغيره ،ووثق ابويوسف كتابه بشواهد من عصرالرسول صلى الله عليه وسلم وعصرالراشدين .

لقد ترك الرشيد ادارة امور الدولة المالية لوزرائه البرامكة الذين وزروا له سبعة عشرةعاما" وكانت الكتب التى تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحى بن خالد ولم تكن تنفذ الا عن الخليفة"(١)

"ولكن البرامكة اساءوا استعمال السلطة التى منحت لهم باستغلال اموال الرعية مما ادى الى نكبتهم فى نهاية الامر وصار الرشيد قابضا على زمام الامور فى الدولة والاموال بين يديه"(٢).

وقد بلغت جملة جباية الخراج فى عهد الرشيد ٥٣٠٣١٢٠٠٠ درهم"(٣)

وبموت الرشيد بدأت الدولة فى الانهيار المالى ابان الفتنة بين الامين والمامون وتعطلت اعمال الدواوين ولم يكن الامين يولى اهتماما كبيرا لاعمال الدواوين(٤).

ووصل الامر الى احراق الدواوين(٥) وسجلاتها خلال الفتنة سنة ١٩٧ هـ بالاضافة الى فتن الاقاليم مماشل الادارة المالية فى الدولة العباسية تماما ،ولم تعاود هذه الادارة عملها الا حين وصل المامون بغداد سنة ٢٠٤هـ(٦)، حيث عاد ديوان الخراج مع الدواوين الاخرى الى مباشرة العمل واستأنف نشاطه من جديد وخفف المامون على اهل السواد مقدار الجباية التى كانت تؤخذ منهم تاليفا لقلوبهم حيث أمر بمقاسمة اهل السواد على الخمسين

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ١٧٨.
(٢) الريس ،مرجع سابق ،ص ٤٤٣
(٣) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ٢٨٨
(٤) انظر تفاصيل ذلك فى الجهشيارى ،ص ٢٩٩-٣٠٠
(٥) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ،ص ١٦٢.
(٦) د. شاكر مصطفى ،دولة بنى العباس ،ج١،ص ٦٠٥

وكانوا يقاسمون على النصف "(١)

وقبل ذلك امر المامون حينماكان مقيما فى خراسان بتخفيض الخراج عن اهل خراسان ،حيث حط عنهم ربع الخراج فكانوا يقولون "ابن اختنا وابن عم رسول الله "(٢).

ولكن هذا التخفيض لم يشمل اهل قم (٣) الذين طمعوا بدورهم فى ذلك التخفيض فثاروا ضد المامون سنة ٢٠٩هـ فقد ذكر ابن الاثير انهم كتبوا اليه يسالونه ان يخفض عنهم مقدار خراجهم الذى بلغ الفى الف درهم فلم يجبهم المامون الى ماسالوا فامتنعوا عن ادائه ،مما اضطر الى ارسال حملة لاخضاعهم.(٤)

وكان المامون يحاسب عمال الخراج محاسبة دقيقة(٥) ،على الرغم من انفاقه الشديد للمال الى درجة البذخ الذى تجلى فى زواجه ببوران بنت الحسن بن سهل(٦).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ ٨ ،ص٥٧٦، العينى ،عقد الجمان،حـ ٨ ، مخطوط ،مركز البحث العلمى برقم ١١٨٨.

(٢) الجهشيارى ،الوزراء ،ص ٢٧٩.

(٣) قم مدينة بارض الجبال بين ساوة واصفهان ،وهى كبيرة طيبة خصبة مصرت فى زمن الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين ،اهلها شيعة غالية جدا ،ومياههم من الابار اكثرها ملح وبها بساتين كثيرة على السواقى .
القزوينى ،اثار البلادواخبار العباد ،ص ٤٤٢.
وانظر اليعقوبى ،البلدان ،ص ٢٧٣.

(٤) انظر بن الاثير، الكامل ،حـ ٥ ،ص ٢٢٨

(٥) د. حسن احمد محمود، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ،ص ١٩٨.

(٦) انظر ابن الاثير، الكامل ،حـ ٥ ،ص ٢٢٨ .

استمرت السياسة الخراجية التي كانت سائدة في عصر المأمون في عصري المعتصم والواثق فقد بلغ مقدار الجباية في عصر المعتصم (٣١٤ر٢٧١ر٣٥٠) (١) درهما اما في عصر الواثق فقد بلغ مقدار الجباية (٢٩٩ر٢٦٥ر٣٤٠) درهما (٢).

ان مقادير الجباية هذه تشير الى الاهتمام الكبير الذي وجهه خلفاء بني العباس في هذا العصر الى ديوان الخراج باعتباره موردا اساسيا من موارد بيت المال، وتشير ايضا الى ان الجباية السنوية قد انتظمت نتيجة للاصلاحات التي ادخلت في هذا العصر من مقاسمة عادلة وتخفيض مقدار الجباية عند عجز المزارعين عن دفع ما عليهم كاملا، ومعاملة الرعية معاملة كريمة مما جعلهم يبادرون بتسديد ما عليهم من التزامات مالية.

ديوان البريد :

البريد كلمة فارسية واصلها "بريده ذنب" اي محذوف الذنب وذلك ان يقال "البريد محذوفة الاذناب" فعربت الكلمة وخففت وسمي البغل بريدا والرسول الذي يركبه بريدا" (٣)

والبريد في اللغة الرسول ثم اطلق على المسافة التي تقطعها دابة البريد وهي اثنى عشر ميلا. (٤)

وفي الاصطلاح: اعداد خيل مضمرات في عدة اماكن . فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا . وكذلك يفعل في المكان الاخر والاخر حتى يصل بسرعة. (٥)

---

(١) الشيخ محمد الخضري ، الدولة العباسية ، ص ٢٤٣-٢٤٤
(٢) د. حسن احمد محمود، المرجع السابق ، ص ٢١٨
(٣) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤٢.
(٤) محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح، دار الفكر (لبنان - بيروت) ص ٤٧
احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، ت ٧٧٠هـ، المصباح المنير، ج١ ص٤٣
(٥) ابن طباطبا ، الفخري، ص ١٠٦

والبريد ولاية جليلة ،ومتقلدها يحتاج الى جماعة كثيرة ،والى مواد غزيرة ،ومن جملة اعماله حفظ الطريق ،وبذرقتها ،وصيانتها من القطاع والسراق ، وطروق الاعداء وانسلال الجواسيس فى البر والبحر ،واليه ترد كتب اصحاب الثغور ،وولاه الاطراف ،وهو يوصلها بأسرع مايمكن من اختصار الطرق ،واختيار المراكب والراكب (١).

وأصحاب البريد بالنسبة للملوك ،بمنزلة العيون الباصرة ،والاذان السامعة ،فان اهمل الملك ذلك ، ولم يكشف حال عماله واوليائه ،انطوت عنه الاخبار ،ولم تستقم له السياسة بل لايحس بالشر حتى يقع فيه (٢).

واول من وضع البريد فى الدولة الاسلامية معاوية بن ابى سفيان" (٣).

وقد كان البريد مقصورا على نقل مايهم الدولة ورجالها ،كما كان صاحب البريد فى كل كورة بمثابة عين الخليفة يكتب اليه بكل مايقع عليه بصره اويصل الى اذنه من اخبار" (٤).

"وصاحب ديوان البريد هو الذى يتولى "عرض كتب اصحاب البريد والاخبار فى جميع النواحى على الخليفة اوعمل جوامع لها" (٥).

ولم يكن منصب "صاحب ديوان البريد فى العاصمة من المناصب الميسورة المنال ،فكان لابد من توافر صفات معينة بجانب الكفاءة وسعة الاطلاع ،اذ كانت لاتنحصر مهمة صاحب الديوان فى ارسال واستلام الرسائل الرسمية من الخليفة واليه ،وانما كانت تشمل الاشراف على جميع السلطات فى مختلف اجزاء الدولة" (٦).

---

(١) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ،حا ،ص ٣٠٢
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٩١
(٣) ابوهلال العسكرى ، الاوائل ،ص ١٩١
(٤) ابن طيفور ،تاريخ بغداد ،ص ٦٤
(٥) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ،ص ٧٧
(٦) السامرائى ، المؤسسات الادارية ،ص ٢٦٨-٢٦٩.

"ولاينبغي ان يكون بين صاحب البريد وبين الملك واسطة كما انه ليس لاحد من الولاة اوالعمال اوالقادة على صاحب البريد حكم ولاسلطة ورسائله ترد الى الحضرة بأعجل السبل وليس لاحد ان يفتحها اويؤخرها اوان يتعرض لها بأى وسيلة "(١)

"وللبريد فى الحضرة ديوان خاص يتولاه الثقة المؤتمن يجمع صاحبه جميع الرسائل التى ترد من الاطراف ويطالع بها فور وصولها"(٢)،وكان العمل فى ديوان البريد خاصا بأعمال الدولة لا لنقل رسائل الجمهور ومن ثم كان مصلحة من مصالح الدولة الخاصة"(٣).

وكان عمال البريد فى الدولة بمثابة المراقبين لاعمال غيرهم وكيفية ادائهم وخاصة عمال الولايات وقد اهتم العباسيون بهذا الديوان اهتماما عظيما حتى ان المنصور عض سبابته وهو يذكره دلالة على عظم شأنه واحتياج الدولة اليه للوقوف على اخبار اقاليمها المترامية الاطراف فى اقصر وقت واسرعه مع الامانة وحسن التصرف وسداد الرأى .

روى الطبرى ان المنصور قال :" ماكان احوجنى الى ان يكون على بابى اربعة نفر لايكون على بابى اعف منهم ،قيل له يا أمير المؤمنين من هم؟ قال هم اركان الملك ،ولايصلح الملك الابهم ،كما أن السرير لايصلح الا باربع قوائم ،ان نقصت واحدة وهى ،اما احدهم فقاض لاتأخذه فى الله لومة لائم ،والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ،والثالث صاحب خراج يستقصى ولايظلم الرعية فانى عن ظلمها غنى ،والرابع – ثم عض على اصبعة السبابة ثلاث مرات وهو يقول فى كل مرة آه آه – قيل له :ومن هو يا امير المؤمنين؟

---

(١) التنوخى ،ابوعلى المحسن بن ابى القاسم ت ٣٨٤هـ، الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجى ،بيروت ،١٣٩١هـ – ١٩٧١م ،حـ ١،ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٠٣

(٣) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،حـ ٢،ص ٢٧٠ .

قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة"(١).

"وكان فى ميسوره - اى المنصور - ان يراقب احسن المراقبة الادارة فى الولايات عن طريق نظام البريد،هذا النظام الذى نستطيع ان نقول انه لم ينشأ حقا، الا فى عهده بالرغم من وجوده ايام الامويين . وكان اصحاب البريد مسئولين عن جهاز الاستعلامات كله فى الحكومة،ولكن واجبهم الرئيسى كان ابقاء الخليفة على اطلاع دائم بمسالك عماله فى الحكم. وكانت تقاريرهم المطردة الدقيقة ذات فائدة كبيرة للمصلحة العامة. فالانباء التى اعتادوا ارسالها عن احوال الزرع مثلا،كانت تساعد على اتخاذ الاحتياطات المناسبة ضد اى نقص فى الغلال"(٢).

وكان ولاة البريد فى الافاق كلها يكتبون كل يوم الى المنصور مدة خلافته " بسعر القمح والحبوب والادم،وبسعر كل مأكول ،وبكل مايقضى به القاضى فى نواحيهم وبمايعمل به الوالى وبمايرد بيت المال من المال"(٣).

وقد عزل المنصور احد الولاة لان صاحب البريد كتب اليه انه اتخذ كلبا وبزاة للصيد (٤).

ومن امارات اهتمامه وعنايته بالبريد انه"كان اذا صلى المغرب وافاه صاحب البريد بماحدث فى بياض نهاره ،واذا صلى الصبح كتب اليه بماجرى فى سواد الليل ،وقد مكنه هذا الاطلاع الدقيق على احوال البلاد من الاشراف بنفسه على شئون الرعية ،واعادة الحق الى نصابه ما استطاع الى ذلك سبيلا"(٥).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٦٧، ابن الاثير الكامل فى التاريخ ، حـ ٥ ،ص ٤٦، الطرطوشى ، ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت ٥٢٠ هـ) سراج الملوك ، المطبعة الازهرية بمصر، الطبعة الاولى ١٣١٩هـ - ١٩٠١م ،ص٥٤.

(٢) كارل بروكلمان ،تاريخ الشعوب الاسلاميه ،نقله الى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكى ،ط ،دار القلم ،بيروت ،ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٩٦.

(٤) انظر المصدر نفسه ، حـ ٨ ،ص ٦٨.

(٥) د. صبحى الصالح ، النظم الاسلامية ،ص ٣٣٢.

حقا فقد كان البريد جهازا رقابيا خطيرا لعب دورا فعالا فى تقويم الادارة فى هذا العصر ولذلك فقد اولاه المنصور كل هذه العناية والاهتمام الزائدين مما مكنه من تصريف امور الرعية بكل يسر وسهولة.

ولما ولى المهدى الخلافة امر باقامة محطات بريد بين مكة والمدينة واليمن (١).

واستخدم العباسيون الدواب من بغال وخيل لحمل البريد، واستخدم الحمام الزاجل فى عصر الخليفة المعتصم.(٢)

اما الخليفة الهادى بن المهدى فهو اول خليفة ركب دواب البريد وذلك عندما علم بوفاة والده المهدى ليصل مسرعا الى بغداد يقول الجهشيارى "وكانت وفاة المهدى والهادى مقيم بجرجان وهارون مع المهدى فى عسكره ، فانفذ هارون نصيرا مولاه على دواب البريد بالخبر..... الى ان ورد موسى الهادى على دواب البريد ، ولايعلم خليفة ركب دواب البريد غيره" (٣).

وفى عصر الرشيد نظم خدمة البريد مستشاره يحى بن خالد البرمكى(٤)، الذى قلد ابنه جعفر بن يحى بريد الآفاق(٥).

ولكن الجهشيارى يذكر ان اداء هذا الجهاز قد ضعف فى اواخر عصر الرشيد فقد ذكر ان "امور البريد والاخبار فى ايام الرشيد كانت مهملة وان مسرورا الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ..... وان الرشيد توفى وعندهم اربعة آلاف خريطة لم تفض" (٦) ولكننا نستطيع ان نؤكد ان اهمال البريد لم يكن

---

(١) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، جـ ٨ . ص ١٦٢.
(٢) د. شاكر مصطفى ، دولة بنى العباس ، جـ ١، ص ٥٤٦ .
(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، وانظر القلقشندى ، مآثر الاناقة فى معالم الخلافة ، ص ١٨٩.
(٤) مولوى الحسينى ، الادارة العربية ، ص ٢٩٩.
(٥) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٠٤
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

طوال عهد الرشيد بل الايام التى يكون فيها الخليفة على راس جيش فى حرب ضد اعداء الاسلام ،وقداكدنا ذلك بناء على واقع الدولة ايام الرشيد فقد فقد كانت قوية مرهوبة الجانب يهابها الاعداء ويخشون بأسها.

ولعب البريد دورا هاما فى النزاع بين الامين والمأمون مما اضطر المأمون الى قطع البريد عن الامين حينما علم بنواياه العدائية تجاهه فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ١٩٤هـ أن المأمون لمابلغه ماأمر به محمد من الدعاء لابنه موسى .... علم انه يدبر عليه فى خلعه فقطع البريد عن محمد"(١)

وقد ادى قطع المأمون للاخبار عن اخيه الامين الى عدم معرفته بمايدور حوله من احداث بصورة جلية وكان المأمون على علم بمايدور حوله حيث كانت تاتيه الاخبار بصورة منتظمة فتمكن من الانتصار على اخيه بعد حصاره فى بغداد وقد تعرضنا لذلك عند حديثنا عن الفتنة بين الاخوين فى فصل الخلافة.

وفى عهد المعتصم كان للبريد دور اساسى فى القضاء على حركة الزط (٢) الذين عاثوا فسادا فى طريق البصرة وقطعوا فيها الطرق وارسل اليهم المعتصم عجيف بن عنيسه وقد رتب الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالاخبار فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل الى المعتصم فى يومه (٣). وتمكن من القضاء عليهم.

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ ٨ ،ص ٣٧٥.

(٢) الزط قوم من العناصر الهندية التى دخلت فى الاسلام وعرفوا لدى العرب باسم الزط او"السيابجة". انظر البلاذرى ،فتوح البلدان،ص ٣٦٨،د.عبد المنعم ماجد، العصر العباسى الاول ،ص ٤١٧.

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٩،ص ٨ ،وانظر البلاذرى ،فتوح البلدان ص ٣٦٩،حيث يقول :"وكانت اخبار الزط تاتيه فى ساعات من النهار او اول الليل ".

نخلص الي القول بان ديوان البريد كان من اهم الدواوين في عهد العباسيين الاول وكان يقوم بعمل اجهزة الرقابة الادارية والاستخبارات في عصرنا هذا فقد استخدمه العباسيون "في تحقيق الاهداف السياسية التي نصبوا انفسهم لتحقيقها،فعن طريقه عرفوا اسرار الخارجين على سلطانهم قبل ان يستفحل امرهم .وقضوا على كثير من الحركات والثورات واحتفظوا بسلطانهم ونفوذهم".

ولما كان البريد ولاية لها خطرها ومكانتها في الدولةلذافان خلفاء هذا العصر كانوا اذا اختاروا الرجل المناسب لتولي امرهاكتبوا له عهدا بها شأن اى ولاية فى الدولة،وقد وقفناعلى صورة عهد لولاية البريد الذى كان يكتبه الخلفاء فى هذا العصر لمن يولونه ولاية البريد ونصه "هذاماعهدبه عبدالله فلان امير المؤمنين ،الى فلان بن فلان حين ولاه اعمال البريد بناحية كذا. امره بتقوى الله وطاعته ،واستشعار خوفه ومراقبته،فى سرامره وعلانيته،وان يجرى امره فيمااستكفاه اميرالمؤمنين اياه بحسب مابدأ به من الاصطناع،وقدره عنده من الكفاية والاطلاع.

وامره ان يوثر الصدق فيماينهيه،والحق فيمايعيده ويبديه،وان يختار من يستعين به فى عمله،ويشركه فى امانته من يثق بصناعته،ونزاهته وطيب طعمته،وتحريه الصدق فيمايصدر عن يده ولهجته،وان يكون من يستعمله من اهل الكفاية والغناء دون من يستعمل منهم على العناية والهوى .

وامره ان يعرف حال الخراج والضياع فيمايجرى عليه امرهم ويتتبع ذلك تتبعا شافيا،ويستشفعه استشفاعا بليغا وينهيه على حقه وصدقه ويشرح مايكتب به منه.

وامره ان يتعرف حال عمارة البلاد وماهى عليه من الكمال او الاختلال، ويجرى فى امور الرعية فيمايعاملون به من الانصاف،والجور والرفق

---

(١) د. حسن احمدمحمود، العالم الاسلامى فى العصرالعباسى ،ص ١٥٣ .

والتعسف ....

وامره ان يتعرف ماعليه احوال الحكام فياحكامهم وسيرتهم وسائر مذاهبهم .... وامره ان يتعرف حال دار الضرب .... وامره ان يكون ماينهيه من الاخبار شيئا يثق بصحته ولايدخل شبهة في شئ فيه ......"(١).

نستطيع من خلال قراءة هذا النص معرفة مدى أهمية ولاية البريد وعظم المسئولية الملقاة على متولى هذا المنصب الذي يعتبر المراقب على معظم اعمال الولاية او الدولة عموما، لذلك كان اول مايوص به الخليفة متولى البريد تقوى الله عز وجل ومراقبته في اعماله فالتقوى هى المعيار الذي يستطيع الانسان ان يؤدى به عمله دون محاباة لاحد،ثم يبدأ الخليفة بأمره في التعرف على اداء ولاة الخراج والضياع وحال عمارة البلاد واحوال الرعية ودار الضرب وحكام الولايات وغيرهم،وان يكون متثبتا من الاخبار التي ينقلها الى الخليفة.

ويدلنا هذا النص بلاشك على عظم هذه الولاية وضخامة مسئوليتها فاذا كان صاحب هذه الولاية امينا صادقا فان بقية اعمال الولاية ستسير سيرا حسنا ويكون الخليفة ملما بأخبار دولته ومتتبعا لعماله عن طريق البريد على اكمل وجه واحسنه ومن ثم يوجههم الى الصواب ويعزل الظلمة منهم،كما يتعرف على احوال رعيته ومعاشهم وغير ذلك ممايتعلق بشئونهم واحوالهم.

ان هذا النص وثيقة عظيمة تدل على مدى استشعار الخليفة لمسئوليته امام الله عز وجل لذلك جاءت وصيته لوالى البريد شاملة كاملة لشتى النواحي التي تتعلق بشئون رعيته.

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة ،ص ٥٠ – ٥١ .

ديوان الخاتم :

وهو من الدواوين الهامة التى نشأت فى العصر الاموى وظل قائما فى العصر العباسى الاول الى عصر المأمون حيث "نشأ ديوان اخر، وسمى ديوان التوقيع "(١)

واوجد هذا الديوان لمنع وقوع خطأ اوتزويرفى الكتب المهمة التى كانت تصدر عن الخليفة والتى كانت تحتاج الى ان تختم بختمه (٢)، لان لخاتم الخليفة من الموقع ماليس لغيره (٣).

وكان معاوية اول من اتخذ ديوان الخاتم وقيل ان سبب ذلك : انه كتب لعمر بن الزبير بمائة الف درهم الى زياد وهوعامله على العراق ، ففض عمر الكتاب وجعلها مائتى الف درهم. فلما رفع زياد حسابه قال معاوية : ماكتبت له الا بمائة الف درهم ، وكتب الى زياد بذلك وامره ان يسترد منه المائة الف وحبسه بها ومن ثم اتخذ معاوية ديوان الخاتم. (٤)

"وفى هذا الديوان تحفظ نسخه من رسائل الخليفة واوامره بعد ان تختم النسخة الاصلية بالشمع وتحزم" (٥)

وكان لكل خليفة من خلفاء بنى العباس نقش معروف على خاتمه فالسفاح كان نقش خاتمه "الله ثقة عبد الله وبه يؤمن" (٦).

---

(١) انظر مولوى الحسينى ، الادارة العربية ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩
(٢) د. حسام السامرائى ، المؤسسات الادارية ، ص ٢٨٤.
(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٥٥
(٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٤ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦٧.
(٥) الدورى ، النظم الاسلامية ، ص ١٩٥
(٦) القلقشندى ، مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ١٧ ، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١١٣ .

اما المنصور فقد كان نقش خاتمه ايضا "الله ثقة عبد الله وبه يؤمن"(١).
والمهدى كان نقش خاتمه "حسبى الله"(٢) وفى بعض الروايات الاخرى "الله ثقة محمد وبه يؤمن"(٣).

والهادى كان نقش خاتمه "الله ربى"(٤) اما هارون الرشيد فقد كان نقش خاتمه العظمة والقدرة لله"(٥).

وكان نقش خاتم الامين "محمد واثق بالله"(٦)، اما المأمون فقد كان نقش خاتمه "سل الله يعطيك"(٧).

اما المعتصم فنقش خاتمه: "الله ثقة ابى اسحاق ابن الرشيد وبه يؤمن"(٨).

اما الواثق فنقش خاتمه "الله ثقة الواثق"(٩).
وكان هناك نوع خاص من الطين ذا صبغة حمراء اعدت خصيصا لاعمال الختم وعرف هذا الطين فى الدولة العباسية بطين الختم(١٠)

ولم يحدث العباسيون تطورا يذكر لهذا الديوان عما كان عليه فى السابق ولكنهم حافظوا عليه لما له من اهمية كبرى فى المراسلات الرسمية للدولة، وذلك حتى لايستغل ضعاف النفوس مراسلات الخلفاء ويحدثوا فيها تزويرا قد ينجم عنه مالاتحمد عقباه اذا لم تكن المراسلات الرسمية مختومة بخاتم الخلافة.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ص ١٢٨، ابن عبد ربه العقد الفريد، جـ٥، ص ١١٤
(٢) القلقشندى، مآثر الانافة جـ١، ص ١٨٣
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٥، ص ١١٥
(٤) القلقشندى، مآثر الانافة، جـ١، ص ١٩٠
(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
(٨) المصدر نفسه، ص ٢١٩.
(٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٥، وذكر ابن عبد ربه ان نقش خاتمه (محمد رسول الله) ونقش اخر الواثق بالله جـ ٥، ص ١٢٢.
(١٠) انظر مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٦.

ديوان بيت المال :

ذكرنا في مقدمة البحث عن الدواوين في الدولة الاسلامية آن نشأتها ارتبطت بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسبب ذلك المال الذى اتى به ابوهريرة رضى الله عنه من البحرين حيث اشار بعض الصحابة على الخليفة بانشاء الديوان ومن ثم نشأ ديوان لبيت المال فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولم يكن هناك ديوان لبيت المال فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى عصر ابى بكر الصديق رضى الله عنه لقلة موارد الدولة الناشئة يومئذ وقيام الرسول عليه الصلاة والسلام بتوزيع المال الذى يرد على مستحقيه .

قال ابوهلال العسكرى :"اخر مال اتى النبى صلى الله عليه وسلم ثمانمائة الف درهم من البحرين ،فما قام من مجلسه حتى امضاه ،ولم يكن له بيت مال، ولا لابى بكر ،واول من اتخذه عمر" (١).

وقد آنشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ديوان بيت المال فى السنة الخامسة عشرة للهجرة (٢).

والغرض من هذا الديوان هو"محاسبة صاحب بيت المال على مايرد عليه من الاموال ومايخرج من ذلك فى وجوه النفقات والاطلاقات" (٣).

"وكان هذا الديوان يثبت فى سجلاته جميع اصول الاموال فى الدولة وكان يفرد لكل صنف سجل خاص به ،وماكان يجتمع من هذه الاموال فعلا،فقد افرد لكل صنف من اصناف الواردات خزائن او دواوين فرعية لحفظها وضبطها" (٤).

---

(١) ابوهلال العسكرى ،الاوائل ،ج١،ص ٢٢٥ .

(٢) ابن طباطبا ،الفخرى ،ص ٨٣

(٣) قدامه بن جعفر،الخراج وصناعة الكتابة،ص ٣٦ .

(٤) د.حسام السامرائى ،المؤسسات الادارية،ص ٢٤٤ .

وقد ورث العباسيون اموالا طائلة من الامويين ،فبعد هزيمة مروان بن محمد اخر خلفاء بنى امية فى موقعة الزاب الكبير آلت ضياع الامويين الى العباسيين ،وسميت "بضياع الخلافة"[1] ، او الضياع السلطانية[2].

وقد اشار الجهشيارى الى ذلك حيث قال :"وقلد ابو العباس - السفاح - عمارة بن حمزة ميمون ،من ولد ابى لبابة ،مولى عبدالله بن العباس ضياع مروان وآل مروان"[3].

واهتمت الدولة العباسية فى مطلعها باغداق الاموال على انصارها ومكافآتهم لما قدموه من خدمات جليلة فى قيام الدولة ،وقد مرّبنا ان ابا العباس السفاح حينما خطب فى مسجد الكوفة عند مبايعته بالخلافة قال للناس : "وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم فانا السفاح المبيح والثائر المبير"[4]. دلالة على كرمه واغداقه للاموال تأليفا لقلوب الناس وتحبيبا لهم فى الدولة الجديدة.

ولكنه لم يكن هناك بيت مال للعباسيين فى مبدأ الامر على ما يبدو اذ ان امور الدولة لم تنتظم فى ذلك الوقت فى بدء خلافة السفاح ،ففى بداية عهد السفاح كانت اوضاع الدولة غير مستقرة اذ تغيرت الخلافة فحلت سلطة جديدة مكان اخرى فكان من الطبيعى ان تكون اوضاع الدولة غير منتظمة ولامستقرة فى مثل هذه الظروف العصيبة وقد احتاج الامر الى فترة زمنية ليست بالقصيرة حتى تعود الامور الى نصابها فمروان كان قد اخرج كل ما فى بيت المال من الاموال حينما اضطربت اوضاعه. يروى الطبرى انه :" امر باموال فاخرجت وقال للناس اصبروا وقاتلوا ، فهذه الاموال لكم،

---

(١) الريس ،مرجع سابق ،ص ٣٨٣
(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ،ص ١٧٠
(٣) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ٩٠
(٤) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٧،ص ٤٢٦ .

فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال ،فارسلوا اليه : ان الناس قد مالوا على هذا المال ،ولاتامنهم ان يذهبوا به . "(١).

لقد كانت الاوضاع المالية مضطربة فى عهد السفاح الا ان الاستقرار المالى للدولة قد برز فى عهد خلفه المنصور الذى ضبط امور الدولة المالية ونظمها وقدعرف بحرصه الشديد على اموال المسلمين .

وتثبت لنا المصادر التاريخية امثلة عديدة تدل على حرص المنصور الشديد على اموال المسلمين ،فيروى لنا الطبرى ان صاحب البريد كتب اليه بأن احد الشعراء مدح المهدى بقصيده فأمر له بعشرين الف درهم فكتب المنصور الى المهدى يلومه فى ذلك وأرسل احد قواده ليبحث عن الشاعر ليسترد منه المبلغ وذهب القائد وجلس على جسر النهروان وصار يتصفح الناس الى ان تعرف على الشاعر وقبضه واتى به الى المنصور وطلب منه ان يرددعليه القصيدة التى مدح بها المهدى فاعجبته ولكنه قال له : انهالاتستحق عشرين ألفا وطلب من حاجبه الربيع ان ينزل معه ويعطيه اربعة الاف ويأخذ بقية المبلغ (٢). وذكر الاربلى انه طلب منه ان يعطيه الف درهم ويأخذ الباقى(٣). وهم المنصور ببيع القراطيس التى كثرت فى خزائنه وقال لمتولى خزائنه : انى امرت باخراج حاصل القراطيس فى خزائننا ،فوجدته شيئاكثيرا جدا ، فتول بيعه ،وان لم تعط بكل طومار الا دانقا ،ولكنه عدل عن ذلك خوفا من حدوث شئ بمصر فتنقطع عنه القراطيس (٤).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٣،ص ٤٣٥

(٢) انظر القصة فى الطبرى ،حـ٨ ،ص ٧٢ومابعدها .

(٣) الاربلى ،خلاصة الذهب المسبوك ،ص ٦٣.

(٤) الجهشيارى ،الوزراء ،ص ١٣٨.

ويروى الطبرى رواية اخرى تدل على حرص المنصور على المال حيث قال: والرواية على لسان خالصة احدى جوارى المهدى ـ " دخلتعلى المنصور وهو يتشكى وجع ضرسه فلماسمع حسى قال : ادخلى ،فلمادخلت اذا هو واضع يديه على صدغيه فسكت ساعةثم قال لى : ياخالصة كم عندك من المال ؟ قلت الف درهم قال : ضعى يدك على راسى واحلفى،قلت عندى عشرة آلاف دينار،قال احمليها الىّ ،فدخلت على المهدى والخيزران فاخبرتهما فركلنى المهدى برجله وقال لى : ماذهب بك اليه،صابه من =

"ووقف يوما من الايام نهارا على سرب فى داره ،فيه قنديل معلق ، وكان الموضع بين المضئ والمظلم ،فكان تعليق القنديل انما يقع استظهارا فأمر بان يطفأ ،وقال : لايعاود هذا المصباح الى هذا الموضع الا فى وقت الحاجة من الليل اومن اخر النهار"(١).

ولما توفى خلف لابنه المهدى ثروة كبيرة "بلغت تسعمائة وستين الف الف درهم"(٢) وكان ماخلفه من الاموال تكفى الدولة عشر سنين فى حالة كسر الخراج على المهدى(٣). ومع ذلك فقد توفى المنصور وعليه دين بلغ ثلاثمائة درهم لم يستحلها من بيت مال المسلمين"(٤).

ولما جاء المهدى الى الخلافة وجد بيت مال المسلمين ممتلئا بالاموال ، ولم يكن المهدى حريصا مثل حرص ابيه المنصور على المال ،كما كان بقية خلفاء بنى العباس كذلك الا ان ديوان بيت المال قد انتظم بشكل كبير فى عهده ولم تشك خزينة الدولة من العجز المالى طيلة هذا العصر على الرغم من انفاق الخلفاء الشديد للمال الى درجة التبذير احيانا والامثلة على ذلك كثيرة.

فقد انشد الشاعر مروان بن ابى حفصه (٥) المهدى قصيدة أعجبته وكان عدد ابياتها مائة بيت" فأمر له بمائة ألف درهم ،فكانت اول مائة ألف

= وجع لكنى سألته امس مالا فتمارض".
الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٧٢
لقد بلغ من حرص المنصور على مال المسلمين ان يحتال على ابنه ويتمارض حتى لايعطيه شيئا من بيت مال المسلمين واحتال على جارية ابنه حتى استطاع ان يعرف مامعها من المال ولم يكتف بذلك بل امرها ان تحمل اليه ماعندها.

(١) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ١٣٩.
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٥٨ ،وقدرها المسعودى بستمائة الف الف درهم ،واربعة عشر الف الف دينار ،مروج الذهب ،حـ ٣ ،ص ٣١٨.
(٣) انظر وصية المنصور لابنه المهدى فى الطبرى ،حـ٨ ،ص ١٠٣ وسمط النجوم العوالى ،حـ٣ ،ص ٢٦١.
(٤) الطبرى ،تاريخ ،حـ ٨ ،ص ١٠٤ .
(٥) سبقت الترجمة اليه فى ص ١١٢ .

اعطيها شاعر فى ايام بنى العباس"(١).

وشتان بين هذه السياسة المالية وسياسة المنصور اذ ان المنصور كـــان بعيد النظر لاسيما وان هناك الكثيرمن الاخطار التى كانت تهدد الدولـــة يومئذ ،فكان المنصور يحتاط لذلك ولكن المهدى وجد دولة موطدة الاركـــان وبيت مال مكتظ بالاموال فكان ينفق بلاحساب فقد" وقفت امراة للمهـــدى وقالت :ياعصبة رسول الله اقض حاجتى ،فقال المهدى ماسمعتهامن احدغيرهـــا اقضوا حاجتها واعطوها عشرة آلاف درهم"(٢).

اماهارون الرشيد فانه" كان يقتفى اثار المنصور ويطلب العمـــل بها الا فى بذل المال فانه لم يــر خليفة قبله كان اعطى منه للمال"(٣).

فقد انشد الشاعر مروان بن ابى حفصه الانف ذكره الرشيد قصيدة بلـــغ عدد ابياتها سبعين بيتا ،فأعجبته القصيدة ،وامر له بعددابياتها الوفا"(٤).

وعلى الرغم من هذه السياسة المالية فان الرشيد توفى وفى بيت المـــال تسعمائة الف الف ونيف .(٥)

واشتهرالخليفة المامون ايضا ببذله للمال ويحدثنا الطبرى عن ذلـــك فيقول :" وكان قد قل المال عنده حتى ضاق ،وشكاذلك الى ابى اسحـــــاق المعتصم،فقال له :يا اميرالمؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعـــــه. قال : وكان حمل اليه ثلاثون الف الف من الخراج فلماورد عليه ذلك المـــال قال المامون ليحى بن اكثم:اخرج بنانظر الى هذاالمال ،قال : فخرجاحتـــى اصحرا، ووقفا ينظرانه ،وكان قد هيئ باحسن هيئة..... فنظرالمامون الـــى

---

(١) التنوخى ، الفرج بعد الشدة ،حا،ص ٣٧٩
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ،ح١٠،ص ١٥٥.
(٣) الطبرى ،تاريخ،ح ٨ ،ص ٣٤٧
(٤) التنوخى ، المصدر السابق ،حا،ص ٣٧٩
(٥) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ج ٨ ،ص ٣٦٤ .

شئ حسن ،واستكثر ذلك ،فعظم فى عينه ،واستشرفه الناس ينظرون اليــــــه ، ويعجبون منه ،فقال المأمون ليحى : ياأبا محمد،ينصرف اصحابنا هؤلاء الذيــن تراهم الساعة خائبين الى منازلهم،وننصرف بهذه الاموال قد ملكناهادونهــم، انا اذا للئام ،ثم دعامحمد بن يزداد فقال له : وقع لال فلان بالف الـــف ، ولال فلان بمثلها،ولال فلان بمثلها،قال فوالله ان "زال" كذلك حتى فرق أربعة وعشرين الف الف درهم ورجله فى الركاب ،ثم قال : ادفع الباقى الـــــــى المعلى يعطية جندنا ......"(١)

وروى الطبرى ان المعتصم تصدق بمبلغ مليون درهم(٢). والامثلة علــــى ذلك كثيرة جدا ولكننا نكتفى بهذا القدر من الاشارات لتعطينادليلا واضحــا على مدى الثراءالذى كان يتمتع به الخلفاء فى هذاالعصر وعلى سماحتهـــم فى العطاء وامتلاء بيت المال بالموارد مع انبساط فى الرزق ورخاء يشمـــل الرعية.

ولقد ظهر مايعرف ببيت مال الخاصة فى عصر الهادى ١٦٩-١٧٠هـ ولكــــن ربما كان هناك بيت لمال الخاصة فى عهدالمنصور على الرغم من عدم وجـــود اشارة واضحة الى ذلك فى مصادرنا التاريخية،ولكننا نستنتج ذلك استنتاجـا فهو لم يستحل ماعلية من دين من بيت مال المسلمين كما اشرنامن قبل،فقـــد يكون هناك بيت لمال الخاصة الاانه لم يصرح بذلك ،وعلى كل فالاشارة الــــى بيت مال الخاصة ترد بصورة واضحة فى عهدالهادى ،حيث ذكرالجهشيــــــارى ان الهادى قال لابراهيم بن ذكوان الحرانى " ياابراهيم خذ بيد هذاالجاهل- اسحاق بن ابراهيم الموصلى المغنى - فادخله بيت مال الخاصة...."(٣)

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٦٥٢، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ حـ٥ ،ص ٢٢٨، ابن طيفور ،تاريخ بغداد،ص ١٤٧.

(٢) الطبرى ،تاريخ،حـ ٩ ،ص ١٢٣.

(٣) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ١٧٦.

واختص بيت المال هذا باستلام واردات ضياع الخليفة واملاكه وماكان يأمر بايداعه فيه من واردات اخرى[١].

وفي ختام حديثنا عن ديوان بيت المال نشير الى التداخل الكبير بينه وبين ديوان الخراج والجند ويبدو انه من العسير ايجاد فواصل محددة بين هذه الدواوين المالية ذلك التداخل الذى اشرنا اليه في مقدمة حديثنا عن الدواوين ويبقى في نهاية الامر بعض الخيوط الرفيعة التي نستطيع ان نميز بها بعضها عن البعض الاخر.

---

(١) السامرائي ، المؤسسات الادارية ،ص ٢٤٧ .

ديوان الجنـــد :

اول من وضعه ورتبه امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فـــى خلافته [١]،واستمر هذا الديوان فى العصر الاموى "على الاساس الذى وضعـــه عمر بن الخطاب نفسه ففيه يحفظ سجل باسماء الجند واوصافهم وانسابهـــم واعطياتهم" [٢].

وهذا الديوان له مجلسان :احدهمامجلس التقرير،والثانى مجلـــس المقابلة . ويجرى فى الاول استحقاقات الرجال ،ومعرفة اوقات اعطياتهـــم، وتقرير ارزاقهم،واما الثانى فيختص بالنظر فى السجلات وتصفح الاسماء ونحـــو ذلك" [٣].

وتطور هذاالديوان خلال العصر العباسى الاول ،وكان طبيعيا ان تهتـــم الدولة العباسية بالجند الذين قامت الدولةعلى اكتافهم،وزادت فـــى اعطياتهم،واغدقت عليهم الاموال نظير ماقاموا به،فيحدثنا الطبرى فـــى احداث سنة١٣٢هـ/٧٤٩م بعد هزيمة مروان بن محمد فى موقعة الزاب ومقتلـــه وبعد ان وصلت هذه الانباء الى ابى العباس انه :"امر لمن شهد الوقعـــة بخمسمائة خمسمائة ورفع ارزاقهم الى ثمانين درهما" [٤].

" وبلغ راتب الجندى فى عهده ٨٠ درهما فى الشهر والفـــارس ينال ضعف ذلك " [٥].

---

(١) القلقشندى ،صبح الاعشى فى صناعة الانشاء،حـ١،ص ٩١ .
(٢) الدورى ، النظم الاسلامية،ص ١٩٥ .
(٣) ادم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،حـ١،ص ١٤٨ .
(٤) الطبرى ،تاريخ،حـ ٧ ،ص ٤٣٥
(٥) د. شاكر مصطفى ،دولة بنىالعباس ،حـ ١،ص ٦٣٩ .

اما المنصور فقد اهتم اهتماما بالغا بجنده "وقسمهم الى ثلاث فرق وهي مضر (عرب الشمال) واليمنية (عرب الجنوب) والخراسانية"(١).

واهتم المنصور بالمناطق المتاخمة للروم الذين كانوا يمثلون مصدر تهديد دائم للمسلمين ،ففى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م دخل قسطنطين طاغية الروم ملطية عنوة وقهرا وهدم سورها،فارسل اليها المنصور العباس بن محمد بن علي ،وصالح بن علي بن عبدالله ،ومعهم عيسى بن علي بن عبدالله فوصلهم باربعين الف دينار ،فبنى صالح ماكان هدمه قسطنطين .(٢)

ولما كانت ملطية فى خطر دائم،جعل المنصور لكل جندى بها- فضلا عن راتبه المقرر - سكناً مجاناً،وعطاء مقداره عشرة دنانير ،ومايساوى مائة دينار من المئونة.(٣)

وزاد اهتمام المنصور بجيشه بعد ثورة ابراهيم بن عبدالله فى البصرة،حيث لم يكن معه من الجند سوى عدد قليل بلغ ألفان فقال : " والله ما ادرى كيف اصنع : والله مافى عسكرى الا الفا رجل ،فرقت جندى فمع المهدى بالرى ثلاثون الفا،ومع محمد بن الاشعث بافريقية اربعون الفا،والباقون مع عيسى بن موسى ،والله لئن سلمت من هذه لايفارق عسكرى ثلاثون الفا "(٤).

وكان عرض الجيش جزءاً من تدريب الجند فى اوائل عهد الدولة العباسية،وخاصة فى عهد ابى جعفر المنصور الذى اهتم بالشئون الحربية

---

(١) مولوى الحسينى ،الادارى العربية،ص٤٠٧
(٢) انظر الطبرى ،حـ ٣،ص ٤٩٧ .
(٣) مولوى الحسينى ،المرجع السابق ، ص ٤١٣ ، د. شاكر مصطفى ،مرجع سابق ،ص ٦٤٠ .
(٤) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، حـ ٧ ،ص ٦٣٨ - ٦٣٩ .
ابن الاثير،الكامل فى التاريخ ،حـ ٥ ،ص ١٧ .

اهتماماكبيرا، وكان يلذ له ان يعرض جنده وهو جالس على عرشه ،لابسا خوذته [١].

وفي عهد المهدى ارسل ابنه هارون الرشيد الى الصائفة ببلاد الروم، فى جيش قوامه "خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا" [٢].

وبلغ مقدار ماحمله من الاعطيات والارزاق"من العين مائة ألف دينار واربعة وتسعين الفا واربعمائة ومن الورق احدى وعشرين الف الف واربعمائة الف واربعة عشره الفا وثمانمائة درهم" [٣].

وهذه الارقام العالية تدلنا على المستوى المرتفع لارزاق واعطيات الجند فى عصر المهدى حتى تضمن الدولة ولاءهم واخلاصهم لها.

اما عصر الرشيد فقد كان بحق عصر جهاد ضد الروم وكان هارون الرشيد يقود الغزوات بنفسه وقد ذكرنا انه كان يحج عاما، ويغزو عاما ووفاته كانت بطوس عندما كان يتجهز لمعركة مع الروم.

وقد انشا الرشيد ولاية خاصة من مدن الاطراف فى اسيا الصغرى وسماها العواصم، ونالت الحاميات فى تلك المراكز الامامية رواتب عالية بالاضافة الى مؤونة ومقررات خاصة كبيرة [٤]. ولما بنى طرسوس سنة ١٣١هـ انتدب اليها خمسة الاف من خراسان والمصيصة وانطاكية وزاد كلا منهم عشرة دنانير لكل رجل فى اصل عطائه. [٥]

---

(١) د.حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،حـ٢،ص ٢٧٧ .
(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ ٨ ،ص ١٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٥٢.
(٤) مولوى ، المرجع السابق ،ص ٤١٦.
(٥) شاكر مصطفى ،مرجع سابق ،ص ٦٤٠.

"الا ان رزق الجندى انخفض فى اواخر عهد الرشيد الى ستين درهمـا"(١) . ويبدو ان كثرة الجند ورغبة الاجناس المختلفة فى الرفاه الذى ينالـه الجنود مع رخص الاسعار هى التى ادت الى هذا التخفيض الذى تكرر مرة أخـرى فى زمن المأمون فاضحى راتب الجندى عشرين درهما فقط فى الشهر"(٢).

واعطى الرشيد اهل المدينة اهتماما كبيرا فى الاعطيات والارزاق ففـى سنة ١٩٣هـ حينما قدم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمـد الامين وعبدالله المأمون فقسم فيهم الف الف دينار وخمسين الف دينار"(٣)

وذلك حبا لاهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاليفـا لقلوبهم.

ولعب الجند دورا هاما بين الامين والمأمون مماحدا بكل واحد منهمـا الى الاغداق على الجند كسبا لهم فحينما ولى الامين الخلافة "امر للجنـد بمدينة السلام برزق اربعة وعشرين شهرا(٤) استمالة لهم الى جانبه فى حيـن اعطى المأمون الجند رزق اثنى عشر شهرا"(٥).

ولعل كلا الاخوين كان يضمر للاخر شيئا فلذلك نجدهما قد سارعا منـذ البداية الى كسب الجند واستمالتهم ومارس الجند عمليات ابتزاز واسعـة للاخوين . روى المسعودى انه: فى اثناء حصار طاهر بن الحسين قائـد المأمون للامين ببغداد ضاق الامر على الامين وفرق فى قواده المحدثيـن دون غيرهم خمسمائة الف درهم وقارورة غالية(٦) ولم يعط قدماء اصحابـه

(١) د.شاكر مصطفى ، المرجع نفسه ،ص ٦٤٠،مولوى الحسينى ،ص ٤٠٩

(٢) شاكرمصطفى ،ص ٦٤٠

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ ٨ ،ص ٣٦٣،٣٦٤

(٤) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨ ،ص ٣٦٥

(٥) المصدر نفسه ،حـ٨ ،ص ٣٧٠

(٦) الغالية مسك وعنبر يعجنان بالبان واول من سماها الغالية معاويـة بن ابى سفيان شمهامن عبدالله بن جعفر فوصفهاله فقال انهاغالية. ابـو هلال العسكرى ، الاوائل ،حـ١،ص ٣٤٥ .

شيئا فاتت طاهرا عيونه وجواسيسه فراسل قواد الامين الذين لم يشملهم العطاء ومناهم حتى شغبوا على الامين[١].

وفى عصر المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ ادخل عنصر الاتراك فى الجندية واستخدمهم بشكل كبير فى جيشه حتى ان اهل بغداد ضاقوا بهم واحتجوا لدى المعتصم مما جعله يبحث عن مدينة جديدة تكون مقرا لجنده ووقع اختياره على موضع صالح لبناء مدينة لهم وفى هذا يذكر ابن الاثير أن سبب بناء مدينة سامراء هو "ان المعتصم كان قد اكثر من الغلمان الاتراك وكانوا لايزالون يرون الواحد بعد الواحد قتيلا وذلك انهم كانوا جفاة يركبون الدواب فيركضونها الى الشوارع فيصدمون الرجل والمرأة والصبى فيأخذهم الابناء عن دوابهم ويضربونهم وربما هلك احدهم فتأذى بهم الناس . وتصدى للمعتصم شيخ فى يوم العيد فقال له يا أبا أسحاق : فأراد الجند ضربه فمنعهم ،فقال ياشيخ مالك ؟ قال : لاجزاك الله عن الجوار خيرا جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكنتهم بيننا ،فأيتمت صبياننا وارملت بهم نسواننا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله ولم ير راكبا الى مثل ذلك اليوم"[٢].

ويروى السيوطى ان اهل بغداد قالوا له : ان لم تخرج عنا بجندك حاربناك ،قال : وكيف تحاربوننى ؟ قالوا : بسهام الاسحار[٣]،قال : لاطاقة لى بذلك ، فكان ذلك سبب بنائه سر من راى وتحوله اليها"[٤].

خرج المعتصم بجيوشه الاتراك الى سامراء العاصمة العسكرية وازداد عطاؤه لهم بعد انتصار الافشين على بابك الخرمى[٥] سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧ م ،

---

(١) المسعودى ،مروج الذهب ،حـ ٣،ص ٤٠٩
(٢) الطبرى ،تاريخ،ج٩،ص ٨ ،ابن الاثير الكامل ،حـ٥ ،ص ٢٣٦ .
(٣) اى بالدعاء.
(٤) السيوطى ،تاريخ الخلفاء،ص ٣١٠ .
(٥) بابك الخرمى صاحب مذهب الخرمية الذين اباحوا المحرمات من الخمر وسائر الملذات ونكاح ذوات المحارم، وقد خرج بابك فى سنة ٢٠١هـ/٨١٦ م بقرية يقال لها البذ تقع فى شمال بلاد فارس ،واخذ ومن معه يعيثون فسادا فى الارض ،واخافوا السبل ،وكانت نهاية امرهم فى خلافة المعتصم. انظر الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ١٩٦،١٩٧.

فقد روى الطبرى ان المعتصم توج الافشين وألبسه وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين الف الف درهم منها عشرة الاف الف صلة، وعشرة الاف الف يفرقها فى اهله وعسكره.[1]

وعندما فتح المعتصم عمورية من بلاد الروم قام الاتراك والجند الاتراك بدور كبير فى ذلك الفتح فقد جعل المعتصم على مقدمة جيشه الذى قاده بنفسه سنة ٢٢٣ هـ نحو عمورية اشناس "- وهوتركى - ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته "ايتاخ" وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط . وعلى القلب عجيف بن عنبسه "[2].

وانزل المعتصم العرب من قيادة الجيوش، واسقط اسماءهم من الدواوين"[3]

اما فى عصر الواثق ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ فان نفوذ الجند الاتراك قد توطد وصار رؤساء الاتراك اصحاب نفوذ عظيم"[4].

واستمر الواثق فى سياسة الاغداق على الجند وكبار القواد فقد روى ابن الاثير فى احداث سنة ٢٣١هـ "ان وصيفا التركى وهو احد كبار القواد الاتراك فى جيش الواثق قد سار فى طلب الاكراد الذين افسدوا فى نواحى اصبهان والجبال وفارس وقدم معه بنحو من خمسمائة نفس فيهم غلمان صغار فحبسوا واجيز وصيف بخمسة وسبعين الف دينار"[5].

وخلاصة القول عن ديوان الجند فى العصر العباسى الاول انه قد انتظم وتطور بشكل كبير لاسيما فى عصر المنصور والمهدى والرشيد الا انه انحرف

---

(١) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ح٩، ص ٥٥
(٢) المصدر نفسه، ح٩، ص ٥٧
(٣) الخضرى، مرجع سابق، ص ٢٤٠
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٤٩.
(٥) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ح ٥ ، ص ٢٧٥.

فى بعض الاحيان عن المسار الذى وضع من اجله الديوان بالاغداق على الجند لكسب ودهم وولائهم فى اثناء الفتن والثورات وقد رأينا مثالا لذلك فى الفتنة التى جرت بين الامين والمأمون •

وفى نهاية العصر العباسى الاول دخل عنصر جديد فى الجندية وهم الاتراك الذين جاء بهم المعتصم وأكثر من استخدامهم وبنى لهم مدينة جديدة وقاموا بدور بارز فى صناعة الاحداث ومهدوا لتدخلهم بصورة مباشرة فى شتى شئون الدولة وتمكنوا من السيطرة تماما على الخلافة فى العصر التالى لهذا العصر وهو العصر الذى سمى بعصر نفوذ الاتراك •

ديوان الرسائل

وكان يسمى احيانا بديوان الانشاء(١). فحيث كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل . او متولي الرسائل وربما قيل صاحب المكاتبات او متولي ديوان المكاتبات ،وحيث كان الديوان مشهورا بديوان الانشاء ...... لقب متوليه بصاحب ديوان الانشاء(٢).

"ويحتاج المتولي ان يكون متصرفا في جميع فنون المكاتبات واضعا لماينشئه في موضعه" (٣)

"وكانت واجبات صاحب هذا الديوان الذي يمكن اعتباره احد وزراء الدولة الاساسيين هي كتابة الاوامر الملكية والبراءات والرسائل والمراسلات السياسية عامة ، وبعد ان يعتمدها الخليفة او الوزير يختمهابالشمع الاحمر وكذلك بخاتم الدولة الذي يحمل شارة الخليفة. وهويراجع ايضا الرسائل الرسمية ويصححهاثم يختمهابنفسه"(٤).

" ويجب ان يكون الكاتب حرا عاقلا،صادقا اديبا ،فقيها،عالمابكتاب الله تعالى ،كافيا فيمايتولاه ، امينا فيمايستكفاه ،حاد الذهن ،قوي النفس ،حاضر الحس ،جيد الحدس"(٥).

وقد بدأت عناية العباسيين بهذا الديوان منذ بداية حركتهم في خراسان فقد انشأ ابومسلم ديوانا للرسائل عهد به الى اسلم بن صبيح

---

(١) السامرائي ،المؤسسات الادارية ،ص ٢٧٥.
(٢) القلقشندي ،صبح الاعشى ،ج١،ص ١٠٣
(٣) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة ،ص ٢٩٧.
(٤) مولوي الحسيني ، الادارة العربية ،ص ٢٩٧.
(٥) ابن مماتي ،قوانين الدواوين ،ص ٥

لكن قواعد تنظيم هذا الديوان استقرت فى عهد المنصور[1]. وقد أشار الجهشيارى الى ذلك حيث قال : ان ابا مسلم "لما اظهر الدعوة بخراسان وغلب على ما غلب عليه من البلاد ...... قلد كتابة الرسائل اسلم بن صبيح"[2]

وكان ديوان الانشاء تارة يضاف الى الوزارة فيكون الوزير هو الذى ينفذ اموره بقلمه ،ويتولى احواله بنفسه وتارة يفردعنه بكاتب ينظر فى امره ويكون الوزير هو الذى ينفذ اموره بكلامه[3].

وقد تولى الكتابة للسفاح خالد بن برمك واتخذ خالد دفاتر بدلا من الصحف التى كانت تثبت فيها اعمال الدواوين[4].

اما المنصور فقدكان يكتب له "عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى ،من اهل حران"[5]

وتولى الكتابة للمهدى وزيره وناثبه قبل الخلافة ابى عبيد الله معاوية بن يسار وكان مقدما فى صناعته[6].

ويظهر ان الكتاب كانوا متنفذين بدرجة كبيرة وعلى وجه الخصوص فى الجوانب المالية ومما يدل على ذلك ماروا ه الجهشيارى قال : وكان ابو جعفر لما شخص المهدى الى الرى اذن لابى عبيد الله كاتبه فى الانفاق والتصرف فى بيت المال فأقام بالرى مع المهدى مدة طويلة وانفق اموالا عظيمة فلما انصرف المهدى الى الحضرة طالب المنصور اباعبيدالله برفع الحساب بماجرى على يده ،فقامت قيامته واشتد همه ،فلقيه خالد بن برمك ،وكان صحيح العقل ،سديد الرأى ،فقال انت ترشح نفسك لتدبير الخلافة وقدحيرك

---

(١) د.حسن احمدمحمود، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ،ص ١٥٠.
(٢) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ٨٥
(٣) القلقشندى ،صبح الاعشى ،ج١،ص ٩٣.
(٤) الجهشيارى ، الوزراء،ص ٨٩
(٥) نفس المصدر،ص ٩٦.
(٦) ابن طباطبا، الفخرى ،ص ١٨٢.

هذا الامر الصغير فقال فما الرأى عندك ؟ فاشار اليه خالدبان يذهب المهدى الى ابيه ويقول له ان هذا الامر قد تم بامر من عندى وتوقيعاتى ففعل المهدى ذلك فترك ابوجعفر اباعبيدالله. (١)

اما الهادى فقد ولى عمر بن بزيع ديوان الرسائل(٢) وتولى ديوان الرسائل للرشيد يحى بن خالد البرمكى حيث كانت الدواوين كلها اليه مع الوزارة الا ديوان الخاتم(٣).

ولما افضى الامر لمحمدالامين قلد يحى بن سليم ديوان الرسائل(٤).

وتولى الكتابة للمأمون وزيره الفضل بن سهل الذى سمى ذو الرياستين لجمعه بين السيف والقلم(٥).

وتولى الرسائل للمعتصم الفضل بن مروان الذى كان متنفذا الى درجة كبيرة يروى ابن الاثيرانه: لماصار المعتصم خليفة كان اسمهاله "وكان معناها للفضل ،واستولى على الدواوين كلها،وكثير من الاموال . وكان المعتصميأمره باعطاء المغنى والنديم فلاينفذ الفضل ذلك ...."(٦).

وبلغ الكتاب درجة كبيرة من التدخل فى الشئون الماليةللدولة فى عصر الواثق ،مماجعله يقوم بحملة كبيرة لمصادرة اموال الكتاب ،الذين افسدوا الادارة المالية للدولة فى عهده،واثروا ثراء فاحشا.

---

(١) انظر الجهشيارى ،ص ١٢٧.
(٢) نفس المصدر،ص ١٦٧.
(٣) نفس المصدر،ص ١٧٧.
(٤) نفس المصدر،ص ٢٨٩.
(٥) الفخرى ،ص ٢٢١.
(٦) ابن الاثير، الكامل فى التاريخ،جه،ص ٢٣٦ .

فقد امر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب ايتاخ[1] واخذه بمائتى الف درهم- وقيل دينار-"(1) واحمد بن اسرائيل ٨٠٠٠ دينار واحمد بن الخصيب وكتابه مليون دينار"(٢) وغيرهم من الكتاب وبلغت جملة المصادرات (١٫٧٢٢٫٠٠٠ دينار)(٣).

"وكان يعمل بديوان الرسائل موظفون تعددت مهامهم فقد وجد كتاب رؤساء يقومون بالانشاء وكتابة الردود والتوقيعات واخرون يساعدونهم فى التلخيص والتبييض ،واصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يتولى الاشراف عليها الخازن ،فكانت اصول المراسلات ونسخها الواردة تنظم فى ملفات يقال لها اضابير توضع عليها بطاقات تدل على محتوياتهاليسهل الرجوع اليهاعند الضرورة"(٤).

---

(١) ايتاخ مولى لسلام الابرص ،كان طباخا عنده ،وكان شجاعا فاشتراه المعتصم منه وارتفع شأنه فى عهده وعهدالواثق والمتوكل ،وكان نكبة العظماء بالدولة على يده وحبسهم بداره ،وكان له البريد والحجابة توفى فى خلافة المتوكل وهوسجين .
ابن خلدون ، العبر ،ج ٣،ص ٥٨٠
(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ج٩ ،ص ١٢٨.
(٣) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ٢٥٢
(٤) نفس المرجع ،ص ٢٥٢
(٥) د. السيدعبدالعزيز سالم ، العصرالعباسى الاول ،ص ٢٦٦.

الدواوين المستحدثة فى العصر العباســـــى الاول

أنشأ العباسيون اضافة الى الدواوين السابقةدواوين اخرى دعتهـــــم الضرورة الى انشائهاولم تعرف هذه الدواوين قبلهم ومن اهم هذه الدواوين :

(أ) ديوان المصادرات :

تم انشاء هذا الديوان فى زمن الخليفة ابى جعفر المنصور وقد"سجـــل فيه اسماء من صودرتاموالهم مع مقدار ما صودرواعليه "(١).

وانشاء هذا الديـــوان يشير الى كثرة من صودرت اموالهم فى عصـــر المنصور"(٢)

ولقد اسلفنا القول عن حرص المنصور على الاموال وكان يصادر اموال كـل من يشك فيه وشكلت اموال المصادرات هذه جزءا من واردات بيت المـــــال الا ان المهدى رد الاموال المصادرة الى اصحابها كماذكرنا فى فصل الخلافـــة ولانكاد نجد ذكرا لهذاالديوان فى هذاالعصر العباسى الاول الا فى عصـــر الرشيد والواثق حيث كثرت المصادرات التى اوقعها الواثق بكتابـــــه (٣)، واستأنف الديوان نشاطه مرة اخرى .

(ب) ديوان الازمة :

انشــى" هذا الديوان فى خلافة المهدى فى سنة ١٦٢هـ فقد روى الطبـــرى فى احداث سنة ١٦٢هـ ان المهدى "وضع دواوين الازمة وولى عليهاعمر بن بزيـــع مولاه "(٤).

ولم يكن هذا الديوان من الدواوين المعروفة فى السابق ومعنـــــى ديوان الازمة:" ان يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه وقد كانـــــت

(١) الدورى ، النظم الاسلامية ،ص ١٩٩.
(٢) صبحى الصالح، النظم الاسلامية ،ص ٣١٦
(٣) انظرالطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٩ ،ص ١٢٨،والخضرى ، الدولـــــة العباسية ،ص ٢٥٢.
(٤) الطبرى ،تاريخ،حـ ٨ ،ص ١٤٢ .

الدواوين قبل ذلك مختلطة"[١].

والسبب فى وضع ديوان الازمة كمايرويه الطبرى ان عمر بن بزيع لماجمعت له الدواوين تفكر فاذا هو لايضبطها الا بزمام يكون له على كل ديوان فاتخذ دواوين الازمة وولى كل ديوان رجلا،فكان واليه على زمام ديوان الخراج اسماعيل بن صبيح ولم يكن لبنى امية دواوين ازمة"[٢].

والغرض من ذلك هو" الاشراف على اعمال الدواوين الكبيرة،ومراقبة الناحية المالية منهاخاصة"[٣].

وتطور الامر اكثر من ذلك فانشأ المهدى سنة ١٦٨هـ ديوان زمام الازمة[٤] "لينتظم فى ان واحد جميع دواوين الازمة"[٥]،وولى المهدى على بن يقطين ديوان زمام الازمة بدلا من عمر بن بزيع"[٦] الذى تضعضعت حاله[٧].

ولما تولى الهادى الخلافة ووزر له الربيع بن يونس ضم اليه دواوين الازمة"[٨] مع الوزارة.

ولما توفى الربيع سنة ١٦٩هـ قلد الهادى ابراهيم بن ذكوان الحرانى هذا الديوان[٩] وظل ابراهيم يتقلد هذا الديوان الى ان نكبه الرشيد

---

(١) كرد على ،الاسلام والحضارة العربية جـ ٢،ص ٢٠٩

(٢) الطبرى ،تاريخ،١٦٧/٨ ،وانظر ابن الاثير ،الكامل ،جـ٥،ص ٦٢،ديوان بدلا من دواوين ،وعمر بن مربع بدلا من عمر بن بزيع .

(٣) الدورى ، النظم الاسلامية ،ص ١٩٩.

(٤) الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ١٦٦

(٥) د. صبحى الصالح ، النظم الاسلامية ،ص ٣١٦

(٦) الطبرى ،تاريخ،١٦٧/٨،الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٦٦.

(٧) الجهشيارى ،الوزراء ،ص ١٦٦.

(٨) الجهشيارى ،الوزراء،ص ١٦٧ .

(٩) نفس المصدر،ص ١٦٧.

ويدلنا نشأة هذا الديوان على مدى التطور الادارى الذى وصلت اليه الدولة فى هذا العصر واهتمام الخلفاء بضبط عمالهم ومراقبة تصرفاتهم واهتمامهم بضبط الدواوين بديوان اعلى للاشراف والمراقبة على سائر الدواوين .

(ج) ديوان الصوافى والضياع :

اشار الجهشيارى الى هذين الديوانين بقوله : " توفى الرشيد وعلى ديوان الضياع وديوان الصوافى اسماعيل بن صبيح"(١).

وتعنى الصوافى اراضى الدولة(٢). وهذا يعنى اهتمام هذا الديوان بجميع املاك الدولة من تأجير واستئجار اوشراء وبيع.(٣)

اما الضياع فيقصد بها ضياع وقرى واراضى الخليفة الخاصة، اذ انفرد لادارتها واستثمارها ديوان خاص لاعلاقة له بالديوان السابق .(٤)

ولقد ذهب الدكتور صبحى الصالح الى ان كلمة الصوافى تصرف الى الاراضى التى استصفاها الخليفة لنفسه، ولكن الصحيح هو، ان الضياع خاصة بالخلفاء، اما الصوافى ،فهى اراضى الدولة ،وليست الاراضى التى يمتلكها الخليفة.

(د) ديوان النفقات :

ورد ذكر النفقات فى عدة مواضع اوردها الجهشيارى حيث ذكر ان المهدى قلد كتابته ونفقاته يحى بن خالد(٥). وتوفى الرشيد وعلى نفقاته وتدبير

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء، ص ٢٧٧ .

(٢) مولوى الحسينى ، الادارة العباسية ، ص ٣٠٤، انور الرفاعى، النظم الاسلامية ص ٩٠ .

(٣) انور الرفاعى ، النظم الاسلامية ، ص ٩٠

(٤) المرجع نفسه ، ص ٩٠

(٥) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥٠.

اموره الفضل بين الربيع [١].

وأكبر مهام هذا الديوان حاجات دار الخلافة [٢]. فقد اختص بنفقات الخليفة من تأمين الرواتب وبناء واصلاح القصور وملحقاتها وشراء المواد الغذائية والخيول، ومايطلبه سكان القصور من ملابس وأدوات وآثاث ..." [٣].

وهذا الديوان ينقسم الى المجالس الاتية:

(أ) مجلس الجاري، ويختص بأمر استحقاقات الحشم.

(ب) مجلس الانزال، وهو الذى يقوم بمحاسبة التجار الذين يقيمون الوظائف من الخبز واللحم والحيوان والحلوى والفاكهه وغير ذلك من صنوف الاقامات والانزال.

(ج) مجلس الكراع، ويجرى فيه امر علوفة الكراع وغيره، من خيل وبغال وابل وحمير..

(د) مجلس البناء والمرمة، وهو مجلس يكبر ويصغر على حسب الخلفاء فى الاغراق فى البناء او الاكتفاء بيسيره، ويجرى فيه محاسبة الزراع والمهندسين وباعة الجص والاجر والنورة واصحاب الساج والنجاريين المزوقين والمذهبين وسائر الصناع.

(هـ) مجلس الحوادث، ويجرى فى امر النفقات الحادثة (اى غير العادية) فى كل وجه من وجوهها.

(و) مجلس الانشاء والتحرير.

(ز) مجلس النسخ [٤]

(١) الجهشيارى، الوزراء والكتاب، ص ٢٧٧.
(٢) ادم متز، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، جـ١، ص ١٤٨.
(٣) انور الرفاعى، مرجع سابق، ص ٨٩.
(٤) ادم متز الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ص ١٤٨-١٤٩.

الفصل الرابع

الحجابة فى العصر العباسى الاول

الحجابة :

كان الخلفاء الراشدون لايمنعون احدا من الدخول عليهم بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلاحجاب[١]. فقد كانت الحياة فى ذلك الوقت بسيطة سهلة لم تشوبها التعقيدات الادارية التى ظهرت فيمابعد وكان فى استطاعة اى فرد من افراد الدولة الاسلامية مقابلة الخليفة والتحدث اليه فى أى وقت شاء دون ان يعترضه احد من الناس .

"فلما جاء الامويون الى الخلافة وتحولت الخلافة الى ملك وراثى وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شئ بدئ به فى الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور ربما كانوا يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلى ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم مع مافى فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب"[٢].

ومعنى الحجابة القيام على الباب [٣]،وتنظيم وادخال الناس على الخليفة مراعيا فى ذلك مقامهم واهمية اعمالهم[٤].

وقد جاء ان عبدالملك بن مروان لماولى حاجبه قال له :"وليتك حجابة بابى عن ثلاثة: المؤذن للصلاة فانه داعى الله ،وصاحب البريد،وصاحب الطعام لئلا يفسد"[٥].

---

(١) د. حسن ابراهيم وعلى ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ١٤٦ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٣٨ .
(٤) حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى ،ج٢،ص ٢٦٤ .
(٥) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٣٨ .

والحق ان الخليفة يحتاج الى هذه الوظيفة ،لمافيهامن تنظيم لوقته واعطائه فرصة حتى يتمكن من تدبير امورالدولة فى مجال الحرب اوالاقتصاد او السياسة اوغير ذلك ،واتخاذ مايراه مناسبا مع مستشاريه ،وفى دخول الناس عليه فى كل وقت مفسدة للرأى والمشورة كما انه لايؤمن جانب كثير من الناس على شخص الخليفة. فكان لابد من اتخاذ الحاجب لينظم عليه دخول الناس .

وقد اقتدى الخلفاء العباسيون ببنى امية فاتخذوا الحجاب وزادوا فى منع الناس عن لقاء الخليفة الا فى الامور الهامة (١). يقول ابن خلدون : ولما جاءت دولة بنى العباس وجدت الدولة من الترف والعز ماهو معروف وكملت خلق الملك على مايجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثانى وصار اسم الحاجب اخص به وصار بباب الخلفاء داران دار الخاصة ودارالعامة (٢).

" وكان الخليفة يقابل كل طائفة بحسب حالاتها وظروفها فى مكان معين فى احدى هاتين الدارين تبعا لارادة الحاجب على ابوابها" (٣).

قال البيهقى فى المحاسن والمساوى (٤): " كانت الأعاجم تقول ماشئ بأضيع للمملكة ولاأضيع للرعية من صعوبة الحجاب ، ولاشئ اهيب للرعية من سهولة الحجاب ،لان الرعية اذا وثقت من الوالى بسهولة الحجاب احجمت عن الظلم ،واذا وثقت منه بصعوبة الحجاب هجمت على الظلم وركب القوى منهم الضعيف ،فخير خلال السلطان سهولة الحجاب ".

وقد علت مرتبة الحاجب بارتقاء الحضارة الاسلامية فى ايام العباسيين فاصبح يستشار فى كثير من امور الدولة ،ويستبد بالنفوذ دون الوزير،

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ،ص ١٤٧ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٩١
(٣) د. صبحى الصالح ، النظم الاسلامية ،ص ٣٠٧
(٤) البيهقى ، المحاسن والمساوى ،ص ١٥٩ .

ويلزم اصحاب الدواوين بالرجوع اليه فى كل امور الدولة،ويحتم عليهم ان لايفصلوا فى الاعمال الابعد موافقته[١].

وقد اتخذ كل خليفة من خلفاء بنى العباس حاجبا او اكثر فقد استحجب السفاح اباغسان[٢]. اما المنصور فقد كان حاجبه الخصيب ثم الربيع ثم الفضل ابن الربيع[٣].

واستحجب المهدى الربيع بن يونس والفضل بن الربيع[٤]. وذكر ان المهدى قال للفضل بن الربيع حين ولاه الحجابة :انى موليك ستر وجهى وكشفه فلاتجعل الستر بينى وبين الناس سبب اراقة دمائهم بعبوس وجهك فى وجوههم فان لهم دالة الحرمة وحرمة الاتصال وقدم ابناء الدعوة وثن بالاولياء واجعل للعامة وقتا اذا وصلوا اعجلهم ضيقه عن التلبث والتمكث"[٥].

وولى الهادى حجابته الفضل بن الربيع[٦] وقال له لاتحجب عنى الناس فان ذلك يزيل عنى التزكية،ولاتلق الى" امرا اذا كشفته وجدته باطلا فان ذلك يوهن الملك ويضر بالرعية[٧].

اما الرشيد فقد قلد حجابته بشار بن ميمون[٨]،ومحمد بن خالد بن برمك[٩]، وقال الرشيد لبشر بن ميمون لماولاه الحجبة:"يابشر صن

---

(١) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،ح٢،ص ٢٦٥ .
(٢) الاربلى ،خلاصة الذهب المسبوك ،ص ٥٩.
(٣) المصدر نفسه ،ص ٦١
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٢.
(٥) البيهقى ، المحاسن والمساوى ،ص ١٦٠
(٦) المصدر نفسه ص ١٦٠،والاربلى ، المصدر السابق ،ص ١٠٥ .
(٧) البيهقى ، المحاسن والمساوى ،ص ١٦٠.
(٨) اورده البيهقى على انه بشر بن ميمون ،وفى الاربلى بشار .
(٩) الجهشيارى ، الوزراء،ص ١٨٧ .

طلاقة اسمك بحسن فعلك ،واحجب عنى من اذا قعد اطال واذا طلب اجال فكره ، ولاتستحفن بذوى المروءة والحرمة"(١) .

وحجب للامين الفضل بن الربيع (٢). وهو الذى قام باذكاء نار الفتنة بين الامين والمأمون ،كماتحدثناعن ذلك فى فصل الوزارة.

وحجب للمأمون عبدالحميد بن عيسى وحميد بن قحطبة وعلى بن صالح ثم اسماعيل بن محمد بن صالح(٣).

وحجب للمعتصم وصيف مولاه(٤). وحجب للواثق ايتاخ التركى،فقد روى انه قال لابن ابى داود :من اولى الناس بالحجبة؟ فقال مولى شفيق يصون بطلاقة وجهه من ولاه ويستعبد الناس لمولاه ،فنظرالى ايتاخ وكان واقفا على رأسه فقال : قد ولاك ابوعبدالله الحجبة ،فكان ايتاخ يعرف ذلك له ويتقدم بين يديه الى ان يبلغ مرتبته"(٥).

ان الحجابة من الرسوم السلطانية التى اصبحت لاغنى للسلطان عنها وقد اورد البيهقى مجموعة من الامثلةليدلل بهاعلى محاسن الحجبة فقال : ذكروا أن موسى الهادى دخل على المهدى وهوخليفة فزبره الحاجب وقال : "اياك ان تعود الى مثلها الا باذن امير المؤمنين لخاصته"(٦).

وحكى عن ايتاخ انه بصر بالواثق فى حياة المعتصم واقفا فى موضع لم يكن له ان يقرب منه ولاان يقف به فزبره وقال :"تنح فوالله لولانى لم

---

(١) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ١٥٩.
(٢) الاربلى ، المصدر السابق ،ص ١٧٣.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٩٤.
(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٢٣.
(٥) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ١٦٠.
(٦) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ١٥٨.

اتقدم اليك لضربتك مائة سوط"(١).

" وذكروا عن الربيع الحاجب ان المنصور دعا محمد بن عيسى بن علي الى الغداء فقال : ياأمير المؤمنين قد اكلت ،فلما خرج اخذه الربيع وحمله على ظهر رجل وضربه كمايضرب الصبيان ،فظن اهل بيته ان المنصور امره بذلك ،فخرج يبكي الى ابيه ،فجاء ابوه عيسى بن علي فخلع سيفه بين يدي المنصور وصاح،فقال : ماأمرت بذلك ولم يفعل الربيع ذلك الا لامر، فلما سئل الربيع عن ذلك قال : امرته ان يتغدى معك فقال قداكلت، وانما دعوته لتشرفه وترفع منه ولم تدعه لتشبعه ،فأدبته اذ لم يؤدبه ابوه ،فقال المنصور احسنت . قد علمت انك لاتخطئ"(٢).

ولقد تطورت الحجابة فأصبح لهانظمهاوقوانينهاورسومها،فكان لابد للداخل على الخليفة ان يكون بهيئة حسنة ولباس خاص ولون خاص ،كما كان عليه ان يجلس بطريقة معينة لدى الخليفة (٣).

"وليس للحاجب ان يقبل على احد ممن يكون السلطان معرضا عنه ، ولا ان يرضى عمن يكون السلطان ساخطا عليه ،ولا ان يوليه من البر والاكرام ماكان يوليه من قبل"(٤).

---

(١) المصدر السابق ،ص ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٥٩-١٦٠.

(٣) انظر الصابي ،ابوالحسين هلال بن المحسن ت ٤٤٨هـ ،رسوم دار الخلافة ، عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد ،مطبعة العاني بغداد ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م . ص ٧٤،٧٥،٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٧٦ .

الفصل الخامس

النظم المالية

النظم المالية :

ظلت الموارد المالية للدولة الاسلامية ونظمهافى العصر العباسى الاول ،بالكيفية التى كانت عليها خلال العصر الراشدى والاموى ،وان اختلفت التطبيقات نتيجة للتوسع الكبير الذى شهدته الدولة الاسلامية فى هذا العصر.

فالنظم المالية الاسلامية مستمدة من الشريعة الاسلامية،والشريعة كل لايتجزأ ،ولكن قد تستجد بعض المعاملات المالية فى عصر من العصور مما يتطلب اجتهادا من ولاة الامور.

وقد اولى العباسيون الاوائل عناية فائقة لموارد الدولة المالية ونظمها ،واهتموا بها اهتماما كبيرا،وخير شاهد على هذا الاهتمام ،كتاب الخراج لابى يوسف ،وكان الرشيد قد سأل قاضيه ان يضع لهكتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى وغير ذلك لرفع الظلم عن رعيته والصلاح لامرهم[1]. فجاء الكتاب مشتملا على كل المسائل التى تنظم جباية الخراج والعشور والصدقات وسائر موارد الدولة المالية.

ويدلنا هذا الاثر الجليل ،كتاب الخراج ،على صدق توجه خلفاء بنى العباس عموما،والرشيد على وجه الخصوص ،ومدى اهتمامهم بالتنظيم المالى للدولة الاسلامية.

وكانت اهم موارد الدولة المالية :

(١) الخراج .

(٢) العشور .

(٣) الجزية.

(٤) الاخماس.

(٥) الزكاة .

---

(١) انظر كتاب الخراج لابى يوسف ،ص ٣١ .

الخـــراج :

من أهم موارد بيت المال فى الدولة الاسلامية .

ومعناه فى اللغة : الكراء والغلة[1] ومنه قوله تعالى" ام تسألهم خرجـــا فخراج ربك خير"[2].

واصطلاحا : " ماوضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها"[3]

او الاجرة التى يدفعها من يستغل الارض المملوكة لجماعة المسلميــن والتى تقوم الدولة بمباشرة شئونها نيابة عن الجماعة[4].

والخراج من النظم المالية التى أقرت بالاجتهاد فى عهد الخليفة الراشــد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فقد دخل المسلمون العراق والشام وانتصروا بالقادسية وفتحوا المدائن وجلولاء وحمص وحلب وغيرها من المدن وغنموا منها .

فكان ماغنموه يفرز خمسة ويرسل الى امير المؤمنين بالمدينة المنورة وتقسم اربعة اخماسه بين الجند الفاتحين وذلك تنفيذا لقوله تعالــــى "واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامــى والمساكين وابن السبيل"[5]. فلما فتح الله على المسلمين ارض الســـواد بالعراق ارادوا قسمتها على هذا النحو بحيث يكون خمسها لبيت المال ويقسـم سائرها بين الجند الذين اشتركوا فى فتحها وخالفهم عمر فى قسمة الارض وقــال فكيف بمن يأتى من المسلمين بعدنا فيجدون الارض بعمالها قد قسمت وورثـت وحيزت ماهذا برأى ؟ .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : فما الرأى ؟ ما الارض والعمال الا مما افـــاء الله عليهم .

(١) ابوعبيد القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤ هـ ، كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمــد خليل هراس ، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٩٤ ، الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٦ . (٢) سورة المؤمنون الايه ٧٢

(٣) الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٦ .

(٤) د. يوسف ابراهيم يوسف ، النفقات العامة فى الاسلام ، ص ٩٣ .

(٥) الانفال الايه ٤١ .

فقال عمر:ماهو الا كماتقول ،ولست ارى ذلك والله مايفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى ان يكون كلا على المسلمين،فاذا قسمت ارض العراق وارض الشام بعمالها فبماذا تسد الثغور؟ ومايكون للذريه والارامل بهذا البلد وغيره من ارض الشام والعراق .

لم يسترح الفاتحون الى قول عمر رضى اللهعنه فاكثروا عليه وقالوا :

اتقف ماافاء الله علينا بأسيافنا،على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولابنائهم وأبناء ابنائهم؟ فاستشر.

فجمع عمر:اهل الشورى من اصحاب رسول اللهصلى اللهعليهوسلمومعهمقادةالفتح فاختلفوا.

وبقى عبدالرحمن بن عوف وبلال ومن معهم على رأيهم وعمر وعلى وعثمان ومن معهم على رايهم.

ثم ارسل عمر الى عشرة من كبار المهاجرين وعشرة من كبار الانصار من اصحاب رسول الله صلى اللهعليه وسلم خمسة من الاوس وخمسةمن الخزرج.فلما اجتمعوا تكلم عمر فحمد الله واثنى عليه بماهواهلهثمقال :

انى لم ازعجكم الا لان تشتركوا فى امانتى فيماحملت من اموركم فانى واحد كأحدكم وانتم اليوم تقرون بالحق ،خالفنى من خالفنى ووافقنى من وافقنى ولست اريد ان تتبعوا هذاالذى هو هواى - معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لئن كنت نطقت بامر اريده مااريد به الاالحق .

قالوا : قل نسمع ياأمير المؤمنين .

فقال عمر : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا انى اظلمهمحقوقهم وانى اعوذ بالله ان اركب ظلما . لئن كنتظلمتهم شيئا واعطيته غيرهملقد شقيت . ولكنى رأيت انه لم يبق شئ يفتح بعد ارض كسرى وقيصر وقدغنمنا الله اموالهم وارضهم وعلوجهم . فقسمت ماغنموا من اموال بين اهله واخرجت الخمس فوجهته على وجهه وقد رايت ان احبس الارض بعمالهاواضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزيه يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين المقاتله والذربه ولمن ياتى من بعدهم.

ارأيتم هذه المدن العظام لابد لهامن ان تشحن بالجيوش ٠
ارايتم هذه الثغور لابد لهامن رجال يلزمونها٠
فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارض واصحابها بين الفاتحين ؟ فقالوا جميعا : الرأى رايك ياأمير المؤمنين فنعم ماقلت ومارايت ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ويجرى عليهم مايتقوون به رجع اهل الكفر الى مدنهم٠

اتفق راى كبار الصحابة من المهاجرين والانصار مع راى عمر رضى الله عنه بعد ان بين لهم الظروف التى تجعل عدم تقسيم الارض المفتوحة على المقاتلين امرا واجبا وضروريا لان امور الدولة سوف تضطرب اضطرابا خطيرا اذا قسمت الارض كان هؤلاء الذين استشارهم عمر وشرح لهم وجهة نظره صفوة علماء الصحابة من المهاجرين والانصار من اهل الشورى الذين كان يستشيرهم عمر فى الملمات والاحداث الخطيره التى كان لايستطيع وحده ان يتحمل مسئولية الحكم فيها٠

ثم دعا عمر جميع اهل الشورى ومن بينهم بلال بن رباح وعبدالرحمن بن عوف واخبرهم بموافقة كبار الصحابة من المهاجرين والانصار على رايه بعد اقتناعهم بماقدمه لهم من حجج٠

ثم قال عمر : انى وجدت حجة قال الله تعالى فى كتابه :"وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير[1] ،حتى فرغ من شان بنى النضير فهذه عامة فى القرى كلها٠

ثم قال تعالى : "ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد

---

(١) سورة الحشر الايه (٦)٠

العقاب"(١).

ثم قال سبحانه " للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون"(٢). ثم لم يرض سبحانه حتى خلط بهم غيرهم فقال عز من قائل" والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "(٣). فهذا فيمابلغنا والله اعلم" للانصار خاصة.

ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال تعالى "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم"(٤) فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم. وبذلك صار هذا الفئ بين هؤلاء جميعا فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسمه ؟

فاجمعوا على ترك تقسيم الارض وجمع خراجها"(٥).

وبهذا يكون راى اهل الحل والعقد اصحاب الشورى قداجتمع على الاتقسيم الارض المفتوحه بين المحاربين .

فكتب عمر رضى الله عنه الى قواده فى البلاد المفتوحة بذلك . فقد كتب الى سعد بن ابى وقاص بالعراق :"امابعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ان الناس سالوك ان نقسم بينهم مغانمهم ومافاء الله عليهم فان اتاك كتابى هذا فانظر مااجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الارضين والانهار بعمالها ليكون ذلك فى اعطيات المسلمين ،فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شئ.

---

(١) سورة الحشر، الايه ٧
(٢) سورة الحشر الايه ٨
(٣) سورة الحشر الايه ٩
(٤) سورة الحشر الاية ١٠
(٥) انظر كتاب الخراج لابى يوسف ،ص ٦٧ ومابعدها.

وكتب عمر الى عماله بمصر والشام بمثل ذلك وهكذا وضع عمر الخراج على الارض المفتوحه وتركت فى ايدى زارعيها من السكان الاصليين واخرجت من مفهوم الغنيمة التى تقسم بين الفاتحين .

حكم الارض المفتوحه :

يقول الشوكانى[١] صاحب كتاب نيل الاوطار عن احمد بن حنبل واصحابه (وظاهر مذهب احمد واكثر نصوصه ان الامام مخير فيها (اى فى الارض المفتوحة عنوة) تخيير مصلحة لاتخيير شهوة .
فان كان الاصلح للمسلمين قسمتهاقسمهاوان كان الاصلح وقفهاعلى جماعتهم وقفها وان كان الاصلح قسمة البعض ووقف البعض فعله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الثلاثة "[٢].

ويرى ابوبكر الجصاص فى كتابه احكام القرآن . ان للامام الاختيار فى الارض المفتوحة فان راى قسمتها اصلح للمسلمين قسم وان راى اقرار اهلها عليهاواخذ الخراج منهم فعل .
ثم يقول الجصاص معقبا على مافعله عمر بالارض المفتوحة عنوة فى عهده "ثم لم يتعقب فعله هذا احد ممن جاء بعده من الائمة بالنسخ فصار ذلك اتفاقا".
ويقول لما اتفق الجميع من الصحابة على تصويب عمر فيمافعله فى ارض السواد بعد خلاف ووافقوه على احتجاجه بآية الحشر كان دليلا على ان الغانمين لايستحقون ملك الارضين ولارقاب اهلها الا بان يختار الامام ذلك لهم والالماسلموا له بفعله واستشهاده بالاية .
فالامام له الخيار فى الارض المفتوحه ويستشهد الجصاص بهذا الخيار بان الرسول صلى الله عليه وسلم قسم ارض خيبر نصفين نصف للرسول ونصف للمسلمين روى احمد وابو داود ان الرسول عليه الصلاة والسلام عزل نصف خيبر لنوائبه

---

(١) نيل الاوطار ج ٨ ، ص ١٦ .

ومايـنزل بـه وقسم النصف الباقى بين المسلمين" وقد فتحت عنوة فلوكانت حقا للفاتحين لخمسها وقسمها بينهم ويصل الجصاص الى هذه النتيجة "فقد حصل بدلالة الاية واجماع السلف تخيير الامام فى قسمه الارضين اوتركها اهلهاووضع الخراج عليهم"(١).

وقال ابن تيميه " من قال ان حبس عمر وعثمان للارض المفتوحة وترك قسمتها على الفاتحين لايجوز،لان النبى صلى الله عليه وسلم قسم خيبر.فالامام اذا حبسها نقض حكمه لمخالفة السنة - فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين لان مافعله النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر انما يدل على جواز فعله ولايدل على وجوبه.

ولو لم يكن ثبت انه فتح مكه عنوة ولم يقسمهالكان فعل الخلفاء الراشدين دليل على خيار الامام والامام فى الدولة الاسلامية يوكل اليه النظر والاختيار على اساس انه ملزم بان يستشير اهل الحل والعقد وان لاينفرد برأيه فى اى حكم اوتشريع. والالتزام بالشورى متضمن الالتزام باسس التشريع العامة لان الشورى من اسس التشريع فالنظر والبحث حق لجميع المسلمين وهو حق لمن ينيبهم عامة المسلمين وجهودهم ممن يطلق عليهم اولو الامر بماتستلزمه هذه الكلمه من مجلس للشورى يضع التشريعات مراعيا المصلحة العامة.

فعبارة النظر والاختيار للامام التى ترددت فى كلام العلماء والمجتهدين السابقين تعنى مشاورة الامام لاهل الحل والعقد اومجلس الشورى الذى انابته الامة عنها.

وعلى هذا نستطيع أن نفهم ايات الانفال والحشر.

فالاية الاولى وهى اية الانفال انماتشرع لحكم الاموال والمنقولات التى ياخذها المسلمون بعد قتال وعلى هذا سار العمل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

---

(١) احكام القرآن للجصاص ،حـ ٣،ص ٣٣١.

واما ايات سورة الحشر: فانما تشرع لما افاء الله على المسلمين بغير قتال من اموال ومنقولات وهى انها حق للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء المهاجرين والانصار وكل المسلمين فى جميع العصور اى انها تكون حقا لبيت المال يصرف منه على المستحقين هذا فيما يتعلق بالاموال والمنقولات وتبقى الارض فان فتحت بعد قتال كما حدث فى ارض العراق والشام ومصر وفلسطين فى عهد عمر فان المسلمين مخيرون فيما يحقق المصلحة العامة فان كانت تتحقق بتقسيمها قسمت كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام بارض بنى قريظه .

وان كانت المصلحة تتحقق بتركها فى ايدى زارعيها مقابل جزء من الثمار تركت فى ايديهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بارض خيبر وارض وادى القرى .

وان كانت المصلحة تتحقق بتركها فى ايدى اصحابها الاصليين بدون مقابل فعل المسلمون ذلك كما قضى الرسول عليه الصلاة والسلام فى ارض مكه .

وان كانت المصلحة تقتضى وقفها وقفا عاما واقرارها فى ايدى زارعيها مقابل خراج معين كما فعل عمر رضى الله عنه بموافقة اهل الشورى بالارض المفتوحة عنوة فى عهده وقفها.

حكم الارض المفتوحة صلحا بدون قتال.

اما الارض المفتوحة صلحا دون قتال فان المسلمين ملتزمون فيها بشروط الصلح.

فان صولحوا على نصفها مثلا فهو لهم على سبيل الملكية العامه ولا يقسم بين المسلمين على نظام الغنيمه ويصبح من حق بيت المال يصرف فى المصالح العامة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع اهل فدك .

وهكذا فى باقى شروط الارض المصالح عليها يفى المسلمون بشروطهم وهذا هو الرأى الذى سار عليه فقهاء المسلمين وعلماؤهم منذ العصر الاول وهو مانقول به ونعضده لانه الموافق للنصوص ولعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل اصحابه من بعده من الخلفاء الراشدين والصحابة والعلماء

المجتهدين الذين وافقوا عمر ولم ينقص عليهم ناقض الى يومنا هذا.
وقد ذكر الفقهاء عدة طرق لتقويم ارض الخراج واخذ الجباية عليها فقد ذكر الماوردى ثلاث طرق لهذا التقويم.(١)

١) ان يوضع الخراج على مساحة الارض (تقدر مساحة الارض الخراجية كلها ثم يوضع عليها مقدار الاجر".
٢) ان يوضع الخراج على مساحة الزرع "تقوم مساحة المزرعة الواحدة ثم يوضع عليها الاجر".
٣) ان يجعل الخراج مقاسمة "بين المزارعين والدوله".

وقد سبق ان ذكرنا ان نظام المقاسمة هذا عدلت اليه الدولة العباسية فى عهد المهدى بدلا من نظام المساحة الذى كان معمولا به من قبل.
والحق ان العباسيين فى العصر الاول قد وجهوا عنايتهم البالغة بامر الخراج وجعلوا اهتمامهم الكبير نحو الزراعة فى اقليم العراق لخصوبة الارض وتوفر الماء فقاموا بتنظيم عملية الرى فعملوا على حفر قنوات جديده وجلبوا عددا كبيرا من المهندسين المتخصصين بشئون الارواء والقنوات"(٢)
"وكان الخراج يجبى بعد المحصول وكذلك كانت السنة المالية فى جمع الخراج سنة شمسيه وليست قمرية على نحو ماحدث فى جمع الصدقات من المسلمين"(٣).
وقد بلغت مقادير الجبايه السنويةللخراجمقدارا كبيرا تريناا همية هذا المورد لمالية الدولة الاسلاميه والدخل السنوى الذى كان يدره لخزينة الدولة وقد اورد الجهشيارى قائمة من قوائم الخراج فى عصر الرشيد ارى انه من المهم اثباتها لنستدل من ارقامها الكبيره التى بلغت ملايين الدراهم والدنانير على مدى الثراء الذى وصلت اليه الدوله فى هذا العصر.

---

(١) الاحكام السلطانية، ص ١٤٧.
(٢) د.ضيف الله الزهرانى، موارد بيت المال فى الدولة العباسية، ص ٢٣٩.
(٣) مولوى الحسينى، الادارة العربية، ص ٣٥٣.

قائمة الجهشياري[1]

تمثل هذه القائمة التى اوردها الجهشيارى مقدار الدخل السنوى لبيت المال المركزى الوارد من جميع انحاء الدولة الاسلامية

الاقليـــــم	مقدار الجباية من الاموال	
اثمان غلات السواد	٨٠٧٨٠٠٠٠	درهم
ابواب المال بالسواد	١٤٨٠٠٠٠٠	،،
كسكر	١١٦٠٠٠٠٠	،،
كور دجلة	٢٠٨٠٠٠٠٠	،،
حلوان	٤٨٠٠٠٠٠	،،
الاهواز	٢٥٠٠٠٠٠٠	،،
فارس	٢٧٠٠٠٠٠٠	،،
كرمان	٤٢٠٠٠٠٠	،،
مكران	٤٠٠٠٠٠	،،
السند ومايليها	١١٥٠٠٠٠٠	،،
سجستان	٤٦٠٠٠٠٠	،،
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠٠	،،
جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠	،،
قومس	١٥٠٠٠٠٠	،،
طبرستان والرويان ودنباوند	٦٣٠٠٠٠٠	،،
الري	١٢٠٠٠٠٠٠	،،
اصفهان	١١٠٠٠٠٠٠	،،
همدان ودستبى	١١٨٠٠٠٠٠	،،
البصرة والكوفة	٢٠٧٠٠٠٠٠	،،

(١) الوزراء والكتاب ،ص ٢٨١ ومابعدها.

شهر زور ومايليها	٢٤٠٠٠٠٠ درهم
الموصل ومايليها	٢٤٠٠٠٠٠ ،،
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤٠٠٠٠٠ ،،
اذربيجان	٤٠٠٠٠٠ ،،
موقان وكرخ	٣٠٠٠٠٠ ،،
ارمينية	١٣٠٠٠٠٠ ،،
قنسرون والعواصم	٤٩٠٠٠٠ دينار
حمص	٣٢٠٠٠٠ ،،
دمشق	٤٢٠٠٠٠ ،،
فلسطين	٣٢٠٠٠٠ ،،
مصر (سوى تنيس ودمياط والاشمون فان هذه وقفت للنفقات)	١٩٢٠٠٠٠ ،
برقة	١٠٠٠٠٠٠ درهم
افريقية	١٣٠٠٠٠٠٠ ،،
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠٠٠٠ دينار
مكة والمدينة	٣٠٠٠٠٠ ،،

تدلنا هذه الارقام الكبيرة الواردة الى بيت المال والتى بلغت الملايين من الدراهم والدينارات على مدى الثراء الذى وصلت اليه الدولة فى ايام هارون الرشيد وحق له ان يقول للسحابة امطرى حيث شئت فسياتينى خراجك فهاهى الاموال تأتيه من الشرق ومن الغرب ومن كل ناحية من نواحى الدولة الاسلامية وقد استغلت هذه الاموال احسن استغلال فى عصره فى تجهيز الجيوش لصد اعداء الدولة الاسلامية الذين كانوا يهددون امنها وسلامتها ونشر رسالة الاسلام وانشاء المرافق والخدمات المختلفة فى انحاء الدولة وقد وردت مع هذه القائمة بعض الاشياء العينية الاخرى كالثياب وطين الختم والسكر وبعض انواع الفواكه والاطعمه والعطور وغيرذلك[1].

---

(١) انظر قائمة الجهشيارى ص ٢٨١ ومابعدها.

وقد ذكر ابن خلدون فى المقدمة[1] قائمة اخرى للخراج نسبها الى عصر المامون[2] وقد ورد فيها :

غلات السواد	٢٧٨٠٠٠٠٠ درهم
كسكر	١١٦٠٠٠٠٠ درهم
كور دجلة	٢٠٨٠٠٠٠٠ "
كرمان	٤٢٠٠٠٠٠ "
مكران	٤٠٠٠٠٠ "
السند ومايليه	١١٥٠٠٠٠٠ "
سجستان	٤٠٠٠٠٠٠ "
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠٠ "
جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠ "
قومس	١٠٠٠٠٠٠ "
طبرستان والرويان ونهاوند	٦٣٠٠٠٠٠ درهم
الرى	١٢٠٠٠٠٠٠ درهم
همذان	١١٣٠٠٠٠٠ "
مابين البصرة والكوفة	١٠٧٠٠٠٠٠ "
ماسبذان والدينور	٤٠٠٠٠٠٠ "
شهر زور	٦٧٠٠٠٠٠ "
الموصل وماليها	٢٤٠٠٠٠٠٠ "

---

(١) المقدمة ،ص ١٧٩ ومابعدها

(٢) قام الدكتور محمد ضياء الدين الريس بدراسة هذه القائمة دراسة مستفيضة وقارنها مع القائمة التى ذكرها الجهشيارى وتوصل الى ان القائمة التى ذكرها ابن خلدون ونسبها الى عصر المامون هى نفس قائمة الجهشيارى التى ذكرها فى عصر الرشيد حيث تطابقت ارقام كثير من البلدان فى القائمتين مع وجود تحريف فى بعض الارقام فى قائمة ابن خلدون وقد نقل كثير من الباحثين المحدثين هذه القائمة دون مقارنتها مع قائمة الجهشيارى ومن هؤلاء :جرجى زيدان .والدكتور حسن ابراهيم حسن والشيخ محمد الخضرى ،وعلل وضع اسم المأمون بدلا من الرشيد فى قائمة ابن خلدون بانه قد وضع نتيجة سهو اوخيانه للذاكرة.
انظر الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ص ٤٨٣.

اذربيجان	٤٠٠٠٠٠٠ درهم
الجزيرة ومايليها من اعمال الفرات	٣٤٠٠٠٠٠٠ ،،
ارمينية	١٣٠٠٠٠٠٠ ،،
قنسرون	٤٠٠٠٠ دينار
دمشق	٤٢٠٠٠٠ ،،
الاردن	٩٧٠٠٠ ،،
فلسطين	٣١٠٠٠٠ ،،
مصر	١٩٢٠٠٠٠ ،،
برقة	١٠٠٠٠٠٠ درهم
افريقية	١٣٠٠٠٠٠٠ ،،
اليمن	٣٧٠٠٠٠ دينار
الحجاز	٣٠٠٠٠٠ ،،

هذه هى قائمة ابن خلدون التى نسبها للمأمون وقد حوت القائمة اضافة الى هذه الارقام المالية منقولات اخرى مثل طين الختم والسكر وانواع من الثياب والاطعمه والفواكه والدواب وغير ذلك .

ونظرا للتطابق الكبير بين هاتين القائمتين فى الارقام فاننى اوافق الدكتور الريس فيما ذهب اليه فى ان هذه القائمة هى نفس قائمة الجهشيارى وانها تعود لعصر الرشيد وليس لعصر المأمون .

وهذا لايمنع ان هناك قوائم اخرى فى عصر المأمون الذى اشتهر بالثراء والمنح والعطاء ومقاومة الاعداء واعداد الجيوش القوية التى استطاعت ان توطد اركان الدولة فى عصره . فقد اورد قدامة بن جعفر قائمة من قوائم الخراج فى عصر المأمون بلغت مائة وثمانية ملايين واربعمائة وسبعة وخمسون الفا وستمائة وخمسين درهما[1]. "١٠٨٤٥٧٦٥٠ درهما".

---

(١) قدامه بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٧ .

واورد الدكتور حسن ابراهيم حسن قائمة من قوائم الخراج فى عصر المعتصم تفاصيلها كالاتى :

اقاليم المشرق	دراهم	اقاليم المشرق	دراهم
السواد	١٤ر٤٥٧ر٦٥٠	الرى ودنباوند	٢٠ر٠٨٠ر٠٠٠
الاهواز	٢٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قزوين وزنجان وابهر	١ر٨٢٨ر٠٠٠
فارس	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠	قومس	١ر١٥٠ر٠٠٠
كرمان	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	جرجان	٤٠٠ر٠٠٠ر٧٠٠
مكران	١ر٠٠٠ر٠٠٠	طبرستان	٤ر٢٨٠ر٠٠٠
اصبهان	١٠ر٥٠٠ر٠٠٠	تكريت والطيرهان	٩٠٠ر٠٠٠
سجستان	١ر٠٠٠ر٠٠٠	شهزور وصامغان	٢ر٧٥٠ر٠٠٠
خراسان	٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠	الموصل وماليليها	٦ر٣٠٠ر٠٠٠
حلوان	٩٠٠ر٠٠٠	قردى وبديدى	٣ر٢٠٠ر٠٠٠
ماه الكوفة	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	ديار ربيعه	٩ر٦٣٥ر٠٠٠
ماه البصرة	٤ر٨٠٠ر٠٠٠	ارزن وميافارقين	٤ر٢٠٠ر٠٠٠
همذان	١ر٧٠٠ر٠٠٠	طرون	١٠٠ر٠٠٠
ماسبذان	١ر٢٠٠ر٠٠٠	امد	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
مهرجانقذف	١ر١٠٠ر٠٠٠	ديار مضر	٦ر٠٠٠ر٠٠٠
الايفارين	٣ر٨٠٠ر٠٠٠	اعمال طريق الفرات	٢ر٩٠٠ر٠٠٠
قم وقاشان	٣ر٠٠٠ر٠٠٠		
اذربيجان	٣ر٥٠٠ر٠٠٠		

اقاليم المغرب	دينـــــار
قنسرين والعواصـــم	٣٦٠ر٠٠٠
جند حمص	٢١٨ر٠٠٠
جند دمشق	١١٠ر٠٠٠
جند الاردن	١٠٩ر٠٠٠
جند فلسطين	٢٩٥ر٠٠٠
مصر والاسكندرية	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
الحرمين	١٠٠ر٠٠٠
اليمن	٦٠٠ر٠٠٠
اليمامةوالبحرين	٥١٠ر٠٠٠
عمان	٣٠٠ر٠٠٠

نخلص الى القول بان خزينة الدولة فى هذا العصر كانت تجبى اليهـــا اموال كثيرة ،بلغت هذاالمقدار الكبير من المال واتضح لناذلك من خـــلال الارقام التى اوردناها فى كل من عصر الرشيد والمامون والمعتصم.

وكانت الدولة تنفق من هذه الاموال على المصالح والخدمات المختلفـــة "فتدفع ارزاق القضاة والولاة والعمال وصاحب بيت المال وغيرهم من الموظفين كماتدفع منهااعطيات الجند .... كماينفق منه على كرى الانهار واصـــلاح مجاريها،وكرى الترع التى تاخذ من الانهار الكبيرة كدجلةوالفرات لتوصيـل الماء الى الاراضى البعيده،والنفقة على المسجونين واسرى المشركين مـــن ماكل ومشرب وملبس ،ودفن من يموت منهم وشراءالمعدات الحربية"[1]واقامـــة المصانع والحصون وسدالثغور.

(١) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،حـ٢،ص ٢٨٩ .

(٢) الزكـــاة :

الزكاة فى الاسلام من الموارد الاساسية فى مالية الدولة الاسلامية ،وهى ركن من اركان الاسلام وقد فرضت على الموسرين من المسلمين ،حينما استقر الرسول صلى الله عليه تسلم واصحابه بالمدينة المنورة.

قال الماوردى : "الصدقة زكاة ،والزكاة صدقة ،يفترق الاسم ويتفق المسمى ولايجب على المسلم فى ماله حق سواها"(١).

وتجب فى الاموال المرصدة للنماء ،-امابانفسها اوبالعمل فيهاطهرة لاهلها.(٢)

وهى واجبة على المسلم بنص القرآن الكريم قال تعالى : "واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين"(٣).

وقال تعالى :"واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هومولاكم"(٤).

وقد وردت كثير من ايات القرآن الكريم حاثة على الزكاة ومرغبة فى ادائها ،كمانص القرآن الكريم على مصارف الزكاة بقوله تعالى:" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ،والله عليم حكيم"(٥).

لقد حددت الاية الكريمة الوجوه التى ينبغى ان تصرف فيها اموال الزكاة ولايجوز ان تصرف فى غير الوجه الذى حدد لها حيث تؤخذ من اغنياء المسلمين وترد الى فقرائهم. قال ابويوسف :ولاينبغى ان يحمل مال الخراج الى مال الصدقات والعشور لان الخراج فى لجميع المسلمين ،والصدقات لمن سمى الله فى كتابه "(٦)

---

(١) الماورى ، الاحكام السلطانية ،ص ١١٣.

(٢) المصدرنفسه ،ص ١١٣.

(٣) سورة البقرة ، الاية ٤٣ .

(٤) سورة الحج ، الاية ٧٨.

(٥) سورة التوبة ، الاية ٦٠ .

(٦) الخراج ،ص ١٧٦ .

فكانت الصدقات تجمع في هذا العصر - كماكانت تجمع من قبل - فتوزع على مستحقيها الا ان بعض عمال الخراج كانوا يتدخلون في امر الصدقات فيوقعون بعض الظلم على الرعية ،فنصح ابو يوسف الخليفة بان لايولى عمال الخراج الصدقات بقوله :" ولاتولها عمال الخراج ،فان مال الصدقة لاينبغي ان يدخل في مال الخراج . وقد يبلغني ان عمال الخراج يبعثون رجالا من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعسفون ويأتون مالايحل ،ولايسع ،وانماينبغي ان يتخير للصدقة اهل العفاف والصلاح"(١).

وتؤخذ الزكاة من الشياه والابل والبقر(٢)،والذهب والفضة(٣)،والزرع، والثمار(٤)،وقد حدد الفقهاء انصبة كل منها(٥). فكان هذا المورد الهام يسهم في حل كثير من المشكلات الاجتماعية التي كان يتعرض لها افراد المجتمع الاسلامي الذي يقوم على التكافل والتعاون .

(٣) العشور :

وهي الضريبة المفروضة على الاموال التجارية الصادرة والواردة الى الدولة الاسلامية"(٦).

ولم يكن لهذه الضريبة وجود في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته ابو بكر الصديق لضعف المعاملات التي كانت تتم في الدولة الاسلامية في ذلك الوقت .

ويرى بعض الباحثين انهاكانت موجودة في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام بدليل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينمابعث انس بن مالك

---

(١) الخراج ،ص ١٧٦.
(٢) ابو يوسف ،الخراج ،ص ١٦٨-١٦٩
(٣) الماوردي ،الاحكام السلطانية ،ص ١١٩.
(٤) المصدر نفسه ،ص ١١٧- ١١٨.
(٥) انظر ابو يوسف ،الخراج ،ص ١٦٨-١٦٩، الماوردي ،الاحكام السلطانية ، ص ١١٤ومابعدها وغيرها من كتب الفقه لمعرفة مقدار زكاة كل منها.
(٦) خير الله طلفاح ،النظام الاقتصادي في الاسلام ،ص (٣٥)

لجباية العشور قال له انس:" ياامير المؤمنين تقلدنى المكس ، فقال له عمر :قلدتك ماقلدنى رسول اللهصلى اللهعليهوسلم قلدنى امورالعشور وامرنى ان اخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ومن الحربى العشر"(١).

وقد علق د.عبدالكريم زيدان على هذا الاثر بقوله:"والحق ان هذا الاثر لم يذكره اهل الحديث مرفوعا الى النبى صلى اللهعليهوسلم"(٢).

وعلى اية الحال فان الثابت انهاوضعت فى عهد سيدناعمر رضى الله عنه فقد ذكر ابوعبيد:ان اول من وضع العشور فى الاسلام عمر رضى الله عنه"(٣) وذلك ان اباموسى الاشعرى كتب اليه:"ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر"فكتب اليهعمر:"فخذ انت منهم كمايأخذون من تجارالمسلمين"(٤).

وكتب اليه اهل منبج وهم قوم من اهل الحرب وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب رضىاللهعنه. دعنانَدخل ارضك تجارا وتعشرنا . فشاور عمر اصحاب رسول اللهصلى اللهعليهوسلم فى ذلك فأشاروا عليهبه"(٥).

ومقدار الجباية ان يؤخذ من المسلمين ربع العشر،ومن اهل الذمة نصف العشر،ومن اهل الحرب العشر،من كل مامروا بهعلى العاشر للتجارة،

---

(١) السرخسى ،ابوبكر محمدبن ابى سهل،ت ٤٩٠هـ ، المبسوط طباعةدارالمعارف بيروت ،ج٢،ص ١٩٩.

(٢) احكام الاميين والمستأمنين فى دار الاسلام ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ،ص ١٧٧.

(٣) ابن سلام ، الاموال ،ص ٦٤٢،وانظرالخراج لابى يوسف ص ٢٧٦، ابن قيم الجوزية ،شمس الدين ابى عبدالله محمد بنابى بكر، احكام اهلالذمة حققه وعلق عليهد.صبحى الصالح طباعةدار العلمللملايين ،بيروت - لبنان ،١٤٠١هـ - ١٩٨١م ،ج ١،ص ١٥٦.

(٤) ابويوسف ، الخراج ،ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٧٦ .

فبلغ قيمة ذلك مائتى درهم فصاعدا اخذ منها العشر وان كان قيمة ذلك اقل من مائتين لم يؤخذ منها شئ ،وكذلك اذا بلغت القيمة عشرين مثقالا اخذ منها العشر(١).

قال ابو يوسف :"وكل ما اخذ من المسلمين من العشر فسبيله سبيل الصدقة وسبيل مايؤخذ من اهل الذمة جميعا واهل الحرب الخراج"(٢)

ولايؤخذ من اهل الذمة ضريبة العشر فى السنة الا مرة واحدة ولو مروا على العاشر مرارا(٣). ومتى اخذ منهم مرة كتب لهم حجة بأدائهم لتكون وثيقة ،وحجة على من يمرون به"(٤).

وقد نصح ابو يوسف الخليفة هارون الرشيد بان يولى على العشور قوما من اهل الصلاح والدين ويأمرهم ان لا يتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ،ولايظلموهم ،ولايأخذوا منهم اكثر مما يجب عليهم"(٥).

والواقع فان العشور اوالضريبة التجارية كانت تمثل جزءا لابأس به من واردات بيت المال فى هذا العصر،حيث نشطت المعاملات التجارية فى الدولة الاسلامية وخارجها بين المسلمين والذميين والمحاربين .

ولاتمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية ومفصلة عن حجم واردات بيت مال المسلمين من هذه العشور،كماهو الحال فى الخراج،الا ان الفقهاء كابى يوسف وابن سلام وابن القيم والماوردى قد فصلوا كثيرا فى هذه المسألة مما يدل على ان العشور كانت تشكل جزءا هاما من المصادر المالية للدولة الاسلامية .

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٢٧١،وانظر كتاب الاموال لابى عبيد،ص ٦٤٠ ومابعدها ، ابن القيم ، احكام اهل الذمة ،ح١،ص ١٦١ .
(٢) ابويوسف ، الخراج،ص ٢٧٤.
(٣) ابن القيم،احكام اهل الذمة،ح ١،ص ١٦١.
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٦٢.
(٥) ابويوسف ، الخراج ،ص ٢٧١ .

الجزيـــــة :

نص القرآن الكريم على الجزية حيث قال تعالى : "قاتلوا الذيـــــــــن لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ،ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون ديـــن الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون"(١).

"وهى موضوعة على الروّس واسمهامشتق من الجزاء، اماجزاء على كفرهـــم لاخذها منهم صغارا، او جزاء على امانناالهم لاخذها منهم رفقا"(٢).

وتختلف الجزية عن الخراج فى ثلاثة اوجه :

(١) ان الجزية نص والخراج اجتهاد.

(٢) ان اقل الجزية مقدر بالشرع واكثرها مقدر بالاجتهاد،والخراج اقلـــه واكثره مقدر بالاجتهاد.

(٣) الجزية توّخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالاسلام،والخراج يوّخذ مع الكفـــر والاسلام.(٣)

وتوّخذ الجزية من الرجال البالغين – القادرين على الكسب – دون النساء والاطفال(٤)،من اهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئين والسامرة(٥).

ويبلغ مقدار الجزية على كل رأس من الرءوس ثمانية واربعين درهمـــا (على الغنى)، اربعة وعشرين (على المتوسط)،واثنى عشر على الفقير(٦)،ويوّخذ الجزية مماتيسر من اموال اهل الذمة ولايشترط فى ذلك الذهب والفضه(٧).

---

(١) سورة التوبة، الاية ٢٩

(٢) الماوردى ، الاحكام السلطانية ،ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٤٢.

(٤) ابن سلام، الاموال ،ص ٤٥، الماوردى الاحكام السلطانية ،ص ١٤٤.

(٥) ابويوسف ، الخراج ،ص ٥٣، ابن سلام، الاموال ،ص ٣٩.

(٦) ابن سلام، الاموال ،ص ٥٣، ابن القيم، احكام اهل الذمة ، ح ١،ص ٢٨.

(٧) ابن القيم ، احكام اهل الذمة ،ح ١،ص ٢٩.

والجزيه نوعـان:(١)

(١) جزية صلحية وهى التى توضع بالتراضى والصلح عليها وهذه خاضعة فى تقديرها وكل مايتعلق بهالمايقع عليه الاتفاق كماصالح رسول الله صلى الله عليهوسلم اهل نجران على الف ومائتى حلة.
وصالح عمر بن الخطاب رضى اللهعنه بنى تغلب على ان يؤخذ منهم ضعف مايؤخذ من المسلمين فلايجوز التعدى الى غير ماوقع عليه الاتفاق.

(٢) جزية غير صلحية وهى التى يبتدئ الامام بوضعها اذا غلب على الكفار واقرهم على املاكهم. وهى فى ارجح الاراء موكولة الى اجتهاد ولى الامر ليقدر على كل شخص مايناسب حالهولا يكلف احدا فوق طاقته.

وقد اوصت تعاليم الشريعة الاسلامية على معاملة اهل الذمة معاملة كريمة ،وقد اشار ابو يوسف على الخليفة بالرفق باهل الذمة والتفقدلهم حتى لايظلموا ولايؤذوا ولايكلفوا فوق طاقتهم ، ولايؤخذ شئ من اموالهم الابحق يجب عليهم(١). فقد روى عن رسول اللهصلى الله عليهوسلم انهقال : من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فاناحجيجه"(٢)

وذكر ابوعبيد :"ان عمر رضى اللهعنه اتى بمال كثير من الجزيةفقال انى لاظنكم قداهلكتم الناس ،قالوا:لا،واللهما اخذنا الا عفوا صفوا،قال :فلا سوط ولانوط ،قالوا: نعم،قال : الحمد لله الذى لم يجعل ذلك على يدى ولافى سلطانى"(٣).

ولقد عاش اهل الذمة فى كنف الدولة العباسية فى عمرها الاول متمتعين بالامن والطمأنينه ،وتقلدوا بعض الاعمال الرسمية مثل الكتابة فى الدواوين وتطبيب الخلفاء وغير ذلك.

(١) د.ابراهيمنجيب عوض ،نظام الحكم فى الاسلام،تحت الطبع ،ص ١٧ .
(٢) ابويوسف ، الخراج،ص ٢٥٧
(٣) اخرجه ابو داود فى سننه،١٧٠/٣.
(٤) ابن سلام،الاموال ،ص ٥٤ .

لقد اصبحت الجزية موردا من الموارد المالية الهامة التى تدر على خزينة الدولة الاسلامية مبالغ كبيرة اضافة الى الموارد السابقة، فقد قدرت الجزية فى عصر الخليفة المهدى والتى دفعها الروم اثر الصلح الذى تم بينه وبينهم بتسعين او سبعين الف دينار[١].

ودفع نقفور ملك الروم جزية لهارون الرشيد فى سنة ١٩٠ هـ بلغت ٥٠٠٠٠ دينار[٢].

هذا بالاضافة الى الجزية التى يؤديها اهل الذمة الذين يقطنون ارجاء متفرقة من الدولة الاسلامية.

الاخماس:

الغنائم

الغنيمة فى اللغة هى الفوز بالشئ بلامشقة[٣]. واصطلاحا: ماغلب عليه المسلمون بالقتال حتى اخذوه عنوة"[٤]. وقد نص القرآن الكريم على مصارف خمس الغنيمة حيث قال تعالى: "واعلموا انماغنمتم من شئ فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ،يوم التقى الجمعان،والله على كل شئ قدير"[٥].

قال ابو يوسف فى شأن هذه الاية: "فهذا - والله أعلم- فيمايصيب المسلمون من عساكر اهل الشرك وما اجلبوا به من المتاع والسلاح والكراع فان فى ذلك الخمس لمن سمى الله فى كتابه، واربعة اخماس بين الجند الذين اصابوا ذلك

---

(١) د. ضيف الله الزهرانى ،موارد بيت المال فى الدولة العباسية ،ص ١٠٩

(٢) الطبرى ،تاريخ،ج ٨ ،ص ٣٢١.

(٣) ابن منظور،لسان العرب ،١٢/٤٤٥ .

(٤) يحى بن آدم القرشى ،الخراج ،ص ١٧.

(٥) سورة الانفال ، الايه (٤١).

من اهل الديوان وغيرهم يضرب للفارس منهم ثلاثة أسهم سهمان لفرسه وسهم له ،وللراجل سهم"(١).

ولماكانت الدولة العباسية فى حالة حرب دائمة مع اعدائها المحيطين بها من البيزنطيين وغيرهم حيث كثرت الوقائع الحربية بينهم وبين المسلمين فقد اسفرت هذه الوقائع الحربية بجزء من واردات بيت المال اثر الانتصارات التى كانوا يلحقونها باعداء الدولة الاسلامية وكان بعض الخلفاء يقودون الغزو بانفسهم مثل الرشيد ـ المعتصم كمارأينا من قبل فساهمت الغنائم بجزء من واردات خزينة الدولة.

الركاز : ومن الاخماس ايضا الركاز وهوكل مال وجد مدفونا من ضرب الجاهلية فى موات او طريق سابل(٢).من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فان فى ذلك الخمس فى ارض العرب كان اوفى ارض العجم وفيمايستخرج من البحر من حلية وعنبر(٣).

هذه هى المصادر الرئيسية لخزينة الدولة الاسلامية ،فى العصر العباسى الاول ،وكما رأينا فى الصفحات القلائل الماضية ،ان التدابير التى اتخذت فى جباية هذه الاموال ،لم تخرج عن هدى الشريعة الاسلامية.

وقد شكلت هذه الواردات فى مجملهادخلاكبيرا ،نعمت به الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الاول ،حيث امتلأت الخزائن بالاموال ،وكانت الدولة تنفق بسخاء كبير على كل اوجه الحياة المختلفة ،فبنوا مدناجديدة ،وكثيرا من المساجد،وعمروا المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف ،ووجهواجهوداعظيمة فى اصلاح الطرق ،وحفرالانهار والترع والقنوات ،واحياء الارض ومنحوا الرعية الاعطيات والهبات ،كما انفقوا منهاعلى ارزاق الجند،والولاة ،والقضاة ،والكتاب والعمال ،واقامة السدود وتحصين الثغور وغيرذلك مماتستدعيه مصالح الدولة والرعية.

---

(١) ابو يوسف ،الخراج،ص ٥٧
(٢) الخوارزمى ،مفاتيح العلوم،ص ٣٩،الماوردى ،الاحكام السلطانية ،ص ١٢٠.
(٣) ابويوسف ،الخراج ،ص ٦٣.

الباب الثاني

التشريع في العصر العباسي الأول

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول : الكتاب والسنة

الفصل الثاني : الإجماع والقياس

الفصل الثالث : الاجتهاد

الفصل الاول

الكتاب والسنة

النظام التشريعى فى العصر العباسى الاول

يجدر بنا أن نعرف بالشريعة قبل الحديث عن النظام التشريعى فى الدولة العباسية ،فالشريعة كثيرا ماجاءت مرادفة لكلمة الفقه الاسلامى فى كتابات الفقهاء .

فالشريعة فى اللغة أطلقت على معنيين :

أحدهما، الطريقة المستقيمة،[١]،ومنه قوله تعالى : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ".[٢]

والثانى :"مورد الماء الجارى الذى يقصد للشرب"[٣].

أما فى الاصطلاح :

فهى الاحكام التى سنها الله لعباده ليكونوا مؤمنين عاملين على مايسعدهم فى الدنيا والآخرة ،وسميت هذه الاحكام شريعة ،لأنها مستقيمة محكمة الوضع ،لاينحرف نظامها ولا تلتوى عن مقصدها كالجادة المستقيمة لاألتواء فيها ولا اعوجاج [٤].

وأما الفقه فى اللغة فمعناه الفهم [٥].

وفى الاصطلاح هو : " العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية " وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ويحتاج فيه الى النظر والتأمل " [٦].

يتضح لنا من تعريف الشريعة والفقه أن المراد بالشريعة هى جملة الدين ،أما الفقه فهو أخص من الشريعة لأنه يتعلق بكيفية استنباط الأحكام الشرعية .

---

(١) ابن منظور ،لسان العرب ،١٧٦/٨ . (٢) سورة الجاثية ، الاية ١٨.

(٣) ابن منظور ، المصدر السابق ،١٧٦/٨ .

(٤) الشيخ محمد على السايس : تاريخ الفقه الاسلامى ،الناشر محمد على صبيح وأولاده مصر ،ص ٥ .

(٥) محمد بن ابى بكر الرازى ،مختار الصحاح ،ط وزارة المعارف المصرية ، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ،ص ٥٣٤ .

(٦) عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه ، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر ، الكويت ،الطبعة الثانية عشر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ،ص ١١،د. محمد يوسف موسى ،المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،طبعة دار الفكر العربى ،ص ١١.

الفرق بين التشريع الاسلامى والتشريع الوضعى

يختلف التشريع الاسلامى عن التشريع الوضعى فى عدة نقاط أساسية لابد من الاشارة اليها :

فالتشريع الاسلامى هو ماشرعه الله لعباده على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام فى العقائد والأخلاق والنواحى العملية بقسميها العبادات والمعاملات .

أما التشريع الوضعى "فهو مايسنه رجال القانون من قوانين تنظم علاقة الناس مع بعضهم البعض وتحقق مصلحة الجماعة ، وتنظم علاقة الرعية بالسلطات الحاكمة وتحتكم اليها الرعية فيما ينشب بينها من خصومات". (١)

اذن يختلف التشريعان من حيث المصدر "فمصدر التشريع الاسلامى هو الله الذى خلق الناس ، وعلم ما يصلحهم فى دنياهم وآخرتهم ، ولهذا يأخذ الناس بالتدرج فى التشريع ويكلفهم مايستطيعون ، وكلما كلفهم أمرا يسر عليهم وأباح للعاجز منهم أن يقوم بعمل آخر لاتلحقه مشقة بالقيام به ، فمن عجز عن الماء لفقده ، او لعدم قدرته على استعماله لمرض فله ان يتيمم". (٢)

أما التشريع الوضعى فكما هو معلوم لدينا قد وضعه مجموعة من البشر لمجتمع من المجتمعات ، والبشر مهما بلغوا من العلم والمعرفة لايمكن ان يبلغوا مثقال ذرة من علم الله المحيط العالم بكل شئ ، ومايصلح لمجتمع من المجتمعات قد لايصلح لغيره ، ولكن التشريع الاسلامى قد راعى كل المجتمعات البشرية .

يقول الدكتور عبد العظيم شرف الدين : " ... ومن أجل هذا نرى أن القوانين الانسانية كثيرا ماتصدر فتصادف معارضات شتى نتيجة ثغرات أغفلها

---

(١) د. عبد العظيم شرف الدين ، تاريخ التشريع الاسلامى وأحكام الملكية والشفعة ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ص ٣٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

واضعوا القانون ،والمشرعون فى كل أمة يحاولون جهد طاقتهم أن يسنوا من القوانين مايصلح الجماعة ويحقق لها حاجاتها ،ولكن التطبيق العملى لهذه القوانين يكشف ضروبا من النقص فى هذه القوانين فيعاود القانونيون النظر مرة اثر آخرى ،على أن القوانين الوضعية رهن برغبة السلطات التى تمت فى عهدها فاذا رغبت فى تغييرها فرضت قوانين أخرى ،كما أنها رهن ببقاء هذه السلطات قائمة .. " (١).

ويقول الدكتور محمد فاروق النبهان :" واذا كانت الشرائع الوضعية تنشأ فى المجتمع نتيجة أعراف وتقاليد وعادات ثم تتطور حتى يصبح لها قوة الالزام ،فان الشريعة الاسلامية تختلف عن الشرائع الوضعية فى هذا المجال ،فهى لم تنشأ نتيجة أعراف متغيرة ،ولو كانت كذلك لوجب أن تتطور وتتغير مع تطور وتغير تلك الاعراف ،وانما جاءت من مصدر الهى عن طريق الوحى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،فهى شريعة ربانية فى مصدرها ،واذا كانت كذلك فان من الضرورى أن تكون ذات طبيعة انسانية ، لأن الخالق لايمكن أن يضع لعباده تشريعا متحيزا لفئة منهم ،ولامعبرا عن مصالح بعضهم ،وانما يأتى التشريع للناس كافة ،لأن الناس متساوون فى الحقوق الانسانية ،وهم فى درجة سواء "(٢).

ان الشريعة الاسلامية هى الطريقة المستقيمة التى ارتضاها الله سبحانه وتعالى لعباده لكى تكون لهم منهاجا وسلوكا يسيرون عليه ،وهو العالم بغيب السموات والارض يعلم مايضرهم وما ينفعهم ،وهى التى وحدت الأمة العربية التى كانت تعيش فى جاهلية جهلاء وتسودها شريعة الغاب، حيث يأكل القوى منهم الضعيف ،وتقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب فتحولوا الى مجاهدين يبذلون أرواحهم رخيصة فى سبيل الله بعد أن كانوا يبذلونها فى سبيل القبيلة أو غير ذلك ففتحوا الدنيا شرقا وغربا ،ودانت

---

(١) د . عبد العظيم شرف الدين ، المرجع السابق ،ص ٣٤ .

(٢) د . محمد فاروق النبهان ، المدخل للتشريع الاسلامى ، الناشر : وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ دار القلم ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٧م، ص ١٦ .

لهم الأكاسرة والقياصرة .

وان حالة الفرقة ،والشتات والتمزق التى تعيشها الأمة الاسلامية اليوم ماهى الا نتيجة لنبذها شريعة الله وراء ظهورها ،فضرب الله عليها الذلة وهانت لدى الشعوب الأخرى ولايغير الله مابنا حتى نغير مابأنفسنا فما أحرانا بالعودة الى شريعتنا السمحاء حتى تكون لنا السيادة والريادة في العالم كما كان لأسلافنا .

التشريع فى العصر العباسى الاول

مقدمـــه :

ترعرت حركة العلوم والمعارف فى العصر العباسى الأول عما كانت عليه فى العصر الأموى ،وازدهرت ازدهارا فاق كل حد ،واحتضنت الدولة العلماء والفقهاء ورعتهم رعاية كاملة وشجعتهم على المضى قدما فى سبيل البحث العلمى والتفقه فى الدين مما حدا بكثير من الباحثين على وصف هذا العصر بأنه العصر الذهبى للعلوم والمعارف والفقه الاسلامى ،وبأنه عصر النضوج والكمال [١].

يقول الدكتور محمد يوسف موسى : " ويعتبر قيام هذه الدولة ـ العباسية ـ حدثا ملحوظا فى حياة الفقه والتشريع لأنها قامت باسم الدين وعلى الدين فلا عجب أن يعنى رجالها بالحياة الدينية وأن يعملوا على أن تقوم على قانون مستمد من صميم الفقه الاسلامى . فكانت الحاجة ماسة للفقه والفقهاء ."[٢].

حقا لقد كان حكم العباسيين عاملا قويا من عوامل ازدهار الفقه وتطوره ،وفقا للحياة العامة التى كان عليها المسلمون ابان هذه الدولة وتمشيا مع ماكان يجد من مشاكل ووقائع تتطلب أحكاما شرعية لها .[٣]

وحسبنا أن المذاهب الفقهية السائدة اليوم فى العالم الاسلامى وهى : المالكى ـ الحنفى ـ الشافعى ـ الحنبلى ،قد نمت وترعرعت فى ظلال العصر العباسى الاول دلالة على تشجيع الدولة للفقهاء والعلماء وعنايتها بهم .

---

(١) أنظر عبد الوهاب خلاف ، السلطات الثلاث فى الاسلام ،ص ٧٧،د . محمد فاروق النبهان ، المدخل للتشريع الاسلامى ،ص ١٥٨،محمد على السايس تاريخ الفقه الاسلامى ،ص ٨٠،وغيرهم ممن كتب فى هذا المجال .

(٢) المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،ص ٥٥ .

(٣) المرجع نفسه ،ص ٥٥ .

مصادر التشريع فى هذا العصر

أجمع الفقهاء على أن مصادر التشريع الاسلامى هى ، الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

ولا أود الدخول فى اختلافات الفقهاء والاصوليين ،وتعريفاتهم الدقيقة لهذه المصادر ،وحجية كل مصدر من مصادر التشريع ،واختلاف الظاهرية والشيعة مع جمهور الفقهاء ،فى القول بعدم حجية القياس او الاجماع ،واحتجاج كل فريق بحجته ،فهذا ليس مجاله هنا ،ولكن الذى أود الحديث فيه هو تبيان هذه المصادر كأصول للتشريع فى هذا العصر .

أولا الكتاب والسنة :

الكتاب هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ،وهو أجل من أن يعرف كما يقول الشيخ محمد الخضرى (١) لأنه معلوم بداهة لدى كل مسلم .

وعلى الرغم من ذلك فان الفقهاء والأصوليين اتفقوا على أن الكتاب هو : " القرآن المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم المنقول الينا بين دفتى المصحف تواترا "(٢).

وقد بنى التشريع الاسلامى فى القرآن الكريم على ثلاثة أسس هى :

---

(١) تاريخ التشريع الاسلامى :الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، الطبعة الثامنة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ،ص ٥ .

(٢) الأمدى ،على بن محمد الأمدى ، الاحكام فى أصول الأحكام، الناشر المكتب الاسلامى – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ،ج ١ ،ص ٥، الحجوى الثعالبى ، محمد بن الحسن ، الفكر السامى فى تاريخ الفقة الاسلامى ، الناشر ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ، ج ١ ، ص ٢٥ ،عبد الوهاب خلاف ،علم أصول الفقه ،ص ٢٣ ،محمد على السايس، تاريخ الفقه الاسلامى ،ص ١٥ ،د . حسين حامد حسان ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،نشر مكتبة المتنبى ،القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، ص ١٣٦ ،د . محمد فاروق النبهان ، المدخل للتشريع الاسلامى ،ص ٨٢ ، محمد زكريا البرديسى ،أصول الفقه ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٣م ،ص ١٧٢ .

" عدم الحرج ،وقلة التكاليف ،والتدرج فى التشريع " [١].

أما السنة فهى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم.

والسنة فى اللغة الطريقة أو السيرة حسنة كانت أم سيئة [٢]. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :"من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ،ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة " [٣].

والسنة فى الاصطلاح الشرعى : " هى ماصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير " [٤].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يبلغ ما أنزل اليه من ربه " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك " [٥] كما أمره ببيان ما أنزل اليه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون" [٦].

وقد بلغ الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن الى المسلمين ،كما بين فى القرآن الكريم ،فما ورد فيه مجملا فصله ،وماورد فيه عاما خصصه ، وماورد فيه مطلقا قيده ،فمثال تفصيل المجمل ماورد فى السنة العملية من بيان أعمال الحج ،والحج قد ورد فى القرآن مجملا . ومثال تخصيصه العام ماورد فى السنة من حرمان الولد القاتل من الميراث ،وقد ذكر القرآن

---

(١) الشيخ الخضرى ،تاريخ التشريع الاسلامى ،مرجع سابق ،ص ١٥،محمد على السايس ،مرجع سابق ،ص ٢٥ .

(٢) أحمد بن محمد الفيومى ، المصباح المنير ،ج ١ ،ص ٢٩٢ .

(٣) أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلى .

(٤) الأمدى ، الاحكام فى أصول الألاحكام ،مصدر سابق ،ج ١ ،ص ١٦٩، الحجوى الثعالبى ، الفكر السامى ،ج ١ ،ص ٤١ ،عبد الوهاب خلاف علم اصول الفقه ،ص ٢٦ ،د . مصطفى السباعي ، السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ،ص ٤٧ ،د . عبد الكريم زيدان ،المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ،ص ١٩٠ .

(٥) المائدة ، الآية (٦٧) .

(٦) النحل ، الآية (٤٤) .

الكريم الوصية بالاولاد بصيغة العموم " يوصيكم الله فى أولادكم" . فقوله عليه السلام " لايرث القاتل شيئا" يخرج الولد القاتل ويخصص العموم فى الاولاد الدال عليه ماورد فى الآية السابقة . ومثال تقييده المطلق ما ورد فى السنة من تقييد اليد عند قطعها بسبب السرقة بأن تقطع من الرسغ لا من المرفق ،ولامن الكتف ،والأيدى قد وردت فى الآية مطلقة (١)،قال تعالى: " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" (٢).

فالسنة اذن شارحة للقرآن الكريم ومبينة له .

هذان المصدران (الكتاب والسنة) هما الأساس الذى قام عليه التشريع الاسلامى منذ عهد النبوة فقد كان القرآن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ويقوم عليه الصلاة والسلام بدوره بتبليغه الى أصحابه الذين كانوا يسألونه على الدوام عما يحدث لهم أو مايريدون معرفته ،يقول الشيخ خلاف رحمه الله " وكان المسلمون اذا عرض لهم حادث أو شجر بينهم خلاف وأرادوا معرفة حكم الاسلام فيه رجعوا الى الرسول لتعرف ما أرادوا ،وكان صلى الله عليه وسلم يبين لهم حكم مانزل بهم ويجيبهم عما سألوا عنه تارة بآية أو آيات من القرآن الكريم ينزل عليه بها الوحى من ربه وتارة بأقواله وأفعاله التى تصدر عن اجتهاده ونظره " (٣).

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهجه صلى الله عليه وسلم مستمسكين بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام " تركت فيكم امرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه " (٤) فاستمدوا أحكامهم من كتاب الله عز وجل وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وسار الذين أتوا من بعدهم على هذا النهج الى أن جاء العباسيون الى الخلافة ،وهنا " اتجه المسلمون الى مالم يتسع له زمن أسلافهم ،ولم

---

(١) د . عبد العظيم شرف الدين ،تاريخ التشريع الاسلامى ،مرجع سابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة المائدة الايه (٣٨) . (٣) خلاف، السلطات الثلاث فى الاسلام، ص ٤٠

(٤) الامام مالك بن انس الاصبحى ، الموطأ ،صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقى - داراحياء التراث العربى - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٨٩٩ .

تتهيأ لهم أسبابه فأفرغوا كثيرا من جهودهم ،فى التدوين والتصنيف وترتيب مسائل العلوم بعضها الى بعض ،وتمييز كل علم عن غيره ،ووضعوا الى جانب ذلك علوما أخرى كعلم اللغة والنحو وعلوم الحديث والعروض والأدب والتاريخ"(١)

وقد وجد القرآن الكريم عناية فائقة من قبل الفقهاء الذين كانوا يستنبطون منه الأحكام الشرعية وأنجب لنا هذا العصر العديد من المجتهدين الذين أثروا الحياة الفقهية والتشريعية بمؤلفاتهم النفيسة (٢).

كما أولى خلفاء بنى العباس كتاب الله اهتماما بالغا وشجعوا على حفظه ومدارسته فقد جاء فى كتاب الامامة والسياسة أن الخليفة هارون الرشيد - أحد خلفاء هذا العصر - كتب الى أمراء الأجناد : أما بعد .... ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ،ومقاعد الأدب فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء ،ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه فى أربعة آلاف دينار من العطاء"(٣).

وكان من نتيجة ذلك أن تسابق المسلمون فى حفظ كتاب الله ومدارسته والعناية به بصورة هائلة حتى ان ابن المبارك قال: "فما رأيت عالما ولاقارئا للقرآن ،ولاسابقا للخيرات ،ولاحافظا للحرمات بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم فى زمن الرشيد وأيامه ،لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ،ولقد كان الغلام يستبحر فى الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشر سنة" (٤).

---

(١) السايس ،مرجع سابق ،ص ٨١ .

(٢) من هؤلاء المجتهدين على سبيل المثال لا الحصر الامام مالك بن أنس بالمدينة وابو حنيفة وسفيان الثورى بالكوفه والشافعى والليث بن سعد بمصر واسحاق بن راهويه بنيسابور والامام احمد بن حنبل ببغداد.

(٣) ابن قتيبه ، الامامة والسياسة ،ج ٢،ص ١٥٧ .

(٤) نفس المصدر،ص ١٥٧ .

وفى هذا العصر دون علم التفسير مع غيره من العلوم الأخرى التى دونت ،ولاشك أن علم التفسير من أهم العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى ولذلك " آخذ العلماء يرتبون التفسير على ترتيب الآيات وقد اشتهر من التفاسير التى عرفت وقتذاك تفسير ابن جريج وتفسير السدى ومحمد بن اسحاق الا أن هذه التفاسير لم تصلنا وانما وصل الينا مضمونها فى تفسير ابن جرير الطبرى " (١).

وفى هذا العصر عرف القراء السبعة الذين اشتهروا فى الامصار الاسلامية المختلفة ،وقد اعترف لهم بالفضل فى هذا المجال كما أن هؤلاء القراء فاقوا غيرهم فى الاتقان والضبط (٢)

أما فى مجال السنة فقد بدأ تدوينها وجمعها كما نعلم فى خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه حينما كتب الى واليه على المدينة ابى بكر محمد بن عمر بن حزم " أن أنظر ماكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء " (٣).

وأقبل العلماء من ذلك الوقت على جمع السنة وتدوينها وتصنيفها.(٤)

---

(١) انظر محمد على السايس ،تاريخ الفقه الاسلامى ،مرجع سابق ،ص ٨٧ .

(٢) هؤلاء القراء هم نافع بن أبى نعيم بالمدينة وعبد الله بن كثير بمكة وأبو عمرو بن العلاء المازنى بالبصرة وعبد الله بن عامر بدمشق وأبو بكر عاصم بن أبى النجود وحمزة بن حبيب الزيات وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى بالكوفة .

(٣) انظر الحجوى الثعالبى ،مرجع سابق ،ج ١ ،ص ٥٤ .

(٤) من العلماء الذين جمعوا الحديث : ابن جريج بمكة ،ومحمد بن اسحاق ومالك بن أنس بالمدينة ،والربيع بن صبيح ،وسعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة ،وسفيان الثورى بالكوفة ،والاوزاعى بالشام ، ومعمر بن راشد باليمن ،وعبد الله بن المبارك بخراسان ،والليث ابن سعد بمصر .

وقد مر تدوين السنة بعدة مراحل ففى المرحلة الأولى :

تم جمع الأحاديث الى مثلها فى باب واحد كأحاديث الطلاق مثلا،وأول من سبق الى ذلك الشعبى [١]،وكان الحديث فى هذه الكتب ممزوجا بأقوال الصحابة والتابعين [٢].

ثم جاء فى منتهى القرن الثانى الهجرى جماعة أخرى عنيت بتأليف المسانيد [٣]،ولم يدونوا فيها الا ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم دون ماروى عن غيره [٤].

وجاءت بعد ذلك طبقة أخرى من العلماء جعلت مهمتها تمييز الصحيح من غيره " وأول مصنف فى الصحيح المجرد صحيح الامام محمد بن اسماعيل البخارى والسبب فى ذلك ماروواه عنه ابراهيم بن معقل النسفى قال : كنا عند اسحاق بن راهوية فقال لو جمعتم كتابا مختصرا بصحيح سنة النبى صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح . وقد كانت الكتب قبله ممزوجة فيها الصحيح بغيره "[٥]. ثم تلاه الأئمة أصحاب الصحاح الآخرين [٦].

---

(١) انظر الحافظ جلال الدين السيوطى ،تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ،حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف ،كلية أصول الدين – الأزهر ،ج ١ ،ص ٨٩ .

(٢) الشيخ محمد الخضرى ،تاريخ التشريع الاسلامى ،ص ١٥١ .

(٣) المسانيد جمع مسند ،والمسند هو الكتاب الحديثى الذى جمع حديث كل صحابى على حده صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا . والمسانيد كثيرة ، ذكر الكتانى فى الرسالة المستطرفة اثنين وثمانين مسندا منها ،ثم قال :" والمسانيد كثيرة سوى ماذكرناه " .
السيد محمد بن جعفر الكتانى ،الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ،ص ٤٦ ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ (دار الكتب العلمية بيرون لبنان) ومن أمثلة المسانيد مسند الامام احمد ،ومسند الحميدى ومسند أبى داود الطيالسى وهى مطبوعة متداولة .

(٤) محمد على السايس ،مرجع سابق ،ص ٩٠ .

(٥) السيوطى ،تدريب الراوى ،ص ٨٨ .

(٦) وهم : مسلم بن الحجاج النيسابورى ت ٢٦١ هـ، ابو داود بن سليمان السجستانى ت ٢٧٥هـ ، ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ت ٢٧٩هـ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ابن ماجه) ت ٢٧٣هـ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى ت ٣٠٣هـ .

ومن هنا نرى أن السنة النبوية قد حظيت باهتمام كبير من قبل هؤلاء العلماء والفقهاء ،وقاموا بجهود عظيمة فى خدمة السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وقد تطورت المصنفات المتعلقة بها تطورا ملحوظا ،فقد رأينا أنهم فى بادئ الأمر ،كانوا يدونون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلطا بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم ،الا أنهم تنبهوا الى ذلك فيما بعد حيث جاءت الطبقة التاليةللطبقة الأولى فدونوا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منفصلة عن أقوال الصحابة وذلك حتى لاتختلط هذه الأقوال بمرور الزمن مع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتى زمان لايستطيع الناس أن يفرقوا بين حديثه عليه الصلاة والسلام وقول الصحابى وكان من فضل الله أن هدى هؤلاء العلماء الى ذلك .

ثم جاءت خطوة تالية وهى خطوة متقدمة جدا بلا شك ،وذلك لمجابهة حركة الوضع والوضاعين فى الحديث فأصبحوا يدققون فى الأحاديث ولايقبلون منها الا ماكان صحيحا ووضعوا شروطا لقبول صحة الحديث .

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم تحقيقا لقوله " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (1)،وهيأ لسنة نبيه هؤلاء العلماء لمقاومة الدس .

ولقد ظل الكتاب المصدر التشريعى الأول فى هذا العصر ولم يطرأ عليه طارئ من حيث أنه حجة ملزمة وأن المسلمين متفقون على ذلك دون منازع .

كما أن السنة ظلت هى المصدر الثانى للتشريع ،وقد رأينا أنه قد جرى تدوينها وضبطها بالصورة آنفة الذكر ،وقد أدى هذا التدوين الى

---

(١) سورة الحجر ،الآية (٩).

المحافظة عليها من الضياع ومن التغيير والتبديل ،والى تسهيل الرجوع اليها باعتبارها مصدرا تشريعيا لايسوغ الرجوع الى القياس الا بعد الرجوع اليها " (١)

وفى ذلك يقول الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى : " ولاعجب اذا أن يجد الفقه فى هذه الفترة الطيبة من حياته تربة صالحة للنمو والكمال ،ويكون من ذلك نشر سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور كبار المجاميع فيها ، وكثرة ماذخرت به كتب الفقه من الأحكام والتشريعات العملية ،وتدوين ذلك كله فى مؤلفات رويت عن أئمة الفقه وكبار أصحابهم وتلاميذهم المباشرين وغير المباشرين " (٢).

لقد تكونت هذه الثروة الفقهية العظيمة التى نعيش عليها حتى اليوم فى ظلال هذا العصر حيث وجد الفقهاء والمحدثون والعلماء كل العناية من الخلفاء ،وقد مر بنا من قبل ماكتبه الرشيد لأمراء الأجناد لزيادة عطاء حفظة القرآن وطلاب العلم .

وهذا أبو جعفر المنصور يعزل واليه على المدينة جعفر بن سليمان - ابن أخيه - لانه ضرب الامام مالك بن أنس رضى الله عنه حينما بلغه أنه أفتى بعدم جواز بيعة المكره واعتذر الخليفة للامام مالك عن ذلك الاذى الذى لحقه (٣).

قال مالك : " ولما دخلت على أبى جعفر - وقد عهد الى أن آتيه بالموسم - قال لى : والله الذى لا اله الا هو ،ما أمرت بالذى كان ،ولاعلمته، انه لايزال اهل الحرمين بخير ماكنت بين أظهرهم ،وانى اخالك امانا لهم من عذاب ،ولقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة ،فانهم أسرع الناس الى الفتن ،ولقد أمرت بعدو الله ان يؤتى به على قتب ،وأمرت بضيق محبسه ، والاستبلاغ فى امتهانه ،ولابد أن أنزل به من العقوبة أضعاف مانالك منه . فقلت عافى الله أمير المؤمنين ،وأكرم مثواه ،فقد عفوت عنه لقرابته من

---

(١) عبد الوهاب خلاف ، السلطات الثلاث ،ص ١٢٥ .

(٢) المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،ص ٥٦ .

(٣) انظر ابن قتيبة ،الامام والسياسة ،مصدر سابق ،ج ٢ ،ص ١٤٨ . وانظر القاضى عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ)ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،تحقيق د. احمد بكير محمود،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م ،ح١،ص ٢١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته منك . قال : فعفا الله عنك ووصلك " (١).

ولما اجتمع الامام مالك رضي الله عنه في موسم الحج مع المنصور بمنى قال مالك رضي الله عنه يصف لقاءه بالمنصور : " .... ثم فاتحني - أي المنصور - فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس، ثم فاتحني في العلم والفقه ،فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه ، وأعرفهم بما اختلفوا فيه ،حافظا لما روى ،واعيا لما سمع ،ثم قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ،ودونه ،ودون منه كتبا ،وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس ،وشواذ ابن مسعود ،واقصد الى أواسط الأمور ،وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضي الله عنهم ،لنحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها في الأمصار ونعهد اليهم ان لايخالفوها " (٢).

الا أن الامام مالك رضي الله عنه امتنع من ذلك بحجة أن أهل العراق لايرضون بعلمه وهو لايريد أن يحمل الناس مالا يرضونه .

ونستشف من حديث الامام مالك عن المنصور ،أن أبا جعفر المنصور كان عالما فقيها وأنه كان يناظر العلماء والفقهاء وحسبنا شهادة الامام مالك له بذلك .

وجرى حوار أيضا بين المنصور وبين الأوزاعي ،قال الاوزاعي : دخلت عليه فقال لي : ما الذي أبطأك عني ؟ قلت وماتريد مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .... ثم قال له الأوزاعي : يا أمير المؤمنين انك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ،وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس في تفسير قول الله عز وجل : لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ،قال : الصغيرة التبسم والكبيرة

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ،تاريخ المذاهب الاسلامية ، الجزء الثاني في تاريخ المذاهب الفقهية ،ملتزم الطبع والنشر ،دار الفكر العربي ، ص ٢٠٦ .

(٢) ابن قتيبة ، المصدر السابق ،ص ١٥٠ .

الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟! فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة - لأمره - فقد قال صلى الله عليه وسلم : ياصفية عمة محمد ويافاطمة بنت محمد: استوهبا أنفسكما من الله ،فانى لاأغنى عنكما من الله شيئا . وكذلك جدك العباس يسأل امارة من النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال : اى عم نفس تحييها خير لك من امارة لاتحصيها . نظرا لعمه وشفقة عليه من أن يلى فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولاعنه دفعا . وقال صلى الله عليه وسلم مامن راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة [1]، وحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ،ولما استطاع من عوراتهم ساترا ،وبالحق فيهم قائما ،فلا يتخوف محسنهم رهقا ولامسيئهم عدوانا فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها فأتاه جبريل فقال : يامحمد هذه الجريدة التى معك ؟ اتركها لاتملأ قلوبهم رعبا . فما ظنك بمن سفك دماءهم وقطع استارهم ونهب أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين ،ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده . فقال جبريل يامحمد ،ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك . وأعلم يا أمير المؤمنين أن كل مافى يدك لايعدل شربة من شراب الجنة ولاثمرة من ثمارها ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لأهلك الناس رائحته فكيف بمن تقمصه ؟ ولو أن ذنوبا من صديد أهل النار صب على ماء الدنيا لأحمه ،فكيف بمن يتجرعه ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ؟." [2].

لقد تحدث الاوزاعى الى المنصور بجرأة العلماء والخليفة يستمع اليه ،ولم يرهبه لأنه خليفة المسلمين أو يصانعه ،والخليفة نفسه كان تواقا الى مثل هذا الحديث لأنه حينما دعاه قال له : أريد أن أقتبس منك .

---

(١) رواه البخارى ١٢٧/١٣،ومسلم ١٤٦٠/٥ ولم تردكلمة رائحةفى روايتهما.
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،ج ٣ ،ص ١٦٢ - ١٦٣ .

وهاهو هارون الرشيد يطلب من قاضيه أبى يوسف أن يضع له كتابا جامعا فى المسائل المالية وبعض المسائل الفقهية الأخرى فيستجيب أبو يوسف لذلك ويضع كتاب الخراج الذى يعتبر من أهم المصادر التى بحثت فى مسائل الخراج وقد تعرضنا له عند حديثنا عن الخراج والنظم المالية وقد اشتمل الكتاب أيضا على بعض المسائل التشريعية الأخرى كحد السرقة والزنا والعلاقات الدولية وغير ذلك .

وقد طلب الرشيد أيضا من الامام مالك أن يأتيه ليسمع منه ابناه الأمين والمأمون كتاب الموطأ فقال لمالك رضى الله عنه :"يا اباعبدالله ينبغى أن تختلف الينا ،حتى يسمع صبياننا منك الموطأ ،فقال له مالك : أعز الله أمير المؤمنين : ان هذا العلم منكم خرج ،فان أنتم أعززتموه عز ،وان ذللتموه ذل ،والعلم يؤتى ولايأتى ،فقال هارون الرشيد : صدقت ،وقال لابنيه اخرجا الى المسجد حتى تسمعا مع الناس ،فقال مالك بشريطة أن لايتخطيا رقاب الناس ،ويجلسا حيث ينتهى بهما المجلس " (١).

" ولما كتب محمد بن الحسن الشيبانى كتابه (السير الكبير) ووصل ذلك الى علم الرشيد ،سر كثيرا من هذا العمل وازداد اعجابا به لما نظر فيه ،وكان أن بعث أولاده الى مجلس ابن الحسن يسمعون منه هذا الكتاب "(٢).

وكان من الطبيعى ،والدولة العباسية تنظر هذه النظرة للفقه والفقهاء أن يظهر الاهتمام الشديد بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارها المصدر الثانى للفقه والتشريع بعد كتاب الله عز وجل (٣) ، اذ تتجلى لنا من الأمثلة السابقة اهتمام الخلفاء العباسيين برجال الفقه والحديث .

---

(١) احمدبن مصطفى الشهيربطاش كبرى زاده ،مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،ج٢،ص٨٦ .

(٢) د . محمد يوسف موسى ،محاضرات فى تاريخ الفقه الاسلامى ،جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العربية ٣ أجزاء ١٩٥٤م ،ج ٢ ،ص ٤٣ .

(٣) المرجع نفسه ،ص ٤٢ .

ولم يكن الأمر فقط أمر اهتمام بسنة الرسول وأحاديثه ، يعنى بها العلماء وأهل الحديث جمعا وتصنيفا ،بل نشط الجميع فى ظل هذه الدولة الى جعل الحياة العملية متمشية مع المأثور والمعروف من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم (١).

وقد سئل الخليفة المنصور ـ بعدما وصل اليه من العز والجاه والسلطان ـ هل بقى من لذات الدنيا شئ لم تنله ؟ فيقول بقيت خصلة ، ان أقعد فى مصطبة وحولى أصحاب الحديث يقول المستملى من ذكرت ؟ رحمك الله! فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر يريدون أن يهيئوا له هذه الخصلة ،ولكنه يقول لهم : لستم بهم انما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ،الطويلة شعورهم برد الآفاق ونقلة الحديث " (٢).

ان حديث المنصور هذا يشير الى المكانة السامية التى بلغها الفقهاء والمحدثون فى ظلال هذا العصر حتى أن املاء الحديث أصبح أمنية من أمانى الخليفة على الرغم من انشغاله بتصريف مهام الدولة .

وعلى الجملة فان العباسيين أظهروا اهتماما كبيرا بالفقه والفقهاء والعلم والعلماء وأعطوا حرية كبيرة للعلماء فى اظهار آرائهم ،ولكن يؤخذ على الخليفة المأمون قوله بمسألة خلق القرآن وامتحان الامام أحمد ابن حنبل بذلك وكذلك الخليفة المعتصم من بعده ولكن بطانتهما السيئة هى التى أوحت لهما بذلك مثل أحمد بن أبى دؤاد الذى أراد للدولة أن تسير بمذهب الاعتزال (٣).

---

(١) د. محمد يوسف موسى ،محاضرات فى تاريخ الفقه الاسلامى ،مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٢) السيوطى ،تاريخ الخلفاء ،ص ١٧٧ .

(٣) الاعتزال او المعتزلة هم أصحاب العدل والتوحيد كما يسمون ويلقبون بالقدرية ،والعدلية . وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ،وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، احترازا من وصمة اللقب ،اذ كان الذم متفقا عليه لقول النبى عليه الصلاة والسلام " القدرية مجوس هذه الأمة" وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق ،.... والذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد ==

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الحركة العلمية قوية نشطة ولم تتوقف جهود الفقهاء واسهاماتهم الفكرية فى شتى نواحى الحياة .

== القول بأن الله تعالى قديم ،والقدم أخص وصف ذاته . ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا : هو عالم بذاته ،قادر بذاته ،حى بذاته ،لابعلم وقدرة وحياة . هى صفات قديمة ،ومعان قائمة به ، لانه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الالهية . واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق فى محل . وهو حرف وصوت كتب أمثاله فى المصاحف حكايات عنه ....

الشهرستانى ، الملل والنحل ،ج ١ ،ص ٤٣ - ٤٥ .

وكان احمد بن أبى دؤاده ،ممن نشأ فى العلم وتضلع بعلم الكلام ، وكان معظما عند أمير المؤمنين المامون يقبل شفاعاته ويصغى الى أخباره وكلامه ،فدس ابن أبى دؤاده للمامون القول بخلق القرآن ، وحسنه عنده ،وصيره يعتقده حقا مبينا ، الى أن أجمع رأيه فى سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء اليه ،وقد كان ابتداء الكلام فيه فى سنة ٢١٢هـ الا أنه لم يصمم على ذلك . ثم كتب الى نائبه على بغداد اسحاق بن ابراهيم الخزاعى ابن عم طاهر بن الحسن فى امتحان العلماء .

أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ،مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،(دار الكتب العلمية بيروت - لبنان) ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ،ج ٢ ،ص ١٥ .

الفصل الثاني

الاجماع والقياس

الفصـــل الثانـــى

الاجمـــــاع والقيـــــاس

الاجماع فى اللغة يطلق على معنيين :

أحدهما "العزم على الشئ والتصميم عليه" ومنه قوله تعالى" فأجمعـوا أمركم " (١) أى أعزموا .
والثانى" الاتفاق". (٢)

وفى الاصطـلاح : ـ

" هو اتفاق جميع المجتهدين فى عصر من العصور بعد وفاة الرسـول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعى فى واقعة من الوقائع " (٣).

وحجية الاجماع مبنية على أصل وهو عصمة الأمة الاسلامية من اجتماعها على ضلالة فى أمر دينها (٤). قال تعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعـد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم" (٥).

وقال صلى الله عليه وسلم :" لاتجتمع أمتى على ضلالة ويد الله مـع الجماعة ومن شذ شذ فى النار" (٦).

ولم يكن الاجماع من المصادر التشريعية فى عصر الرسول صلى اللـه عليه وسلم اذ أنه لم تستدع حاجة اليه لأن الرسول صلى الله عليه وسـلم كان هو المشرع لأصحابه ويغنيهم عن الحاجة الى ذلك .

(١) سورة يونس ، الآية (٧١).
(٢) ابن منظور ،لسان العرب ،ج ٨ ،ص ٥٧ .
(٣) أنظر الآمدى ، الأحكام فى أصول الأحكام ،ج ١ ،ص ١٩٥، الثعالبى ، الفكـر السامى ،ج ١ ،ص ٦٣، البرديسى ،أصول الفقه ،ص ٢١٦،د. حسين حامـد حسان ، المدخل لدراسة الفقه ،ص ١٦٠،د. زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة، ص ١٩٦ .
(٤) الثعالبى ، الفكر السامى ،ج ١ ،ص ٦٣ .
(٥) النساء ، الآيه (١١٥).
(٦) رواه الترمذى .

فلما انتقل الى الرفيق الأعلى ظهرت الحاجة اليه فأصبح مصدرا تشريعيا ثالثا بعد السنة .

والاجماع نوعان :

اجمال قولى واجماع سكوتى .

" فالاجماع القولى ، أو الصريح ، هو اتفاق جميع المجتهدين قولا ، وهذا قد يكون باجتماعهم فى مكان واحد ، ثم بحثهم للواقعة أو النازلة المعروضة وتصريح كل مجتهد برأيه فيها ، ولكن الغالب أن تقع النازلة فيفتى فيها كل مجتهد بنفس الفتوى والحكم فيحصل الاتفاق قولا " (١).

" وأما الاجماع السكوتى فهو قول من بعض مجتهدى العصر وسكوت من الباقين ، بعد علمهم بهذا القول ، من غير انكار ولامخالفة ، وذلك يتحقق اذا أفتى أحد المجتهدين أو جمع منهم بحكم معين فى واقعة أو نازلة خاصة ، ثم يبلغ هذا الحكم بقية المجتهدين فيسكتون ولايعترضون على هذه الفتوى بعد البحث والدراسة والتأمل " (٢).

وله أربعة أركان وهى :(٣)

(١) أن يوجد فى عصر وقوع الحادثة عدد من المجتهدين لأن الاتفاق لايتصور الا فى عدة آراء يوافق كل رأى منها سائرها . اما اذا لم يوجد مجتهد أصلا فى عصر وقوع الحادثة أو وجد مجتهد واحد مثلا فلا يقع الاجماع .

(٢) أن يتفق على الحكم الشرعى فى الواقعة ، جميع المجتهدين من المسلمين فى وقت وقوعها بصرف النظر عن بلدهم أو جنسهم أو طائفتهم.

(٣) أن يكون اتفاقهم بابداء كل واحد منهم رأيه صريحا فى الواقعة .

---

(١) د . حسين حامد حسان ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ، ص ١٦١ .
د . عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة ، ص ١٩٧ .

(٢) د . حسين حامد حسان ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ، ص ١٦١ .

(٣) عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .

(٤) أن يتحقق الاتفاق من جميع المجتهدين فى الحكم ،فلو اتفق أكثرهم لاينعقد باتفاق الأكثر اجماعا مهما قل عدد المخالفين .

أما القياس فهو المصدر التشريعى الرابع ويقع فى المرتبة بعد الاجماع.

والقياس لغة معناه : التقدير والمساواة [(١)].

أما فى الاصطلاح فهو "الحاق فرع بأصل لمساواته له فى علة الحكم ، كالحاق الخمر بالنبيذ فى الحرمة ووجوب حد شاربه لمساواته له فى الاسكار" [(٢)].

حجية القياس :

اتفق الاصوليون والفقهاء على أن القياس حجة شرعية ومصدرا من مصادر التشريع الاسلامى وخالفهم فى ذلك الامامية [(٣)] والظاهرية [(٤)].

هذان المصدران " الاجماع والقياس " من المصادر اللاحقة التى أضيفت الى المصادر الأساسية للتشريع الاسلامى - الكتاب والسنة - ولكن اضافتها الى المصادر التشريعية كان بسند من الكتاب أو السنة .

وهنا تتضح لنا مرونة التشريع الاسلامى ،وملاءمته لكل عصر من العصور. فقد اتسعت الدولة الاسلامية فى العصور التالية لعصر الرسالة ،وتوسعت بدرجة كبيرة فى عصر العباسيين ودخلت شعوب عديدة فى الاسلام واختلط المسلمون بهذه الشعوب ،وكان لكل أمة عاداتها وتقاليدها المختلفة ،

---

(١) ابن منظور،لسان العرب ،جـ ٦ ،ص ١٨٩.

(٢) الثعالبى ، الفكر السامى ،جـ ١ ،ص ٦٧،مرجع سابق ،ص ١٩٨،د . حسين حامد حسان ،مرجع سابق ،ص ١٦٦ ،د . محمد يوسف موسى ،مرجع سابق ، ص ١٩٣ ،خلاف ،علم أصول الفقه ،ص ٥٢ .

(٣) الشيعة يرون أنهم ليسوا فى حاجة له مادام أئمتهم المعصومين عندهم أحكام الله التى انتقلت اليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) أنظر ابن حزم ، الاحكام فى أصول الأحكام ،جـ ٧ ، الباب الثامن والثلاثون فى ابطال القياس فى أحكام الدين .

وامتزجت ثقافات هذه الشعوب بالثقافة الاسلامية واستجدت مشكلات لم تكن موجودة فى العصور الأولى ،وجرت وقائع وأحداث كثيرة نتيجة هذا التمازج ولم يجد الفقهاء نصوصا من الكتاب أو السنة لمواجهة هذه المستجدات فكان لابد من اعمال الاجماع او القياس فى مثل هذه الحالات ،لذا فقد توسعوا فى استخدامهما .

ولعله من المناسب أن نستعرض بايجاز المذاهب الفقهية السنية الأربعة التى نشأت فى هذا العصر حتى تكتمل فى أذهاننا الصورة التشريعية فى هذا العصر ومدى استخدام كل منها لهذه المصادر .

(١) المذهب الحنفى :

صاحب هذا المذهب هو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفى ،ولد رضى الله عنه سنة ثمانين من الهجرة بمدينة الكوفة فى عهد صغار الصحابة وهو فارس الأصل ،عربى المولد والنشأة ، وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ فى السنة التى ولد فيها الشافعى رضى الله عنه.(١)

وهو من التابعين أدرك أربعة من الصحابة ،أنس بن مالك بالبصرة ، وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة ،وسهل بن سعد الساعدى بالمدينة ،وأبو الطفيل عامر بن واثله بمكة .(٢)

وقد أخذ علمه فى الفقه والحديث عن كثيرين من كبار العلماء والفقهاء الا أنه تفقه بصفة خاصة على يد حماد بن أبى سليمان الذى أخذ الفقه عن ابراهيم النخعى .(٣)

---

(١) أنظر الذهبى ،سير أعلام النبلاء ،ج ٦ ،ص ٣٩٠ ، ابن خلكان،وفيات الأعيان ،ج ٥ ،ص ٤٠٥ ، الحجوى الثعالبى ،ج ١ ،ص ٣٤٠ ،عبد الله مصطفى المراغى ،الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ،ج ١ ،ص ١٠١ .

(٢) المراغى ، المرجع السابق ،ج ١ ،ص ١٠١- ١٠٢ ، السايس ،مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٣) أنظر الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١ ،ص ١٦٨ ، الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١٣ ،ص ٣٢٣ .

روى عن الشافعى أنه قال : " الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة " (١).

وسئل الامام مالك رضى الله عنه هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته "(٢).

وكان ورعا عابدا زاهدا فى المناصب . روى ابن خلكان أن المنصور نقله من الكوفه الى بغداد ليوليه القضاء ،فأبى فحلف عليه ليفعلن،فحلف أبو حنيفة أن لايفعل بحجة أنه لايصلح للقضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى وامتنع عن ذلك فحبسه المنصور " (٣).

أصـــول مذهبـــه :

بنى أبو حنيفة مذهبه على الكتاب والسنة والاجماع والقياس .
روى عنه أنه قال : " آخذ بكتاب الله تعالى فان لم أجد فى كتاب الله فبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم أجد أخذت بقول من شئت من أصحابه ،وأدع ماشئت ،ولاأخرج عن قولهم الى قول غيرهم . فاذا انتهى الأمر الى الشعبى وابن سيرين وابن المسيب ونحوهم فأجتهد كما اجتهدوا" (٤).

وقد وصف أبو حنيفة بأنه امام القياس (٥) لأنه توسع كثيرا فى استخدامه . يروى أن أبا جعفر المنصور كتب اليه يقول : بلغنى أنك تقدم القياس على الحديث ،فرد عليه قائلا : ليس الأمر كما بلغك يا أمير المؤمنين

---

(١) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١٣،ص ٣٤٦ ،طاش كبرى زادة ،مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،ج ٢ ،ص ١٨١، ابن خلكان ،وفيات الأعيان ، ج ٥ ،ص ٤٠٩ ، الذهبى ،سير أعلام النبلاء ،ج ٦ ،ص ٤٠٣ .
(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٥ ،ص ٤٠٩ .
(٣) نفس المصدر ،ص ٤٠٧ .
(٤) محمد مصطفى المراغى ، الفتح المبين فى طبقات الأصوليين ،ج ١ ،ص ١٠٣، الحجوى الثعالبى ، الفكر السامى ،ج ١ ،ص ٣٥٤ .
(٥) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٥ ،ص ٤٠٩ .

وانما أعمل أولا بكتاب الله ،ثم بسنة رسول الله ،ثم بأقضية الخلفاء الأربعة ،ثم بأقضية الصحابة ،ثم أقيس بعد ذلك اذا اختلفوا [١].

ومن أشهر تلاميذه الذين نقلوا عنه :

(١) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي صاحب أبي حنيفة : " القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبته الانصاري — وسعد بن حبته أحد الصحابة رضي الله عنهم ،وهو مشهور في الأنصار بأمه ،وهي حبته بنت مالك من بني عمرو بن عوف — ."[٢].

وروى الخطيب أن أبا يوسف قال : " كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ،فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه . فقال : يابني لاتمدن رجلك مع أبي حنيفة ،فان أبا حنيفة خبزه مشوى ،وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب ،وآثرت طاعة أبي ،فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني ،فجعلت أتعاهد مجلسه ،فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه . قال لي : ماشغلك عنا ؟ قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي ، فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة ،وقال استمتع بهذه ،فنظرت فاذا فيها مائة درهم . فقال لي الزم الحلقة واذا نفذت هذه فأعلمني ،فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ،ثم كان يتعاهدني وما أعلمته نحلة قط ولا أخبرته بنفاد شئ ،وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت " [٣].

وهكذا اتصل أبو يوسف بالامام أبي حنيفة حتى أصبح اسمه مقرونا باسمه وصار من أشهر أصحابه الذين نشروا علمه ،قال الخطيب : لولا أبو يوسف ماذكر أبو حنيفة ولا ابن ابي ليلى ،ولكنه هو نشر قولهما وبث علمهما " .[٤]

---

(١) د . محمد فاروق النبهان ،المدخل للتشريع الاسلامي ،ص ٢٣٦ .
(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٦ ،ص ٣٧٨ .
(٣) الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد ،ج ١٤ ،ص ٢٤٤ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٤٥ .

وحكى الخطيب أيضا قال : " سمعت محمد بن عمارة يقول : رأيت أبا يوسف وزفر يوما افتتحا مسألة عند أبى حنيفة من حين طلعت الشمس الى أن نودى بالظهر ،فاذا قضى لأحدهما على الآخر قال له الآخر أخطأت ما حجتك؟ فيخبره حتى كان آخر ذلك أن قضى لأبى يوسف على زفر حين نودى بالظهر. فقام أبو يوسف ،قال : فضرب أبو حنيفة على فخذ زفر وقال : لا تطمعن فى الرياسة بأرض يكون هذا بها " (١).

(٢) محمد بن الحسن الشيبانى :

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى بالولاء ، الفقيه الحنفى ، أصله من قرية على باب دمشق فى وسط الغوطة اسمها حرستا ، وقدم أبوه من الشام الى العراق ،وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور، ونشأ بالكوفة ،وطلب الحديث ،ولقى جماعة من أعلام الأئمة ،وحضر مجلس أبى حنيفة سنتين ،ثم تفقه على أبى يوسف صاحب أبى حنيفة (٢). وقد نبغ نبوغا عظيما فى الفقه ،وكان مرجع أهل الرأى فى الفقه (٣)،وصنف كتبا كثيرة منها " الجامع الكبير " و" الجامع الصغير" ،وحين دخل الشافعى رضى الله عنه بغداد جرى بينه وبين الشيبانى مناظرات بحضرة هارون الرشيد . وقال الشافعى مارأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة فى وجهه ،الا محمد بن الحسن (٤).

(٣) زفر بن الهذيل بن قيس الكوفى :

هو زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس - وينتهى الى الياس بن النضر بن نذار بن معد بن عدنان . ويكنى بابى الهذيل . ولد رحمه الله سنة ١١٠هـ . وكان أبوه (الهذيل) واليا على أصبهان . فنشأ تنشئة دينية حسنة . فحفظ القرآن ،وتلقى علوم الفقه والحديث على أئمتها ،وصحب

---

(١) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١٤ ،ص ٢٤٧ .
(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٨٤ .
(٣) المراغى ، الفتح المبين ،ج ١ ،ص ١١٠ .
(٤) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٨٤ .

أبا حنيفة ،وأخذ عنه الفقه ،ثم غلب عليه الرأى، فصار من أئمة الحنفية المجتهدين [١].

هؤلاء الثلاثة هم الذين تلقوا العلم مباشرة عن ابى حنيفة وصحب كل منهم أبا حنيفة مدة من الزمن حيث قاموا بنشر علمه حتى وصل الينا بالكيفية التى عليها ،وهناك تلاميذ آخرون قام كل منهم بدور فى نشر مذهبه .

(٢) المذهب المالكى :

صاحب هذا المذهب هو " أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى المدنى امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ،ولد رضى الله عنه بالمدينة سنة ٩٣هـ ،ولما شب حفظ القرآن ومالت نفسه الى طلب العلم . أخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم وسمع الزهرى ونافعا مولى ابن عمر رضى الله عنهما ،وروى عنه الأوزاعى ويحى بن سعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأى " [٢].

وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة [٣].

قال عنه الشافعى :" اذا ذكر العلماء فمالك النجم ،وما أحد أمن على من مالك "[٤].

وكان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث فسئل عن ذلك ؟ فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا متمكنا على طهارة ....وكان لايركب فى المدينة مع كبر سنه ويقول لا أركب فى مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة "[٥].

(١) المراغى ، الفتح المبين ،ج ١ ،ص ١٠٦ .
(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٣٥،المراغى ، الفتح المبين ، ج ١ ،ص ١١٢ .
(٣) ابن خلكان ، المصدر السابق ،ص ١٣٧ .
(٤) طاش كبرى زاده ،مفتاح السعادة ،ج ٢ ،ص ٨٦ .
(٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ،ج ٤ ،ص ١٣٥ — ١٣٦ .

وقد تبحر رضى الله عنه فى علوم شتى وخاصة الحديث والفقه وقد روى عنه أنه قال :"كتبت بيدى مائة ألف حديث " (١).

قال الشيخ أبو زهرة : " كان مالك محدثا وفقيها وكان فى حديثه ينتقى الرواه الذين ينقل عنهم ،ولعله بذلك أول ضابط لفن الرواية ،وقد جاء من بعد ذلك تلميذه الشافعى فأوفى على الغاية فى ضبط الرواية وان روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم تعد السلسلة الذهبية وأوثق الروايات " . (٢)

أصول مذهبه :

يستند الامام مالك رضى الله عنه فى مذهبه على الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس فى حالة عدم وجود نص من الكتاب والسنة ويعطى عمل أهل المدينة أهمية كبرى ولاسيما أئمتهم وفى مقدمتهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما (٣).

قال ابن فرحون فى الديباج المذهب كان مالك يرى أنه يجب أولا " تقديم كتاب الله عز وجل ٠٠٠٠٠ ثم السنة ٠٠٠٠ ثم الاجماع عند عدم الكتاب وتواتر السنة ،وعند عدم هذه الأصول كلها القياس عليها والاستنباط منها ٠٠٠٠٠" (٤).

---

(١) المراغى ، الفتح المبين ،ج ١ ،ص ١١٣ ٠

(٢) ابو زهرة ،مرجع سابق ،ص ٢١٣ ٠

(٣) انظر الحجوى الثعالبى ،ج ١ ،ص ٣٨٥ ،د ٠ محمد يوسف موسى ، المدخل لدراسة الفقه ،ص ١٥٩ ، المراغى ، الفتح المبين ،ج ١ ،ص ١١٧ ٠

(٤) ابن فرحون ، ابواسحاق ابراهيم بن على المالكى ،(ت ٧٩٩هـ) ، الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب ،دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة ،حـ ١،ص ٧٩ — ٨٠ ٠

ومن أشهر تلاميذ الامام مالك :

(١) أبو عبيد الله عبد الرحمن القاسم بن خالد بن جناده العتقى بالولاء فقيه مالكى ،جمع بين الزهد والعلم وتفقه على يد الامام رضى الله عنه وصحبه عشرين سنة ،وانتفع به أصحاب مالك بعد موته وهو صاحب المدونة فى المذهب المالكى ،وهى من أجل كتبهم وكانت ولادته فى سنة ١٣٢هـ وقيل ١٣٣هـ وتوفى سنة ١٩١هـ بمصر (١).

(٢) أبو محمد عبد الله بن وهب :

الامام الحافظ أبو محمد الفهرى المصرى الفقيه أحد أعلام الأئمة ،ولد سنة ١٢٥هـ ،وطلب العلم وله سبع عشرة سنة جمع بين الحديث والفقه والعبادة، وكان ثقه حجة حافظا مجتهدا حدث بمائة ألف حديث • قال الحافظ الذهبى قرئ على ابن وهب كتابه فى أهوال القيامة فخر مغشيا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام ،وكان مالك يكتب اليه الى عبد الله مفتى أهل مصر • كانت وفاته فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائة (٢).

(٣) أشهب بن عبد العزيز القيسى :

" أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسى ثم الجعدى الفقيه المالكى المصرى ،تفقه على الامام مالك رضى الله عنه ،ثم على المدنيين والمصريين •

قال الامام الشافعى ،رضى الله عنه : مارأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه ،وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم (عبد الرحمن بن القاسم) وانتهت اليه الرياسة بمصر بعد ابن القاسم • وكانت ولادته بمصر سنة خمسين ومائة ،••• وتوفى سنة أربع ومائتين " (٣).

---

(١) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ ٣ ،ص ١٢٩ •
(٢) الامام ابو عبد الله شمس الدين الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،دار احياء التراث العربى ،جـ ١ ،ص ٣٠٤ – ٣٠٦ •
(٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ ١ ،ص ٢٤٨ •

(٤) عبد الله بن عبد الحكم :

" أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع ، الفقيه المالكى المصرى ،كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله ،وأفضت اليه رياسة المالكية بعد أشهب ،وروى عن مالك الموطأ سماعا ،وكان من ذوى الأموال والرباع ،له جاه عظيم وقدر كبير ... كانت ولادته فى سنة خمسين ومائة . وتوفى فى شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين بمصر " (١).

ويعتبر هؤلاء التلاميذ من ناشرى مذهب الامام مالك بمصر مع غيرهم من التلاميذ الآخرين ووجد تلاميذ آخرون نشروا مذهبه فى بلاد افريقية الشمالية والأندلس وصقلية (٢).

---

(١) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ، ٣٤/٣ .

(٢) من هؤلاء : أبو الحسن على بن زياد التونسى ت ١٨٣هـ أخذ عن مالك والليث بن سعد وأضرابهما ، أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبى ،ت ١٩٣هـ ويلقب بشبطون ، أخذ الموطأ عن مالك سماعا ،وهو أول من أدخله الأندلس ،عيسى بن دينار القرطبى الأندلسى المتوفى ٢١٢هـ ،وكان لايتقدم عليه أحد فى قرطبة العاصمة حتى كان يعتبر فقيه الأندلس ، أسد بن الفرات من أهل تونس ،وان كان أصله من نيسابور ، ت ٢١٣هـ شهيدا بسرقوسه ، اذ كان أمير الجيش الذى ذهب لغزو صقلية وقد سمع من مالك الموطأ ،ثم سار الى العراق حيث لقى أصحاب أبى حنيفة فأخذ عنهم كما أخذ عنه ابو يوسف موطأ مالك ،يحى بن يحى ابن كثير الليثى المتوفى عام ٢٣٤هـ وهو أندلسى قرطبى ،وأحد الذين انتهت اليهم الرياسة فى العلم بالأندلس ،وبسببه انتشر المذهب المالكى بها ،سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخى المتوفى عام ٢٤٠هـ . وقد تفقه أولا بالقيروان من أعمال تونس ،ثم كانت له رحلات الى مصر والمدينة لقى فيها علماء القطرين وأخذ عنهم ،وكان حافظا للعلم حتى كأن فى صدره سوره من القرآن ،وغيرهم .
د . محمد يوسف موسى ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،ص ١٦٤ .

(٢) المذهب الشافعى :

صاحب هذا المذهب هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن زيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، القرشى المطلبى الشافعى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ،كان مولده سنة خمسين ومائة ووفاته سنة أربع ومائتين بمصر (١).

نشأ رحمه الله بمكة وحفظ القرآن وهو لم يجاوز السابعة أو التاسعة من عمره ،ثم أقبل على اللغة والشعر ومعرفة أيام العرب ،والفقه والحديث فنبغ فى ذلك ويقال أنه حفظ موطأ مالك وهو ابن عشر وعرضه عليه (٢).

وفى ذلك يقول : " قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت "الموطأ" فقال لى أحضر من يقرأ لك ،فقلت : أنا قارىء ،فقرأت عليه الموطأ حفظا ،فقال ان يك أحد يفلح فهذا الغلام "(٣).

فهو اذن تلميذ الامام مالك رضى الله عنه . قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل : قلت لأبى أى رجل كان الشافعى ؟ فانى سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض "(٤).

والشافعى هو أول من تكلم فى أصول الفقه ودونه فى كتابه الرسالة.(٥)

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج ١٠ ،ص ٢٥١ ، ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٦٣ ومابعدها ، المراغى ، الفتح المبين ،ص ١٢٧ .
(٢) د . محمد يوسف موسى ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،ص ١٤٩-- ١٥٠ .
(٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٦٤ .
(٤) نفس المصدر ،ص ١٦٤ .
(٥) الحجوى الثعالبى ،ج ١ ،ص ٤٠٣ ، المراغى ، المرجع السابق ،ص ١٢٣ .

أصـــول مذهبـــــه :

بنى الشافعي ـ رحمه الله ـ أصول مذهبه على الكتاب والسنة والاجماع والقياس ،فهو يرجع أولا الى كتاب الله تعالى ثم الى سنة الرسول صـــلى الله عليه وسلم ،وبعد هذين الأصلين يرجع الى الاجماع ان لم يعلم لـــه مخالف ،ثم الى القياس بشرط أن يكون له أصل من الكتاب والسنة .

وعنده القياس والاجتهاد اسمان لمعنى واحد ،ويقول فى ذلك :" كـــل مانزل بمسلم ففيه حكم لازم ،أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ،وعليـــه اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ،واذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة عـــلى سبيل الحق فيه بالاجتهاد ،والاجتهاد القياس "[١].

ويرى أن القياس من وجهين :

(أ) أحدهما أن يكون الشىء فى معنى الأصل فلا يختلف القياس فيه .

(ب) أن يكون الشىء له فى الأصول أشباه فذلك يلحق بأولاها به وأكثرهـــا شبها منه [٢].

أشهـــر تلاميـــذه وأصحابه :

(١) يوسف بن يحى البويطى :

هو " أبو يعقوب يوسف بن يحى البويطى ،صاحب الشافعى رضى الله عنه ، كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة ،أختص به فى حياته ،وقام مقامه فـى الدرس والفتوى بعد وفاته ،سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهـــب الفقيه المالكى ،ومن الامام الشافعى .... وكان قد حمل فى أيام الواثـــق بالله من مصر الى بغداد فى مدة المحنة وأريد على القول بخلق القـــرآن الكريم فامتنع من الاجابة الى ذلك ،فحبس ببغداد ،ولم يزل فى السجن والقيد حتى مات ،توفى فى سنة احدى وثلاثين ومائتين "[٣].

---

(١) الامام الشافعى المطلبى ، الرسالة : تحقيق وشرح أحمد محمد شاكــــر ، ص ٤٧٧ .

(٢) نفس المصدر ،ص ٤٧٩ .

(٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٧ ،ص ٦٥،٦١ .

(٢) المزنـــى :

هو " اسماعيل بن يحى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق المزنى ،وكنيته أبو ابراهيم ،والمزنى نسبة الى مزينة ـ قبيلة أصلها باليمن ـ ولد بمصر عام ١٧٥هـ . ولما شب وترعرع طلب العلم وروى الحديث ،حتى قدم الشافعـــى مصر فتتلمذ له ،ولازمه حتى كان أخص تلاميذه . وقد تكلم يوما فى عـــلم الكلام بحضرة الشافعى فنصح له الشافعى بتعلم الفقه . وترك علم الكـــلام وقال له : يابنى ،هذا علم ان أصبت فيه لم تؤجر ،وان أخطأت فيه كفـــرت ، فهل لك فى علم ان أصبت فيه أجرت ،وان أخطأت فيه لم تأثم ؟ قلت ،وماهـو؟ قال الفقه ،فلزمته وتعلمت الفقه . ودرست عليه "(١).

(٣) الربيع بن سليمان المرادى

هو " أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المـــرادى بالولاء المؤذن المصرى ،صاحب الامام الشافعى ،وهو الذى روى أكثر كتبــه ، وقال الشافعى فى حقه : الربيع راويتى ،وقال : ماخدمنى أحد ماخدمنـــى الربيع ،وكان يقال له ياربيع ،لو أمكننى أن أطعمك العلم لأطعمتك ...توفى سنة ٢٧٠ هـ " (٢).

(٤) المذهب الحنبـــلى :

صاحبه هو الامام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف ،ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ بعـــد ان انتقلت به أمه من مرو وهو جنين فى بطنها ،وكانت وفاته ببغداد سنــــة ٢٤١هـ (٣).

وكان امام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالـــم يتفق لغيره ،وقيل : انه كان يحفظ ألف ألف حديث ،وكان من أصحاب الامـــام

(١) المراغى ، الفتح المبين ،جـ ١ ،ص ١٥٦ .
(٢) ابن خلكان ، المصدر السابق ،٢٩١/٢ ـ ٢٩٢ .
(٣) ابن الجوزى ،الحافظ ابى الفرج ابن عبدالرحمن ،مناقب الامام احمدبـن حنبل ،حققه وقدم له وعلق عليه د. عبدالله بن عبدالمحسن التركـــى ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ،مكتبة الخانجى بمصر،ص ٣٥،٣٤ .

الشافعي رضى الله تعالى عنهما ، وخواصه ولم يزل يصاحبه الى أن ارتحل الشافعي الى مصر ،وقال فى حقه خرجت من بغداد وماخلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل "(١).

ولما وقعت الفتنة فى عهد المأمون سنة ٢١٨هـ فى القول بخلق القرآن وأصدر المأمون أمرا بامتحان العلماء كان الامام أحمد من الذين تصدوا لهذا الزعم ولما سئل هل القرآن مخلوق أم لا ؟ أجاب بأن القرآن كلام الله ولا أزيد على هذا فكان أن سجن وعذب نتيجة موقفه هذا (٢).

وفى ذلك قال ابن المدينى : " ان الله أعز الاسلام برجلين ،أبى بكر يوم الردة وابن حنبل يوم المحنة "(٣).

أصول مذهبه :

ذكر ابن القيم (٤) أصول مذهب الامام أحمد بن حنبل فقال : وكان فتاوية مبنية على خمسة أصول :

أحدها : النصوص ـ من الكتاب أو السنة ـ فاذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت الى غيره .

ثانيها : فتاوى الصحابة فاذا وجد لبعضهم فتوى لايعرف له مخالف منهم لم يتعداها لغيرها ولم يقل أن ذلك اجماع .

ثالثا : اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ماكان أقربها الى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم ،فان لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول .

الأصل الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه ،وهو الذى رجحه على القياس ،وليس المراد بالضعيف عنده الباطل

---

(١) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ١ ،ص ٦٤ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج ١٠ ،ص ٢٧٢ ومابعدها .
(٣) الحجوى الثعالبى ، الفكر السامى ،ج ٢ ،ص ١٩ .
(٤) اعلام الموقعين ،ج ١ ،ص ٢٩ ومابعدها .

ولا المنكر ولا ما في روايته منهم بحيث لايسوغ الذهاب اليه ،فالعمل به ،بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ٠

الأصل الخامس : القياس ويرجع الى هذا الأصل عند الضرورة ٠

أشهر تلاميذه :

(١) ابراهيم بن اسحاق الحربي :

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ،وكان اماما في جميع العلوم متقنا ومصنفا ،محسنا وعابدا زاهدا ،ونقل عن الامام أحمد مسائل حسانا ٠ قيل وكان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه ٠

وروى أن الامام أحمد كان يقول لابنه عبد الله امض الى ابراهيم الحربي حتى يلقى عليك الفرائض ٠ توفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي [1].

(٢) عبد الله بن أحمد بن حنبل :

كان يكنى أبا عبد الرحمن ،وكان أروى الناس عن أبيه وسمع معظم تصانيفه وحديثه ،وكان له حظ وافر من الحفظ ،وكان الامام أحمد يقول : ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث أو من حفظ الحديث ٠
كانت وفاته يوم الأحد لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومائتين [2].

(٣) أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المرذي :

كان ورعا صالحا خصيصا بخدمة أحمد ،كان يبعثه في حوائجه ويقول : كل ما قلت فهو على لساني وأنا قلته ٠ وكان الامام أحمد يقدمه ويأكل من

(١) ابن الجوزي ، الحافظ أبي الفرج بن عبد الرحمن ،مناقب الامام أحمد ابن حنبل ، ص ٦١٢،٦١٣،٦١٤ ٠
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٨٣ ٠

تحت يده وهو الذى تولى اغماض الامام أحمد لما مات وغسله ،وروى عنه أحاديث ومسائل كثيرة .

توفى فى جمادى الآخرة فى سنة ٢٧٥هـ (١).

(٤) أحمد بن محمد بن هانى الأشرم :

ويكنى أبا بكر وكان من حفاظ الحديث وتشاغل بمسائل الامام أحمد وصنفها ،وتوفى وله من الكتب : كتاب السنن فى الفقه على مذهب أحمد وشواهده من الحديث ،كتاب التاريخ ،كتاب العلل ،كتاب الناسخ والمنسوخ فى الحديث (٢).

وبجانب هذه المذاهب الأربعة التى ذكرناها ،وجدت مذاهب أخرى لم يكتب لها الانتشار حيث لم تجد تلاميذ يعملون على نشرها ،كما هو الحال فى المذاهب الفقهية الاربعة فاندرست هذه المذاهب وأرى لزاما على التعرض لبعضها .

فمن هذه المذاهب :

(١) مذهب الاوزاعى :

صاحب هذا المذهب هو " عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقى ولد سنة ثمان وثمانين ببعلبك ،وتربى يتيما فقيرا فى حجر أمه ثم انتقل الى بيروت (٣)،" ولم يكن بالشام أعلم فى زمانه منه ،قيل أنه أجاب فى سبعين الف مسألة " (٤).

وكان رحمه الله ،يكره القياس ،ولايقدم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا سوى القرآن ،وكان يقول " اذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فاياك أن تقول بغيره فانه كان مبلغا عن الله "(٥)

(١) ابن الجوزى ، المصدر السابق ،ص ٦١١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٦١٢ ،وابن النديم ، الفهرست ،ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
(٣) الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١ ،ص ١٧٨ .
(٤) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٣ ،ص ١٢٧ .
(٥) الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١ ،ص ١٨٠ .

ويقول : " خمسة كان عليها الصحابة والتابعون ، لزوم الجماعة واتباع السنة ،وعمارة المساجد ،والتلاوة والجهاد " (١).

قال الذهبي : " كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر ثم فنى العارفون به وبقى مايوجد فى كتب الخلاف "(٢). وكانت وفاته فى صفر سنة سبع وخمسين ومائة (٣)،فى أثناء خلافة أبى جعفر المنصور.

(٢) سفيان الثورى :

صاحب هذا المذهب هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثورى الكوفى ،كان اماما فى علم الحديث وغيره من العلوم ،وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ،وهو أحد الأئمة المجتهدين (٤). الا أن مذهبه لم يبق طويلا لقلة أتباعه (٥)،فاندثر بعد فترة وجيزة حيث لم يجد من التلاميذ والأتباع من يعمل على نشره .

(٣) مذهب الليث بن سعد :

" أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن امام أهل مصر فى الفقه والحديث ،.... كان ثقة سريا سخيا ،قال الليث : كتبت من علم محمد بن شهاب الزهرى علما كثيرا ،وطلبت ركوب البريد اليه الى الرصافة ،فخفت أن لايكون ذلك لله تعالى فتركته "(٦). وقال الشافعى : " الليث بن سعد أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به " (٧). وقيل أيضا : هو أفقه من

---

(١) الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١ ،ص ١٨٠ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٨٢ .
(٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٣ ،ص ١٢٧ .
(٤) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٢ ،ص ٣٨٦ .
(٥) د . عبد الكريم زيدان ، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ،ص ١٧٩.
(٦) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٤ ،ص ١٢٧ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ١٢٧ .

مالك ولكن الحظوظ لمالك "(١). وقد أراد أبو جعفر المنصور أن يوليه مصر الا أنه قال له : انى أضعف من ذلك يا أمير المؤمنين لأننى من الموالى، فرد عليه المنصور قائلا له : مابك ضعفا معى ولكن ضعفت نيتك (٢).

وكانت تجرى بينه وبين الامام مالك مراسلات لمناقشة بعض الآراء والفتاوى التى أفتى بها ،فقد كتب اليه الامام رسالة جاء فيها : " من مالك بن أنس الى الليث بن سعد ،سلام عليكم ،فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو ،أما بعد ،عصمنا الله واياك بطاعته فى الشر والعلانية ،وعافانا واياكم من كل مكروه .

واعلم رحملك الله أنك تفتى الناس بأشياء مختلفة ،مخالفة لما عليه الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه . وأنت ،فى أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك ،وحاجة من قبلك اليك واعتمادهم على ماجاء منك ،حقيق بأن تخاف من نفسك ،وتتبع مانرجو النجاة باتباعه ،فان الله تعالى يقول فى كتابه : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.."(٣) وقال تعالى : "فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه "(٤).

" فانما الناس تبع لأهل المدينة ،اليها كانت الهجرة ،وبها تنزل القرآن ،وأحل الحلال وحرم الحرام ،اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ،يحضرون الوحى والتنزيل ،ويأمرهم فيطيعونه ،ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ماعنده ،صلوات الله عليه ورحمته وبركاته .

ثم قام من بعده ناس ،له من أمته ،فمن ولى الأمر من بعده ،بما نزل بهم ،فما علموا أنفذوه ،ومالم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه ،ثم أخذوا بأقوى ماوجدوا فى ذلك فى اجتهادهم وحداثة عهدهم ،وان خالفهم مخالف، أو قال امرؤ غيره أقوى منه وأولى ،ترك قوله وعمل بغيره ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ،ويتبعون تلك السنن ،فاذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولا به لم أر لأحد خلافه ،للذى بين أيديهم من تلك الوراثة التى

---

(١) الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١ ،ص ٢٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٢٥ .
(٣) سورة التوبة ،الآيه (١٠٠) .
(٤) سورة الزمر ،الآية (١٧) .

لايجوز انتحالها ولا ادعاؤها . ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا ،وهذا الذى مضى عليه من مضى منا ،لم يكونوا فيه من ذلك ثقة،ولم يكن لهم من ذلك الذى جاز لهم .

فانظر رحمك الله فيما كتبت اليك لنفسك ،واعلم أنى لايكون دعانى الى ماكتبت به اليك الا النصيحة لله وحده والنظر لك والضن بك ،فانزل كتابى منزلته فانك ان علمت أنى لم آلك نصحا . وفقنا الله واياك لطاعته وطاعة رسوله فى كل أمر وعلى كل حال ،والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.(١)

فرد عليه الليث قائلا : " سلام عليك ،فانى أحمد الله الذى لااله الا هو ،أما بعد ـ عافانا الله واياك ،وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة قد بلغنى كتابك ..... وأنه بلغك أنى أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم ،وأنى يحق الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ماأفتيتهم به ،وأن الناس تبع لأهل المدينة التى اليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك ان شاء الله تعالى ،ووقع منى بالموقع الذى تحب ،وماأجد أحدا ينسب اليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولاأشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولاآخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى والحمد لله رب العالمين لا شريك له ،وأما ماذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهرى أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا بها تبعا لهم فيه فكما ذكرت ،وأما ماذكرت من قول الله تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم "(٢)،فان كثيرا من أولئك السابقين خرجوا الى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله فجندوا الأجناد واجتمع اليهم الناس فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ولم يكتموهم شيئا علموه ،وكان فى كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة .... " (٣)

---

(١) القاضى عياض ،ترتيب المدارك ،حـ ١ ،ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٠٠) .

(٣) ابن القيم ، اعلام الموقعين ،جـ ٣ ،ص ٩٤ ومابعدها .

ومضى الليث بن سعد يرد على كتاب الامام مالك نقطة ،نقطة ،بأدب جم ،وعلم غزير ،وحجة بليغة على كل فتوى أفتى بها ،ولكنه جاء مزينا بوقار العلماء وتواضعهم خاليا من التجريح والسباب .

وتعبر الرسالتان فى مجملهما عن الحياة العلمية الراقية التى وصلت اليها الدولة فى هذا العصر ،فقد كان العلماء يسهمون بقدر عظيم فى اثراء الحياة الفكرية والفقهية بهذه المناقشات والمراسلات التى تجرى بينهم .

(٤) داود الظاهرى :

صاحب هذا المذهب هو " داود بن على بن خلف الأصبهانى الأصل البغدادى الدار ، المشهور بداود الظاهرى نسبة الى ظاهر الكتاب والسنة لتمسكه به ، أحد أئمة المسلمين وهداتهم كان ورعا ناسكا زاهدا" (١).

" وكان صاحب مذهب مستقل ،وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية" (٢)، " وقيل انه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر "(٣)،ولد ببغداد سنة ٢٠٢ هـ وقيل سنة ٢٠٠ هـ ،وتوفى بها سنة ٢٧٠هـ"(٤).

" وقد نهج اتباع الظاهر ،ونفى القياس قائلا : ان فى عمومات الكتاب والسنة مايفى بالشريعة من وجوب وحرمة وغيرها ،ومالم نجد نصا على حكمه أو ظاهرا ،فقد تجاوز الله عنه " (٥).

هذه هى المذاهب التى تبلورت فى هذا العصر الى جانب مذاهب أخرى لم نشر اليها ،فالمذاهب الأربعة وجدت من يحملها ويعمل على نشرها وتدوينها حتى وصلت الينا اليوم وهى المذاهب السائدة اليوم فى شتى أنحاء العالم الاسلامى ،كما أن مذاهب الشيعة أيضا ازدهرت فى هذا العصر .

(١) الحجوى الثعالبى ، الفكر السامى ،جـ ٢ ،ص ٢٦ - ٢٧ .
(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ ٢ ،ص ٢٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٥٦ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٥٧ .
(٥) الحجوى الثعالبى ، الفكر السامى ،جـ ٢ ،ص ٢٧ .

أما المذاهب الأخرى فلم يحالفها التوفيق فى الانتشار لأنها لم تجد من يقوم على نشرها فاندثرت فى حينها ،ولكنها فى النهاية تدل دلالة كبيرة على أن أذهان المسلمين قد تفتقت بدرجة مذهلة ابان هذا العصر الذى لم يتكرر مرة أخرى فى تاريخ المسلمين .

وان كانت هناك من ملاحظة نبديها فهى :

أولا : احترام هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم لبعضهم البعض ،وورعهم وزهدهم ،وثناء كل منهم على الآخر بعيدين عن التعصب الأعمى للمذهب، وهذا هو السلوك الذى ينبغى أن يسلكه كل مسلم مع أخيه المسلم .

ثانيا : اعتماد هذه المذاهب كلها على الكتاب والسنة فى المقام الاول باعتبارهما أساس التشريع ثم اعمال القياس والاجماع على درجات متفاوتة فى كل مذهب ،ورأينا أن من أصول المذهب المالكى عمل أهل المدينة الذى قدمه مالك رضى الله عنه على القياس ،كما رأينا فى أصول المذهب الحنبلى الأخذ بالحديث المرسل والضعيف ولايلجأ الى القياس الا عند الضرورة .

وتلك هى حرية الفكر فى الشريعة الاسلامية ، الحرية التى لاتتناقض وأصول الدين .

ولاشك أن هذا العصر هو العصر الذهبى للتشريع الاسلامى بلا منازع ، فقد أوقدت فيه شموع العلم وظهرت الآلاف من المؤلفات الفقهية واللغوية والأدبية والتى لازلنا نعيش عليها الى يومنا هذا ،وحسبنا اليوم فى العالم الاسلامى ما أنتجه علماء هذه المذاهب الأربعة وتلامذتهم التى هى ثروتنا الحقيقية .

الفصل الثالث

الاجتهاد

الاجتهـــــــــاد

لغة :"بذل الجهد والوسع فى طلب الأمر ،والمراد به رد القضية التـــى تعرض للحاكم من طريق القياس الى الكتاب والسنة"(١).

واصطلاحا: " بذل الفقيه جهده فى استنباط حكم شرعى من دليله ،على وجـــه يحس فيه العجز من المزيد "(٢).

شـروط المجتهد :

لابد للمجتهد من توافر شروط عديدة حتى يتسنى له الاجتهاد ،وقد ذكر الشافعى (٣) هذه الشروط نلخصها فيما يلى :

(١) أن يكون عالما بالكتاب وأحكامه ،ناسخه ومنسوخه ،وخاصه وعامـــه وادبـه .

(٢) أن يكون عالما بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وماقاله أهـــل العلم قديما وحديثا .

" ولايشترط فى ذلك أن يكون حافظا لكل ماورد بل يكفى أن يكون قادرا على جمع مايرتبط بموضوع بحثه منهما ،وعلى معرفة ماقاله المختصون فى الحديث من صحة أو ضعف وماقالوه فى رجاله من جرح أو تعديل"(٤).

(٣) أن يكون عالما باللغة العربية .

(٤) أن يكون عاقلا يميز بين المشتبه ،ويعقل القياس .

فان عدم واحدا من هذه الخصال لم يحل له أن يقول قياســـا (أى أجتهادا) .

---

(١) ابن منظور ،لسان العرب ،ج ٣ ،ص ١٣٣ .

(٢) على حسب الله ،أصول التشريع الاسلامى ،دار المعارف بمصر، الطبعـــة الخامسة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ،ص ٨٧،وأنظر الامام محمد أبو زهرة، أصـــول الفقه ،ص ٣٠١ .

(٣) الشافعى ، الرسالة ،ص ٥٠٩ .

(٤) على حسب الله ،أصول التشريع الاسلامى ،ص ١٠٣ .

ولقد كان الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل هم الذين تصدوا للاجتهاد والفتيا في هذا العصر . وقد بينا أصول مذاهبهم وطريقة كل منهم في الاستنباط ،فالكتاب والسنة هما أساس التشريع ،ولم يختلفوا في ذلك ،ثم يأتي بعد ذلك الاجماع والقياس ،فمنهم من توسع في استخدام القياس كأبي حنيفة ،ومنهم من كان لايلجأ اليه الا عند الضرورة كالامام أحمد .

الا أن النزعة التشريعية لهؤلاء الأئمة قد اختلفت ،فانقسموا الى فريقين ،فريق أهل الحديث ،وهم أكثر مجتهدي أهل الحجاز ،وفريق أهل الرأي ،وهم أكثر مجتهدي أهل العراق ،يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف ما نصه : " وليس معنى هذا الانقسام أن فقهاء العراق لايصدرون في تشريعهم عن الحديث ،وأن فقهاء الحجاز لايصدرون في تشريعهم عن الاجتهاد بالرأي ، لأنهم جميعا متفقون على أن الحديث حجة شرعية ملزمة ،وأن الاجتهاد بالرأي، أي بالقياس ،حجة شرعية فيما لانص فيه .

وانما معنى هذا الانقسام وسبب هذه التسمية أن فقهاء العراق أمعنوا في مقاصد الشارع وفي الأسس التي بني عليها التشريع ،فاقتنعوا بأن الأحكام الشرعية معقول معناها ومقصود بها تحقيق مصالح الناس . وبأنها تعتمد على مبادئ واحدة وترمي الى غاية واحدة ،وهي لهذا لابد أن تكون متسقة ولاتعارض ولاتباين بين نصوصها وأحكامها . وعلى هذا الاساس يفهمون النصوص ويرجحون نصا على نص ،ويستنبطون فيما لانص فيه ولو أدى استنباطهم على هذا الاساس الى صرف نص عن ظاهره أو ترجيح نص على آخر أقوى منه رواية حسب الظاهر . وهم من أجل هذا لايتحرجون من السعة في الاجتهاد بالرأي، ويجعلون له مجالا في أكثر بحوثهم التشريعية " (١).

" وأما فقهاء الحجاز فقد عنوا بحفظ الأحاديث وفتاوى الصحابة ، واتجهوا في تشريعهم الى فهم هذه الآثار حسبما تدل عليه عبارتها وتطبيقها

---

(١) عبد الوهاب خلاف ،خلاصة تاريخ التشريع الاسلامي ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت ،ص ٧٥ – ٧٦ .

على مايحدث من الحوادث غير باحثين فى علل الأحكام ومبادئها ،فاذا وجدوا مافهموه من النص لايتفق مع مايقتضيه العقل لم يبالوا بهذا وقالوا هو النص . وكانوا من أجل هذا يتحرجون من الاجتهاد بالرأى ولا يلجأون اليه الا عند الضرورة القصوى " [1].

وأهم الأسباب التى أدت الى اختلاف هاتين النزعتين هى :

(١) كثرة الأحاديث وفتاوى الصحابة عند الحجازيين ،وقلتها عند العراقيين مما جعلهم يعتمدون على عقولهم .

(٢) كثرة الفتن فى العراق التى أدت الى افتراء الأحاديث وتحريفها لأنها كانت مهد الشيعة ومقر الخوارج ،فلذلك تشددوا فى قبول الرواية .

(٣) اختلاف بيئة العراق عن بيئة الحجاز ،لأن دولة الفرس خلفت فى العراق أنواعا من المعاملات والعادات والنظم لم يعهد مثلها فى الحجاز فكان مجال الاجتهاد فى العراق أوسع من الحجاز [2].

وعلى الرغم من اختلاف النزعتين الحجازية والعراقية ،الا انها لم تخرج عن اطار الأسس العامة للتشريع الاسلامى ،وانما أوجد هذا الاختلاف مجالا كبيرا للاجتهاد كل حسب طاقته .

وهناك مصادر تشريعية أخرى استخدمها الأئمة المجتهدون فى هذا العصر كالاستحسان والمصالح المرسلة ،وقد أخذ بها البعض وعدها من المصادر التشريعية التى لا نص فيها ولم يأخذ بها البعض ولم ير الأخذ بها ،وهناك مصادر أخرى أيضا اختلفوا فيها ،ولكننا نأخذ الاستحسان والمصالح المرسلة كمثال لاجتهادات الفقهاء فى هذا العصر .

---

(١) عبد الوهاب خلاف ،خلاصة تاريخ التشريع الاسلامى ،ص ٧٦ .
(٢) انظر المرجع نفسه ،ص ٧٧ – ٧٨ .

الاستحســــان :

" هو أن يعدل المجتهد عن أن يحكم فى المسألة بمثل ماحكم به فـــى نظائرها لوجه أقوى يقتض العدول عن الأول " [١].

وقال الشاطبى : " هو الأخذ بمصلحة جزئية فى مقابل دليل كـــلى . ومقتضاه الرجوع الى تقديم الاستدلال المرسل على القياس ،فان من استحســن لم يرجع الى مجرد ذوقه وتشهيه ،وانما رجع الى ماعلم من قصد الشارع فـى الجملة فى أمثال تلك الأشياء المفروضة ،كالمسائل التى يقتض القياس فيها أمرا الا أن ذلك الأمر يؤدى الى فوت مصلحة من جهة أخرى أو جلب مفســدة كذلك . وكثيرا مايتفق هذا الأصل الضرورى مع الحاجى ،والحاجى مع التكميلى ، فيكون اجراء القياس مطلقا فى الضرورى يؤدى الى حرج ومشقة فى بعــض موارده فيستثنى موضع الحرج " [٢].

وللاستحسان أمثلة كثيرة فى الشرع كالقرض مثلا ،فانه ربا فى الأصل ، لأنه الدرهم بالدرهم الى أجل ،ولكنه أبيح لما فيه من توسعة على المحتاجين ولو بقى على أصل المنع لكان فيه ضيق على المكلفين [٣].

وقد أخذ مالك بالاستحسان حيث روى أنه قال : " الاستحسان تسعـــة أعشار العلم " [٤].

ولقد لاحظ الامام مالك رضى الله عنه أن الامكانيات العقلية لـــكل فقيه تقدم له كثيرا من الأقيسة فى المسائل التى يبحث عن حكم ذى مستنـــد لها ،وهى أقيسة مستوفية لشروط القياس الشرعى فى شكلها وطريقة اجرائهـــا وأركانها ،بيد أنه عند العمل بكثير منها يلاحظ الفقيه أن العمل بهـــا

---

(١) محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ،ص ٢٠٧ .

(٢) الشاطبى ، ابراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى ،ت ٧٩٠هـ ، الموافقات فى أصول الشريعة ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان ،ج ٤ ،ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) أنظر المصدر نفسه ،ص ٢٠٧ .

(٤) الشاطبى ، الاعتصام ،مطبعة المنار بمصر ١٣٣١هـ - ١٩١٢م ،ج ٢ ،ص ٣٢٠.

يتعارض مع أهداف التشريع الإسلامي - الذي يدور الاجتهاد في نطاقه - كما يتعارض مع مقرراته المستخلصة من كثير جدا من النصوص والتشريعات الثابتة ، وهنا يرى مالك أن اتباع القياس عندئذ لايؤدى الى تحقيق ماجاء التشريع لتحقيقه من مصالح الناس ،فيرى عندئذ الأحسن له أن يترك القياس الى مايخالفه مما يحقق أهداف التشريع ومقرراته "[1].

وقد أخذ الاحناف أيضا بالاستحسان وكذلك الحنابلة وقد اشتهر أبو حنيفة بالعمل به ،" فقد كان يناظر أصحابه في المقاييس ،فينتصفون منه ويعارضونه حتى اذا قال (أستحسن) لم يلحقه أحد منهم لكثرة مايورد في الاستحسان من المسائل ،فيدعون جميعا ويسلمون له "[2]. " وكان يمضي الامور على القياس ،فاذا قبح القياس يمضيه على الاستحسان " [3].

أما الشافعي فلم يأخذ بالاستحسان وقد عقد فصلا في كتابه الأم[4] في ابطال الاستحسان ،وقد لخص الشيخ محمد أبو زهرة حجة الشافعي في ابطال الاستحسان في الآتي :

(١) أن الشريعة نص ،وحمل على نص بالقياس ،وما الاستحسان أهو منهما ام غيرهما ؟ فان كان منهما فلا حاجة الى ذكره ،وان كان خارجا عنهما فمعنى ذلك أن الله تعالى ترك أمرا من أمور الناس من غير حكم وذلك يناقض قوله تعالى :" أيحسب الانسان أن يترك سدى " [5].

(٢) أن الآيات الكثيرة تامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ،وتنهى عن اتباع الهوى ،وتامرنا عند التنازع أن نرجع الى كتاب الله تعالى ،

---

(١) د. محمد بلتاجي ،مناهج التشريع الاسلامي في القرن الثاني الهجري ، مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ،ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٢) الموفق المكي ،مناقب الامام الأعظم ،ج ١ ،ص ٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٨٢ .

(٤) الأم ،دار المعارف للطباعة والنشر (بيروت - لبنان) الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ،ج ٧ ،ص ٢٩٤ - ٣٠٤ .

(٥) سورة القيامة ، الآيه (٣٩)

فالله سبحانه وتعالى يقول : " فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر "[1]. والاستحسان ليس كتابا ولاسنة ولا ردا للكتاب والسنة وانما أمر غير ذلك فهو تزيد عليهما ،فلا يقبل الا بدليل منهما على قبوله ،ولادليل عليه .

(٣) ان النبى صلى الله عليه وسلم ماكان يفتى باستحسانه وهو الذى كان ماينطق عن الهوى ،فقد سئل عن الرجل يقول لامرأته أنت على كظهر أمى فلم يفت باستحسانه ،بل انتظر حتى نزلت آية الظهار وكفارته . وسئل عمن يجد مع امرأته رجلا ويتهمها فانتظر حتى نزلت آية اللعان ، وكذلك سئل عن نفى نسب ولده لأنه على غير لونهما ،فانتظر حتى كان حكم اللعان أيضا .

ولو كان لأحد أن يفتى بذوقه الفقهى او باستحسانه لكان سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ،فامتناعه عنه يوجب علينا ان نمتنع عن الاستحسان من غير اعتماده على نص ،ولنا فى رسول الله تعالى أسوة حسنة .

(٤) أن النبى صلى الله عليه وسلم قد استنكر على الصحابة الذين غابوا عنه وأفتوا باستحسانهم ،فقد أنكر على بعض الصحابة أنهم أحرقوا مشركا لاذ بشجرة ،واستنكر أن أسامة قتل رجلا قال لا اله الا الله لأنه قالها تحت حر السيف ،ولو كان الاستحسان جائزا لما استنكر عملهم .

(٥) أن الاستحسان لاضابط له ،ولامقاييس يقاس بها الحق من الباطل كالقياس، فلو جاز لكل حاكم أو مفت أو مجتهد أن يستحسن من غير ضابط لكان الأمر فرطا ،ولاختلفت الأحكام فى النازلة الواحدة على حسب استحسان كل مفت ،فيكون فى الشئ الواحد ضروب من الفتوى من غير ترجيح واحدة على الأخرى ،اذ لاميزان ضابط يمكن له الترجيح به مادام الاساس هو الاستحسان .

---

(١) سورة النساء ،الآية (٥٩) .

(٦) انه لو كان الاستحسان جائزا من المجتهد ،وهو لايعتمد على نص ولاحمل على النص بل يعتمد على العقل وحده ،لكان يجوز الاستحسان ممن ليس عنده علم بالكتاب والسنة لأن العقل متوافر عند غير العلماء بالكتاب والسنة ،بل ربما كان منهم من له عقل يفوق عقول هؤلاء ، وله ابانة خير من ابانتهم (١).

هذه هي خلاصة رأى الامام الشافعي في الاستحسان ،وقد علق الشيخ أبو زهرة على هذه الأدلة بقوله :" وان هذه الأدلة كلها لاترد على الاستحسان الحنفي ،الا فيما يتعلق باستحسان العرف ... وبالنسبة للاستحسان المالكي نقرر أن هذه الأدلة واردة عليه بالنسبة لاستحسان المصلحة "(٢).

وعلى الرغم من ابطال الشافعي للاستحسان ،فان كثيرا من الفقهاء استخدموه بعد الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ،فنراهم يقولون مثلا هذا الشئ يجوز استحسانا لاقياسا ،وذلك الأمر محظور قياسا مباح استحسانا ،فكأنهم يجعلونه مقابلا للقياس" (٣).

المصالح المرسلة :

" يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذى لايشهد له أصل معين فليس له على هذا شاهد شرعى على الخصوص ولاكونه قياسا بحيث اذا عرض على العقول تلقته بالقبول "(٤).

وقد أطلق بعض الاصوليين ،كالحنابلة على المصالح المرسلة الاستطلاح(٥).

---

(١) محمد أبو زهرة ،أصول الفقه ،ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ،ص ٢١٥ .

(٣) د . محمد يوسف موسى ،المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ،ص ١٩٨ .

(٤) الشاطبى ،الاعتصام ،ج ٢ ،ص ١١١ .

(٥) عبد الوهاب خلاف ،مصادر التشريع الاسلامى فيما لانص فيه ،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ،ص ٨٦ .

مذاهب العلماء فى الاحتجاج بالمصالح المرسلة أو الاستصلاح :(١)

(أ) ذهب مالك وأحمد ومن تابعوهما الى أن الاستصلاح طريق شرعى لاستنباط الحكم فيما لانص فيه ولا اجماع ،وأن المصلحة المطلقة التى لايوجد من الشرع مايدل على اعتبارها ولا على الغائها مصلحة صالحة لأن يبنى عليها الاستنباط .

(ب) وذهب الشافعى ومن تابعوه الى أنه لااستنباط بالاستصلاح ،ومن استصلح فقد شرع كمن استحسن والاستصلاح كالاستحسان متابعة للهوى .

(ج) وذهب الطوفى من علماء الحنابلة الى أن الاستصلاح هو الدليل الشرعى الأساسى فى المعاملات ونحوها مما شرعت فيها الأحكام لجلب النفع للناس ودفع الضرر عنهم ،وليس هو الدليل الشرعى الأساسى فيما لانص فيه فحسب ،بل هو الدليل الشرعى الأساسى وسبيل التشريع العام فيما لانص فيه ،وفيما فيه نص وفى المعاملات والسياسات الدنيوية حيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله .

(د) أما الحنفية : فالمشهور فى بعض الكتب أنهم لايأخذون بالاستصلاح ولايعتبرونه دليلا شرعيا .

وقد أكثر الامام مالك رضى الله عنه من اعمال المصالح المرسلة حتى اشتهر بذلك (٢).

فمن امثلة عمل مالك بالمصالح المرسلة :

١ – " أجازته تنصيب الأمثل من غير المجتهدين اماما اذا لم يوجد مجتهد ، لأن ترك الناس دون امام فوضى تبعث على الهرج والفساد ،وليس فى تنصيب مثله اماما من فساد الا فوت الاجتهاد " (٣).

٢ – " اجاز بيعة المفضول مع وجود الأفضل اذا خيف اضطراب أمور الناس وعدم اقامة مصالحهم اذا لم يبايع المفضول عندئذ "(٤).

---

(١) عبد الوهاب خلاف ،مصادر التشريع الاسلامى فيما لانص فيه ،مرجع سابق ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٢) د. محمد بلتاجى ،مناهج التشريع فى القرن الثانى الهجرى ،ج ٢،ص ٦٢٧

(٣)،(٤) المرجع نفسه ،ص ٦٢٩ .

هذه هى بعض مناهج الإجتهاد لفقهاء هذا العصر ،وقد عرضت لها بشىء من الايجاز ،تحسبا من الدخول فى التفصيلات الدقيقة للفقهاء والأصوليين، وهناك مناهج أخرى كثيرة لم أتعرض لها بالذكر ،وقد اكتفيت بمثالين فقط من هذه المناهج ،لنتعرف بهما على كيفية الاجتهاد .

وتعبر هذه الأمثلة بصدق عن مدى الحرية الفكرية التى امتاز بها المجتهدون فى هذا العصر .

الباب الثالث

النظام القضائي في العصر العباسي الأول

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول : القضاء

الفصل الثاني : الحسبة

الفصل الثالث : المظالم

الفصـــل الاول

نظـام القضـاء فى العصـر العبـاسى الاول

مدخل للنظام القضائى فى العصر العباسى الأول

لابد للحديث عن النظام القضائى فى العصر العباسى الأول من تعريف القضاء وبيان مشروعيته وحكمه ،كما نذكر بايجاز القضاء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية حتى نقف على مدى ماوصل اليه القضاء فى العصر العباسى الأول من قوة أو ضعف فتتحقق الفائدة المرجوة من هذا البحث .

تعريف القضاء لغة واصطلاحا :

القضاء فى اللغة له معان عديدة ،فقد ورد بمعنى القطع أو الفصل ، يقال قضى يقضى فهو قاض - اذا حكم وفصل ،وقضاء الشئ احكامه وامضاؤه ، والفراغ منه ،وورد أيضا بمعنى الحكم والحتم والالزام [١].

أما فى الاصطلاح فقد عرفه الفقهاء بتعريفات عديدة نختار منها ما أجمع عليه جمهور الفقهاء وهو " الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للنزاع بالأدلة الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة" [٢].

مشروعية القضاء من الكتاب والسنة :

- من الكتاب :

قوله تعالى : " فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهوائهم" [٣]. وقوله تعالى : " وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين" [٤]، وغير ذلك من الآيات الدالة على مشروعية القضاء فى القرآن الكريم .

---

(١) الزبيدى ،محب الدين أبو الفيض الحسينى ،تاج العروس من جواهر القاموس ،ج ١٠ ،ص ٢٩٦،الجوهرى ، الصحاح ،ج ٦،ص ٢٤٦٣، ابن منظور،لسان العرب ،ج ١٥ ،ص ١٨٦ ، الصنعانى ،سبل السلام ،ج ٢ ،ص ١١٥،د .ابراهيم نجيب عوض ، القضاء فى الاسلام،تاريخه ونظامه ،ص ٤ ،٥،د . نصر فريد واصل ، السلطة القضائية فى الاسلام،ص ٢١ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٢٠ ،د . ابراهيم نجيب ، القضاء فى الاسلام ، المرجع السابق ،ص ٧ .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٤٨).

(٤) سورة المائدة ، الآية (٤٢).

- من السنة :

روى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :"اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ،واذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر "(١).

حكم القضاء :

"القضاء فرض كفاية على علماء المسلمين لأن أمر الناس لايستقيم بدونه فكان واجبا على الكفاية كالاجتهاد ولايتعين على أحد اذا لم يوجد غيره وكان مستوفيا لشروطه "(٢).

" وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على اقامته بين الناس واعتبروه فريضة محكمة وسنة متبعة "(٣).

السلطة القضائية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين والأمويين :

كانت سلطة القضاء فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بيده عليه الصلاة والسلام فقد جاء فى الوثيقة التى كتبها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين والجماعات التى كانت تجاور المدينة بعد هجرة المسلمين اليها " وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله "(٤).

وبذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى الدولة الاسلامية عند قيامها ،يفصل بين الناس فيما يحدث بينهم من خصومات ومنازعات ،

---

(١) صحيح مسلم،ج ٦ ،ص ١٣٤٢،سنن أبى داود ،ج ٢ ،ص ٢٦٨،صحيح الترمذى ، ج ٦ ،ص ٦٧ - ٦٨ .

(٢) د. ابراهيم نجيب ،القضاء فى الاسلام ،مرجع سابق ،ص ٩.

(٣) د. سلامة الهرفى ،القضاء فى الدولة الاسلامية حتى العصر العباسى الاول ،رسالة دكتوراه ،ج ١ ،ص ٩ .

(٤) ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج ٢ ،ص ١٠٨ ،ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج ٣ ،ص ٢٢٥ .

ويقيم حدود الله التى شرعها فى كتابه ،فقد " قضى صلى الله عليه وسلم أن لايقتل مسلم بكافر ،وأن لايقتل الوالد بالولد "(١).

وهناك الكثير من الشواهد الأخرى ،التى تشير الى قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم أوردها ابن القيم فى اعلام الموقعين .

كما أناب صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فى تولى القضاء ،حينما بعث بمعاذ بن جبل الى اليمن وقال له : " كيف تقضى اذا عرض لك قضاء؟ فقال : أقضى بكتاب الله ،قال : فإن لم تجد ،قال فبسنة رسول الله ،قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ولاكتاب الله . قال : فأجتهد رأيى ولا آلو، قال : فضرب رسول الله على صدره ،وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله " (٢).

السلطة القضائية فى عصر الراشدين :

كان القضاء فى عهد أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيده ،وكان يقضى بكتاب الله وسنة رسوله " فاذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى فان وجد فيه مايقضى به قضى به ،وان لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وجد فيها مايقضى به قضى به ،فان أعياه ذلك سأل الناس هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام اليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا فان لم يجد سنة للنبى صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به وكان عمر يفعل ذلك ..." (٣)

(١) ابن القيم ،شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر ،اعلام الموقعين عن رب العالمين ،تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، جـ ٤ ص ٣٦٢ .

(٢) رواه الامام احمد وأبو داود .

(٣) ابن قيم الجوزية ،اعلام الموقعين ،جـ ١ ،ص ٦٢ ،السيوطى ،تاريخ الخلفاء ،ص ٧٣، العلامة علاء الدين الهندى ،كنز العمال ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ،بيروت ـ لبنان ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ،جـ ١،ص ٦٢.

وقد أناب الصديق رضى الله عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قضاء المدينة فقد جاء فى تاريخ الطبرى : " ولما ولى أبو بكر قال : ابو عبيدة أنا أكفيك المال ،وقال عمر أنا أكفيك القضاء ،فمكث سنة لاياتيه رجلان " (١)

ومع عهده رضى الله عنه الى عمر بالقضاء فانه كان يباشر القضاء بنفسه أحيانا وذلك عندما ترفع اليه الخصومة والخلاف ،ولا يعنى هذا ان هناك تعارضا بين مباشرته القضاء بنفسه والعهد به الى عمر بن الخطاب لأن الخليفة صاحب الولاية العامة ومن حقه ان يقضى بنفسه (٢).

"ولم يطرأ على نظام القضاء تغيير عما كان عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن أبا بكر كان يتحرج من تغيير شئ عما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولأنه ماطرأت حاجات فى عهده اضطرته الى هذا التغيير " (٣).

أما فى خلافة عمر رضى الله عنه ،فقد اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وشغل الخليفة بالفتوحات مما استدعى تعيين قضاة مستقلين فى المدن والولايات التى دخلت تحت الحكم الاسلامى " فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة ،وولى أبا موسى الأشعرى بالكوفة "(٤).

" وقد جعل عمر رضى الله عنه السلطة القضائية تابعة له مباشرة فكان هو الذى يعين القضاة ويكتب الى واليه فى الولاية أن يولى فلانا القضاء عنده "(٥).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٣ ،ص ٤٢٦

(٢) د . نصر فريد محمد واصل ،السلطة القضائية ونظام القضاء فى الاسلام، ص ٦١ .

(٣) الاستاذ عبد الوهاب خلاف ،السلطات الثلاث فى الاسلام ،ص ٤٦ .

(٤) ابن خلدون ،المقدمة ،ص ٢٢٠ .

(٥) د . نصر فريد محمد واصل ،السلطة القضائية ونظام القضاء فى الاسلام، ص ٦٥ .

أما فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ،فانه تولى القضاء بنفسه ،فاذا جاءه الخصمان ،قال لهذا أذهب فادع عليا ،وللآخر أدع طلحة بن عبيد الله ،والزبير وعبد الرحمن فاذا جاءوا فجلسوا ،قال للخصمين تكلما ،ثم يقبل على من استدعاهم فيقول أشيروا على فان قالوا مايوافق رأيه أمضاه عليهما ،والا نظر فيقومون مسلمين [١].

وفى عهد على رضى الله عنه جلس بنفسه للقضاء ،كما أنه ولى أصلح وأكفأ العناصر على القضاء ،كشريح الذى أبقاه على الكوفة ،كما فوض على رضى الله عنه ولاته على الأمصار فى اختيار القضاة ،ونصحهم ووجههم كما كان يفعل عمر رضى الله عنه [٢]

السلطة القضائية فى العصر الأموى :

ظلت سلطة التولية فى هذا العصر بيد الخليفة ،كما كانت فى عهد الخلفاء الراشدين ولم يختلف القضاء فى هذا العصر عن عصر الراشدين اختلافا كثيرا ،من حيث التنظيم واختيار أفضل العناصر لتولى هذا المنصب .

وقد اتسعت دائرة القضاء فى العصر الأموى ،فقد أضيف الى اختصاص القضاة فى هذا العصر الى جانب النظر فى الخصومات النظر فى الجراح ،فقد روى الكندى : أن معاوية بن أبى سفيان ،كتب الى قاضى مصرسليم بن عتر يأمره بالنظر فى الجراح وأن يرفع ذلك الى صاحب الديوان ،وهو أول قاض نظر فى الجراح [٣].

---

(١) وكيع ،أخبار القضاة ،جـ ١ ،ص ١١٠ .

(٢) يتضح ذلك من كتابه لواليه على مصر الأشتر النخعى ،أنظر الكتاب فى نهج البلاغة .

(٣) الكندى ،أبو عمر محمد بن يوسف ،كتاب الولاة والقضاة ،مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت ـ لبنان ١٩٠٨م ،ص ٣٠٩ .

فى العصر العباسى الاول

يعتبر العصر العباسى الاول العصر الذهبى للدولة الاسلامية، وعصر ثرائها الحقيقى فى شتى مجالات الحياة ، فقد من الله على المسلمين بفتح مشارق الارض ومغاربها ، ورفعت راية التوحيد فى أقصى بقاع الأرض، ودخلت أمم عديدة فى الاسلام ، وأفاء الله على المسلمين بمال غزير امتلأ به بيت المال ، وارتقت الدولة الاسلامية رقيا عظيما وصارت أكبر دولة فى ذلك الحين .

وازدهرت الحركة العلمية فى هذا العصر ازدهارا كبيرا فنمت وتطورت علوم الفقه والتفسير والحديث واللغة وغيرها من العلوم الأخرى كعلوم الطب والهندسة والفلك كما ازدهرت حركة الترجمة .

وكان العلم يلقى التشجيع والعناية من قبل الخلفاء أنفسهم فلا غرو أن يخطو القضاء خطوات واسعة عما كان عليه فى العصر السابق تبعا لهذه النهضة .

فحينما تولى العباسيون الخلافة فى أوائل القرن الثانى الهجرى ، كانوا يدركون عظم ولاية القضاء ، كما كان يدركها من قبلهم من الراشدين ، وبنى أمية ، فقد تولوا تعيين قضاتهم بأنفسهم ، ولم يفوضوا ولاتهم فى تعيين القضاة الا عند الضرورة ، فقد أخذ الخليفة المنصور (١٣٦- ١٥٨) يولى قضاة الأمصار من قبله (١). فقد كان يختارهم بنفسه ويتخير الذين يرى فيهم الصلاح والعلم . ذكر الطبرى أن المنصور قال : ماكان أحوجنى أن يكون على بابى أربعة نفر ..... ومن هؤلاء الأربعة وأولهم - قاض لاتأخذه فى الله لومة لائم " (٢).

---

(١) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ١٠٣ ، اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، آدم متز ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .

(٢) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٦٧ ، الطرطوشى ، سراج الملوك ، ص ٥٤ .

لقد كان شرط المنصور فى قضاته أن لاتأخذهم فى الله لومة لائـــــم ، ولذلك لم يترك مهمة اختيارهم لغيره ،بل كان يباشره بنفسه .

ولذلك فقد شهد عصره مجموعة من خيرة القضاة ،الذين أحسن اختيارهم ، مثل يحى بن سعيد الأنصارى [١] قاضيه على بغداد ،والذى كان من أفقه أهـل عصره [٢]،كذلك كان قاضيه على الكوفة ابن ابى ليلى [٣]،ومنهم أيضا شريك ابن عبد الله [٤]، الذى أوصاه المنصور حينما ولاه القضاء بقوله : بلغنــى عنك صرامة فازدد ...." [٥]. ومن قضاته أيضا عبيد الله بن الحســـن العنبرى [٦]،وسوار بن عبد الله [٧].

---

(١) هو يحى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحرث بن زيـد ابن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار . قضى لبنى أمية أيام الوليد ابن عبد الملك بالمدينة واستقضاه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفـــى وقض لأبى جعفر المنصور . وكيع ،أخبار القضاة ،ج ٣ ،ص ٢٤٣،٢٤٤ .

(٢) وكيع ، المصدر نفسه ،ج ٣ ،ص ٢٤٣ .

(٣) مفتى الكوفة وقاضيها أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبـى ليلى ، الفقيه المقرئ ،حدث عن أخيه عيسى والشعبى وعطاء والحـكم ونافع وعمرو بن مرة وطائفة ،وكان أبوه من كبار التابعين فلم يدرك الأخذ عنه ،كان فقيها صدوقا صاحب سنة جائز الحديث ،قارئا عالمـا بالقرآن . ت فى رمضان سنة ١٤٨هـ .الذهبى ،تذكرة الحفاظ ،ج ١،ص ١٧١

(٤) أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبى شريك وهو الحارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعى ،ولـد ببخارى من أرض خراسان ،وكان جده قد شهد القادسية . ت ١٧٧هـ . ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٢ ،ص ٤٦٤ .

(٥) وكيع ، المصدر السابق ،ج ٣ ،ص ١٥١ .

(٦) هو عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبى الحر ،وأبو الحر مالك بن الخشخاش بن جناب بن الحارث بن مجفر بن كعب بن العنبر بن عمرو بـن تميم ولى القضاء للمنصور سنة ست وخمسين ومائة وعزله المهدى سنـة ١٦٦هـ ،ت ١٦٨هـ . وكيع ، أخبار القضاة، ٨٨/٢.

(٧) هو سوار بن عبد الله بن قدامة بن غزة بن الحارث بن عمرو بـــن الحارث بن مجفر بن كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم .
وكان سوار يتمتع بجرأة كبيرة عرفه المنصور بها قبل أن يوليـــه القضاء حينما تصدى له فى جمع من أهل البصرة عندما هم المنصـــور بدفن نهر بن عمر فأثناه سوار عن ذلك وأعجب المنصور بجرأتـه وولاه القضاء – انظر تفصيل ذلك فى وكيع ،أخبار القضاة ،ج ٢ ،ص ٥٨ – روى وكيع قال : " دخل سوار على أبى جعفر المنصور فجلس ولم يقبـــل ==

كما أنه استقضى على مصر عبد الله بن لهيعة (١) الحضرمى سنة ١٥٥هـ ٧٧١م وهو أول قاض ولى مصر من قبله (٢).

وكان المنصور يهتم اهتماما بالغا بقضاته ،ومن مظاهر هذا الاهتمام ، وصيته الى قاضيه عبيد الله بن الحسن العنبرى ،حينما ولاه قضاء البصرة قال له : " انى قلدتك طوقا مما قلدنى الله ،فاغلقت فى عنقك طرفه ،وأبقيت فى عنقى ربقته ،وانى لم آل جهدا اذ وليتك ،لما ظهر لى منك من حسن فعلك ،وعلى الله اصلاح باطنك لا أعلم الغيب فلا أخطىء ولا أدعى معرفة مالم يعلمنى ربى ،فاتق الله وأطعنى اذا لم أعد بطاقتى من فوقى ولايحملنك خوفى ،واتباع محبتى على أن تطيعنى فى معصية ربى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ولاتغنيه عنى ،انك حجاب بين الله وبينى وأمانة منى على رعيتى ، قلدتك أحكامهم ان كنت أمامهم فلا يعدلن الحق عندك شىء ،ولايكونن أحد أكرم عليك من نفسك ،سلط الله عليها عزمك قبل تسلطها عليك فى حكمك ،قد أبلغتك وماعلى الا الجهد " (٣).

وهى وصية عظيمة جامعة ،تدلنا على مدى الاهتمام الكبير الذى كان يوليه المنصور لقضاته ،حيث كان يبين لهم الطريق السوى الذى ينبغى عليهم السير فيه ،وهو مخافة الله سبحانه وتعالى قبل الخوف من الخليفة ،وتحرى الحق والعدل بين الرعية .

= يده ،وعطس أبو جعفر فلم يحمد الله ،فلم يشمته ،ثم عطس فحمد الله فشمته ،ثم نهض سوار فأتبعه أبو جعفر بصره فقال أتزعمون أن هذا يحابى ؟ والله ماحابى فى عطسة . وكيع ،أخبار القضاة ،جـ ٢،ص ٦٢

(١) هو عبد الله لهيعة الحضرمى ولى القضاء فى مستهل سنة ١٥٥هـ من قبل المنصور ،وصرف عنها فى ربيع الآخر سنة ١٦٤هـ ،وليها عشر سنين وتوفى سنة ١٧٤هـ . انظر ابن حجر ،رفع الاصر ،القسم الثانى،ص ٢٨٧-٢٩١ الكندى، الولاة والقضاة ،ص ٢٦٨ - ٣٧٠ .

(٢) الكندى ،نفس المصدر ،ص ٢٦٨ .

(٣) وكيع ، المصدر نفسه ،جـ ٢ ،ص ٩١ .

وكان دائم الرقابة عليهم بواسطة عمال البريد فى الأمصار الاسلامية المختلفة ، الذين كانوا يكتبون اليه كل يوم " بما يقضى به القاضى فى نواحيهم " (١).

لقد وضع أبو جعفر المنصور الأسس التى يسير عليها القضاء فى عهده ، من اختيار لأصلح وأكفأ وأفقه العناصر لتولى هذا المنصب ،والاشراف عليهم ومراقبتهم ،مما كان له أثر كبير فى سيادة العدل والطمأنينة بين الرعية ، وهذا ماكان يرمى اليه المنصور من اعزاز الرعية بالحق حتى لايصل ظلم بعضهم الى بعض .

وكان القضاء مستقلا استقلالا كبيرا ،ومن مظاهر هذا الاستقلال مارواه وكيع : " أن القاضى شريك حينما ولى قضاء الكوفة قضى على حماد بن موسى ، وهو كاتب محمد بن سليمان بن على والى الكوفة يومئذ ،وحبسه ،وأتى من أخبره بأن محمد بن سليمان أطلقه ،قال شريك : هذه أول وهلة ،وان ضعفت فيها لم أزل ضعيفا فختمت قمطرى وقمت فدخلت عليه فقلت ان أمير المؤمنين أمرنى أن أعتمد عليه لتقوى بذلك أحكامى ،وانك أضعفتها : أخرجت رجلا من حبسى ،والله لئن لم ترده لايكون وجهى الا الى أمير المؤمنين ،فرده الوالى الى الحبس ...." (٢).

كذلك روى السيوطى أن المنصور كتب الى سوار بن عبد الله قاضى البصرة : أنظر الأرض التى تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها الى القائد ،فكتب اليه سوار : ان البينة قد قامت عندى أنها للتاجر فلست أخرجها من يده الا ببينة ،فكتب اليه المنصور والله الذى لا اله الا هو لتدفعنها الى القائد ،فكتب اليه سوار والله الذى لا اله الا هو لا أخرجتها من يد التاجر الا بحق فلما جاءه الكتاب قال : ملأتها والله عدلا فصار قضاتى تردنى الى الحق " (٣).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٢ ،ص ٩١ .
(٢) وكيع المصدر السابق ،ج ٣ ،ص ١٥١ -- ١٥٢ .
(٣) السيوطى ،تاريخ الخلفاء ،ص ٢٦٥ .

وكانت الاحكام تطال أفراد البيت العباسي أنفسهم ،فقد روى وكيع أنه استعدى نبطي على زينب بنت سليمان (بن علي) فأرسل سوار اليها يعلمها لتحضر ،فامتنعت فكتب الى الهيثم بن معاوية فأمره باحضارها، فكتب اليه الهيثم انها بنت سليمان بن علي ،فكتب اليه سوار : فهي أولى من أعطى الحق من نفسه اذا كانت بهذا الموضع السني ..."(١).

" وقد وقع بين أم المهدي وبين أبي جعفر المنصور خصومة ،فقالت لاأرضى الا بحكم غوث بن سليمان ،وكان هذا قاضيا على مصر من قبل المنصور ، فحمل للعراق للحكم بينهما ،فوكلت أم المهدي عنها وكيلا ،جلس أمام القاضي فطلب القاضي من أمير المؤمنين أن يساوي خصمه في مجلسه فانحط عن فرسه، وجلس مع الخصم ،وبعد النظر في القضية حكم القاضي لأم المهدي على أمير المؤمنين " .(٢)

ومن التطورات التي طرأت على القضاء في عصر المنصور هو " ايجاد جماعة الشهود الدائمين أمام القاضي "(٣)،وأول من فعل ذلك غوث بن سليمان قاضي المنصور على مصر ،فكان أول من سأل عن الشهود بمصر في السر ،وكان سبب ذلك كثرة شهادة الزور في زمنه (٤).

وأضيفت الى وظيفة القاضي ايضا في هذا العصر التماس هلال شهر رمضان ،فقد روى الكندي في كتابه الولاة والقضاة : خروج القاضي ابن لهيعة في طلب الهلال حيث قال : " طلب الناس هلال شهر رمضان ،وابن لهيعة على القضاء ،فلم ير فأتى رجلان فزعما أنهما قد رأياه فبعث بهما الأمير موسى بن علي الى ابن لهيعة ،فسأله عن عدالتهما فلم يعرفهما ،

---

(١) وكيع ،مصدر سابق ،جـ ٢ ،ص ٦٢ ـ ٦٣ .
(٢) الكندي ، الولاة والقضاة ،ص ٣٧٤ ـ ٣٧٦ ،آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،جـ ١ ،ص ٤١٦ .
(٣) آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،جـ ١ ،ص ٤١٩.
(٤) الكندي ، الولاة والقضاة ،ص ٣٦١ .

واختلف الناس وشكوا . فلما كان العام المقبل خرج عبد الله بن لهيعة فى نفر من أهل المسجد عرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال فكانوا يطلبونه بالجيزة . فهو أول القضاة الذين خرجوا فى طلب الهلال " (١).

كذلك أضيفت الى سلطات القاضى فى هذا العصر رعاية أموال الأوقاف والأيتام ،فقد اهتم قاضى البصرة سوار بن عبد الله بهذه الأموال ،اذ قبض الوقوف ،وضم الأموال المجهولة أربابها وسماها الحشرية (٢).

وأضاف المنصور أحيانا الى بعض القضاة النظر فى أمر الخراج،" فقد ضم المنصور الى قاضيه على الموصل الحارث بن الجارود العتكى الخراج بجانب القضاء " (٣).

ولعل الملاحظة الهامة التى نسجلها على قضاة المنصور ،أنه لم يول أحدا من أفراد الأسرة العباسية القضاء حيث خلا سجل القضاة منهم ،وذلك استشعارا منه بعظم المسئولية لهذه الولاية .

وقد استمرت هذه السياسة الحكيمة التى وضعها المنصور فى عهد خلفه ،كما استمرت غيرها من السياسات والتنظيمات التى وضعها فى خلافته .

ولما ولى المهدى الخلافة (١٥٨ - ١٦٩هـ/ ٧٧٤ - ٧٨٥م) سار على الأسس والتنظيمات التى وضعها والده فى القضاء ،فكان يعين قضاته بنفسه ،كما وسع اختصاص بعض القضاة "فقد ضم الى شريك بن عبد الله الصلاة مع القضاء فى الكوفة سنة ١٥٩هـ /٧٧٥م"(٤)،كذلك أقر على قضاء البصرة عبيد الله بن

---

(١) الكندى ، المصدر السابق ،ص ٣٧٠ ، ابن حجر ،رفع الاصر عن قضاة مصر ، القسم الثانى ،تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ،ص ٢٩٢ .

(٢) وكيع ،أخبار القضاة ،جـ ٢ ،ص ٥٨ والأموال الحشرية هى الأموال التى تركها اصحابها لغير وارث .

(٣) أنظر الأزدى ،تاريخ الموصل ،ص ١٩٩ ومابعدها .

(٤) الطبرى ،جـ ٨ ،ص ١٢٠ .
استمر شريك على صلابته فى عهد المهدى ،فقد روى وكيع أن الحسن بن قحطبة قال : غدوت على المهدى بغلس فدخلت عليه فسلمت فرد السلام ، وماقال لى اقعد ،ثم قال للخادم انظر من بالباب ؟ قال شريك ،قال ==

الحسن "[1]." وولى على مصر اسماعيل بن اليسع الكندى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م"[2].

وقد استمر القضاء مستقلا كما كان فى عهد المنصور ،ومن مظاهر هذا الاستقلال : " أن المهدي كتب الى قاضيه عبيد الله بن الحسن ،أن ينظر الأنهار التى كانت أيام عمر وعثمان ،فيأخذ الصدقة منها ،ويأخذ من الأنهار التى أحدثت بعد ذلك الخراج ،فلم ينفذ كتابه فتوعده ،فلما بلغ الخبر عبيد الله بن الحسن ،جمع أشراف أهل البصرة أهل العلم بالقضاء، فأشهدهم أنه قضى لأهل الأنهار كلها التى فى جزيرة العرب "[3]

وهذه اضافة جديدة لسلطة القضاء ،وهى النظر فى الأنهار .

كذلك فقد أولى المهدى أموال الوقوف والصدقات اهتمامه البالغ ، فقد كان قاضيه على البصرة خالد بن طليق ،طلب الأموال التى فى أيدى الناس من الوقوف ،والصدقات حتى جعل لمن دله على شئ من ذلك عشر العشرة ، فأحيا الوقوف بما أمر به وحمد ذلك منه [4].

== على بجراب السيوف . قال الحسن فاشتملتنى رعدة . ثم قال : ائذن له فدخل شريك فسلم فلم يرد عليه السلام ،ثم قال : قتلنى الله ان لم أقتلك ،قال : ولم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت فى النوم أنى مقبل عليك أكلمك وأنت تجيبنى من قفاك ؟ فأرسلت الى المعبر فقال : هذا رجل يطأ بساطك مخالفا لك ،فقال له شريك :ان رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب ،وان الدماء لاتستحل بالأحلام ،قال فنكس المهدى ساعة ثم قال بيده هكذا : أى أخرج ،ثم أقبل على المهدى فكلمنى ثم خرجت فاذا شريك واقف فقال لى : أما رأيت ما أراد ان يصنع هذا بنا فقلت لله درك ،ماظننت أنى أبقى حتى أرى فى الدنيا مثلك. وكيع ، أخبار القضاة ،ج ٣ ،ص ١٥٧ .

(١) الطبرى ، المصدر السابق ،ج ٨ ،ص ١٢٠ .

(٢) الكندى ،مصدر سابق ،ص ٣٧١ .

(٣) وكيع ،مصدر سابق ،ج ٢ ،ص ٩٧ .

(٤) نفس المصدر ،ص ١٢٥ .

لقد سار المهدى على نمط المنصور فى القضاء ،وكان يمثل أمام القضاء اذا تظلم منه أحد رعيته ،" فقد رفعت شكوى ضده من أحد الرعية ويدعى المسور بن مساور الذى غصبه وكيل المهدى ضيعته ،فلما مثلا أمام القضاء ،قال مساور : أصلح الله القاضى ان هذا ظلمنى فى ضيعتى وأشار الى المهدى ،فقال القاضى ماتقول يا أمير المؤمنين ،قال : ضيعتى فى يدى فقال مساور : أصلح الله القاضى سله متى صارت اليه الضيعة ؟ قبل الخلافة أو بعدها ،قال المهدى : بعد الخلافة ،قال القاضى أطلقها له قال : قد فعلت "(١).

ولما توفى المهدى وتولى الخلافة ابنه موسى الهادى ،ولى على القضاء أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم (٢)،وعرضت على أبى يوسف قضية الخصم فيها أمير المؤمنين الهادى فى بستان ،" وكان الحكم فى الظاهر للهادى وفى الباطن خلاف ذلك فقال الهادى للقاضى ابى يوسف : ماصنعت فى الأمر الذى نتنازع اليك فيه ؟ فقال خصم أمير المؤمنين يسالنى أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق ،فقال له الهادى : وترى ذلك ؟ قال : فقد كان ابن أبى ليلى يراه ،فقال : أردد البستان عليه ،وانما احتال عليه لعلمه أن الهادى لايحلف " (٣).

ونرى هنا استمرارا للسياسة التى وضعها المنصور فى القضاء ،فالخليفة مع علو منصبه الا أنه ليس له حصانة تمنعه من المثول امام القضاء ، فالحاكم فى الاسلام واحد من الرعية يكون مدعى ومدعى عليه ،لأن الناس سواسية لافرق بين حاكم ومحكوم الا بالتقوى .

---

(١) الشيخ محمد الخضرى ،محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ص ٩٤ .

(٢) وكيع ،مصدر سابق ،ج ٣ ،ص ٢٥٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١٠ ،ص ١٨٠ .

(٣) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ٦ ،ص ٣٨٤ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ١٨١ ، المكى ، المناقب ،ص ١٢٨ .

وانقضى عهد الهادى الذى لم يستمر طويلا ،وتولى الرشيد الخلافة (١٧٠- ١٩٣هـ/٧٨٦- ٨٠٨م) وظلت السياسة الرشيدة السابقة مع مزيد من الاصلاح والتطور ،وظهر منصب قاضى القضاة لأول مرة فى الدولة الاسلامية ،وتولى هذا المنصب للرشيد القاضى أبو يوسف ،" وهو أول من لقب بقاضى القضاة "(١).

" وكان يقال له قاضى قضاة الدنيا ،لأنه كان يستنيب فى سائر الأقاليم التى يحكم فيها الخليفة "(٢).

ويعتبر منصب قاضى القضاة ،" من أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدرا وأجلها رتبة " (٣).

" والقاضى أبو يوسف هو صاحب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ،كان فقيها عالما حافظا "(٤) . وكان يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه ولم يكن فى أصحاب ابى حنيفة مثله "(٥).

وكان من المقربين الى الخليفة هارون الرشيد (٦)،وكان يكرمه

---

(١) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،جـ ١٤ ،ص ٢٤٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ،جـ ١٠ ،ص ١٨٠ ، ابن العماد الحنبلى ،شذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ ، الذهبى ، العبر ،جـ ١ ،ص ٢٨٤ ، ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،جـ ٦، ص ٣٧٩ .

(٢) الكتانى ، التراتيب الادارية ،جـ ١ ،ص ٢٦٣ .

(٣) القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ ٤ ،ص ٣٥ .

(٤) ابن خلكان ،مصدر سابق ،جـ ٦ ،ص ٣٧٩ .

(٥) ابن العماد الحنبلى ،شذرات الذهب ،جـ ١ ،ص ٢٩٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،جـ ٢ ،ص ١٨ .

(٦) كان سبب اتصاله بالرشيد أنه قدم بغداد بعد موت أبى حنيفة فحنث بعض القواد فى يمين فطلب فقيها يستفتيه فيه فجئ بأبى يوسف فأفتاه أنه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه واتصل به فدخل القائد يوما الى الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال : شئ من أمر الدين قد أحزننى فاطلب لى فقيها أستفتيه فجاءه بأبى يوسف فقال أبو يوسف فلما دخلت الى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا أثر الملك عليه وهو فى حجرة من الممر محبوس فأوما الى بأصبعه مستغيثا فلم أفهم عنه ارادته وأدخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لى : ما اسمك ؟ قلت يعقوب أصلح ==

ويجله [1]. وكان قويا فى الحق ،وبلغت منزلته عند الرشيد الى درجة أنه كان " يبلغ دار الخلافة راكبا بغلته والرشيد يبدأ بالسلام حتى رد شهادة بعض قواده ،فشكاه فسأله الرشيد فقال سمعته يقول أنا عبد الخليفة فان كان صادقا فلا شهادة له ،وان كان كاذبا فشهادته مردودة "[2]

لقد كانت مهمة قاض القضاة عسيرة ومتشعبة ،وقد قام بها أبو يوسف خير قيام ،وقد اتسعت مهامه لتشمل " الفصل فى تركات الارث وأموال الأيتام والنظر فى العقود من المناكح ،والبيوع والولاية على الأيامى فى عقود مناكحهن لأكفائهن عند عدم وجود أولياء لهن ،والولاية على المحجور لصغر أو جنون ،اذا عدم أوليات النسب ،والحكم بنفقات الأقارب والزوجات والنظر فى الوقوف والوصايا ،ان لم يكن فيها ناظر يتولاها ،واقامة الحدود على

== الله أمير المؤمنين ،قال : ماتقول فى امام شاهد رجلا يزنى هل يحده ؟ قلت لا يجب ذلك قال فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لى أنه قد رأى بعض أولاده الذكور على ذلك وأن الذى أشار على بالاستغاثة هو الابن الزانى ،قال : ثم رفع رأسه فقال ومن أين قلت هذا؟ قلت لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إدرؤوا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال وأى شبهة مع المعاينة ؟ قلت : لاتجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحكم فى الحدود لايكون بالعلم . قال ولم ؟ قلت : لأن الحد حق الله تعالى والامام مأمور بقيام الحق فكأنه قد صار حقا له وليس لأحد أخذ حقه بعلمه ولاتناوله بيده ،وقد أجمع المسلمون على وقوع الحد بالاقرار والبينة ولم يجمعوا على ايقاعه بالعلم . قال فسجد مرة أخرى وأمر لى بمال جليل ورزق فى الفقهاء فى كل شهر وأن ألزم الدار . قال : فما خرجت حتى جاءتنى هدية الفتى وخدية أمه فحصل لى من ذلك ماصار أصلا للنعمة وأضيف رزق الخليفة الى ماكان يجريه على ذلك القائد ولزمت الدار . وكان هذا الخادم يستفتينى وهذا يشاورنى فأفتى وأشير فصارت لى مكنة منهم وحرمة بهم وصلات تصل الى وحالتى تقوى ،ثم استدعانى الخليفة وطاولنى واستفتانى فى خواص أمره وأنس بى فلم تزل حالى تقوى معه حتى قلدنى القضاء .

أنظر التنوخى ،نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ،جـ ١ ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ،ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ ٦ ،ص ٢٨١ .

(١) ابن خلكان ، المصدر السابق ،ص ٣٧٩ .

(٢) أحمد بن الموفق المكى ،مناقب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، ص ١٢٠.

مستحقيها من اقامة حد القذف بالزنا والقصاص في الجنايات على النفوس " (١).

ومن التطورات الأخرى التى طرأت على القضاء فى زمن الرشيد ، أن قاضيه على مصر العمرى ،والذى تولى قضاء مصر سنة ١٨٥هـ/٨٠١م ، اتخذ الشهود " وجعل أسماءهم فى كتاب ،وهو أول من فعل ذلك ،ودونهم وأسقط سائر الناس، ثم فعلت القضاة ذلك من بعده حتى اليوم "(٢).

أما فى عصر المأمون فقد تولى قضاء القضاء يحى بن أكثم ،وكان قبل ذلك قاضيا على البصرة فى سنة اثنتين ومائتين "(٣). ولما ولى قضاء البصرة استصغره أهلها ،فقالوا كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغر فقال : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح ،وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن ،وأنا أكبر من كعب بن سور الذى وجهه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاضيا على أهل البصرة "(٤).

وروى عنه الخطيب " بأنه كان سليما • من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة "(٥).

وقد تصدى للخليفة المأمون عندما أراد أن يحلل نكاح المتعة ، ونهاه عن ذلك ورده الى الصواب (٦).

وقد خاصم رجل الخليفة المأمون مرة الى قاضيه يحى بن أكثم وقال له " أقض بيننا • قال : فى حكم وقضية • قال : نعم • قال : لا أفعل • قال :

---

(١) د • سلامة الهرفى ،القضاء فى الدولة الاسلامية ،جـ ٢ ،ص ٦٥٨ •
(٢) الكندى ،مصدر سابق ،ص ٣٩٤ •
(٣) وكيع ،أخبار القضاة ،جـ ٢ ،ص ١٦١ •
(٤) الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،جـ ١٤ ،ص ١٩٩ •
(٥) نفس المصدر ،ص ١٩٧ •
(٦) انظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،جـ ٦ ،ص ١٤٩ — ١٥٠ •

ولم ؟ قال : لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائى . فان كانت له دعوى فليأت مجلس الحكم . قال الخليفة : قد فعلت . قال : فانى أبدأ بالعامة ليصح المجلس للقضاء . قال الخليفة : أفعل . ففتح الباب وقعد فى ناحية من الدار وأذن للعامة ونادى المنادى وأخذ الرقاع ودعا بالناس، ثم دعا الرجل المتظلم ،فقال له يحى : ماتقول ؟ قال الرجل : أقول ان تدعو بخصمى أمير المؤمنين (المأمون) فنادى المنادى ،فاذا بالمأمون قد خرج فى رداء وقميص وسروال فى نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف أمام القاضى يحى بن أكثم . ويحى جالس فى مكانه .

فقال المأمون : اجلس . فطرح الغلام المصلى ليقعد عليه الخليفة . فمنعه القاضى حتى جاء بمصلى مثله فبسط للخصم وجلس عليه وقضى بينهما ...."(١).

ولما ولى المعتصم الخلافة (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣ - ٨٤١م) " عزل يحى بن أكثم عن قضاء القضاة ،وولى مكانه أحمد بن أبى دوّاد الذى خص به ،حتى كان لايفعل فعلا ظاهرا ولاباطنا الا برأيه ،وامتحن أحمد بن دوّاد الامام أحمد ابن حنبل بالقول بخلق القرآن الكريم "(٢).

وبلغت منزلة أحمد بن أبى دوّاد لدى المعتصم درجة كبيرة ،قال عنه ابن خلكان : " مارأيت أحدا قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبى دوّاد،وكان يسأل الشئ اليسير فيمتنع منه ،ثم يدخل ابن أبى دوّاد فيكلمه فى أهله ، وفى أهل الثغور ،وفى الحرمين ،وفى أقاصى أهل المشرق والمغرب فيجيبه الى كل مايريده "(٣).

---

(١) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ٤٩٩ ،وأنظر الابشيهى ، المستطرف، ج ١ ،ص ١٥٢ .

(٢) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج ١ ،ص ٨٤ .

(٣) نفس المصدر ،ص ٨٣ .

أرزاق القضـــــــاة :

تفاوتت أرزاق القضاة فى العصر العباسى الأول بين عصر كل خليفـــة وآخر ، الا أن رزق القاضى فى الغالب كان كبيرا ،فقد بلغ رزق عبد الله بـن لهيعة الذى ولى القضاء على مصر فى سنة ١٥٥هـ/٧٧١م ثلاثين دينارا فى كـــل شهـــر (١).

أما المفضل بن فضاله قاضى مصر من قبل المهدى فقد بلغ رزقه ثلاثيـن دينارا فى كل شهر ايضا ،وكان يأخذ عسلا بدل عشرة منها "(٢).

وروى وكيع أن عبد الله بن طاهر والى مصر زمن المأمون رزق قاضيهـا عيسى بن المتكدر أربعة آلاف درهم "(٣).

وروى البيهقى أن المأمون قال : ولينا رجلا قضاء الأبلة وأجرينـــا عليه فى الشهر ألف درهم ،وولينا رجلا آخر قضاء دمشق ،وأجرينا عليه الــف درهم فى الشهر (٤).

وبلغ رزق قاضى المأمون على مصر الفصل بن غانم الذى ولى القضـــاء سنة ١٩٨هـ/٨١٣م مائة وثمانية وستين دينارا فى كل شهر (٥).

هذه نماذج من أرزاق القضاء فى هذا العصر أوردناها على سبيـــــل المثال لا الحصر ،لنقف على رواتب القضاة فى هذا العصر ،ونلاحظ أن رواتــب القضاة فى عصر المؤمون كانت كبيرة ،كما كانت فى السابق ،بل وزادت عمـــا كانت عليه فى العصر الاموى .

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة ،ص ٣٦٩ .
(٢) نفس المصدر ،ص ٣٧٧ – ٣٧٨ .
(٣) وكيع ، أخبار القضاة ،ج ٣ ،ص ٢٤٠ ، الكندى ، المصدر السابق ،ص ٤٣٥ .
(٤) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ١٥١ .
(٥) الكندى ، المصدر السابق ،ص ٤٢١ .

وكان قصد الخلفاء من هذه الارزاق الكبيرة ،سد حاجة القضاة في المقام الأول ،والحيلولة بينهم وبين التطلع الى مافى يد الخصوم وأخذ أموال الرعية بغير حق .

وخلاصة القول عن القضاء فى هذا العصر ،أنه طرأ عليه تطور كبير عما كان فى العصر الأموى ،فمن التطورات التى أحدثت فى هذا العصر :

(أ) اتخاذ الأمناء واجراء الارزاق عليهم ،وقبض الوقف وادخال الأمناء على الأوصياء ،وتنظيم السجلات وتسجيل الدعاوى [١].

(ب) كان يضاف الى القاضى أحيانا فى هذا العصر ولاية الشرطة والمظالم ، والقصاص والحسبة ،وسك النقود وبيت المال ،بل كان يضاف اليه فى بعض الأوقات قيادة الجيوش [٢].

(ج) وأضيفت الى سلطة القضاة أيضا ماذكرناه عند الحديث عن التطورات التى أدخلت على القضاء عبر عصور الخلفاء المختلفة ، التماس هلال شهر رمضان ،ورعاية أموال الأوقاف والأيتام ،والنظر فى الأنهار ، والخراج والصدقات .

(د) ايجاد جماعة من الشهود الدائمين .

(هـ) ظهور منصب قاضى القضاة لأول مرة فى الدولة الاسلامية ،حيث لم يكن موجودا من قبل ،وهو بمثابة وزير العدل فى عصرنا الحاضر ،مما يدلنا على التطور الادارى الكبير الذى طرأ على نظام القضاء فى هذا العصر ،مما استدعى انشاء هذا المنصب .

(و) ظهور زى موحد للقضاة ،واتخاذهم القلانس الطوال حتى فى شدة القيظ.[٣]

(ز) أما المقضى به : فقد ظل الحال على ماكان عليه فى العهود السابقة من حيث رجوع القضاة الى الكتاب والسنة والاجتهاد فى الأحكام التى

---

(١) وكيع ،أخبار القضاة ،جـ ٢ ،ص ٥٨ .

(٢) د . ابراهيم نجيب ، القضاء فى الاسلام ،مرجع سابق ،ص ٦٢ .

(٣) الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،تحقيق وشرح عبد السلام هارون ،مطبعة دار التأليف مصر ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ،جـ ٣ ، ص ١١٧ .

يصدرونها ،غير أن الحركة العلمية فى هذا العصر قد اتسع نطاقهـا ، وأخذ العلماء يبحثون فى آيات الأحكام وأحاديث الأحكام ،لاستخراج واستنباط مايتلاءم مع مستحدثات ذلك العهد ،فقد دخل فى الاسلام أمم كثيرة مختلفة الأجناس والعادات ،وحدثت أمور لم تكن فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ،ونقلت الى العربية جميع الكتب العلمية التى ورثتها هذه الأمم عن حضارتها القديمة وأصبح واجبا على علماء المسلمين أن يستنبطوا لكل حادثة مايتناسب معها من الأحكام ،بحيث تتفق هذه الأحكام مع قواعد الاسلام الكلية .."(١).

ان ولاية القضاء من الولايات الجليلة التى أولاها خلفاء بنى العباس عناية كبيرة ونجحوا نجاحا فائقا فى تنظيمه وترتيبه ووضع أسس سليمة تتمشى مع الشريعة الاسلامية وفقا للتطور الذى طرأ على الدولة الاسلامية .

ان الحضارة الاسلامية مدينة للعباسيين الأوائل بشكل كبير بما أدخلوه من تنظيمات رائعة على القضاء تفيأت ظلاله أجيال المسلمين من عدل واستقرار وطمأنينة نفس وأمن فانصرف الناس الى معايشهم آمنين وازدهرت الحياة وأينعت ثمارها وأنتجت عقول المسلمين فى ذلك العصر من العلوم والمعارف مالم تصل اليه أمة من الأمم وأطلق عليه بحق العصر الذهبى للدولة الاسلامية .

---

(١) د . ابراهيم نجيب ، المرجع السابق ،ص ٦٤ .

الفصل الثانى

الحسبة فى العصر العباسى الاول

نظـــام الحسبـــة

من الولايات التى اشتمل عليها نظام الحكم فى الاسلام ،ولاية الحسبة . وهى لغة : مصدر احتسابك الأجر ،تقول فعلته حسبة وأحتسب فيه احتسابا ، والاسم الحسبة بالكسر وهو الأجر (١).

واصطلاحا : عرفها الماوردى بقوله :" هى أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله " (٢).

وعرفها ابن خلدون بقوله : " أما الحسبة فهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك ممن يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه " (٣).

وذهب الشيزرى الى هذين التعريفين أيضا حيث عرف الحسبة :" بأنها أمر بمعروف ونهى عن منكر واصلاح بين الناس "(٤).

الأصل التاريخى للحسبـة :

حث القرآن الكريم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كثير من آياته ،حيث قال تعالى فى محكم التنزيل : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون "(٥).

وقال تعالى : " كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " (٦).

---

(١) ابن منظور ،لسان العرب ،ج ١ ،ص ٣٠٥ .
(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٢٤٠ .
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٥٥ .
(٤) الشيزرى ،عبد الرحمن بن نصر ،نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ،تحقيق ومراجعة الدكتور السيد الباز العرينى ،دار الثقافة (بيروت، لبنان) ،ص ٢٥٥ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .
(٦) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

وقال جل شأنه : " لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما " (١).

وقال صلى الله عليه وسلم : "لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم "(٢).

ولقد كان صلى الله عليه وسلم أول محتسب فى الاسلام ،فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : ماهذا ياصاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يارسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ،من غش فليس منى (٣).

وقد أوكل صلى الله عليه وسلم أمر الحسبة الى بعض أصحابه فى بعض الأحيان ،فقد عقد الكتانى فى التراتيب الادارية فصلا فيمن ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر السوق ،حيث استعمل سعيد بن العاص على سوق مكة بعد الفتح واستعمل عمر على سوق المدينة (٤).

أما فى عهد الخلفاء الراشدين ،فقد اشتهر منهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى صنع درة لضرب المخالفين ،فقد جاء فى كنز العمال (٥) أن عمر رضى الله عنه كان يضرب التجار بالدرة اذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا السكك ،ويقول : لاتقطعوا علينا سابلتنا . وضرب عمر رضى الله عنه حمالا وقال له : حملت جملك مالا يطيق (٦).

---

(١) سورة النساء ،الآية (١١٤) .
(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده ٣٩٠/٥ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ،ج ٢ ،ص ١٠٩ .
(٤) انظر الكتانى ،التراتيب الادارية ،ج ٢ ،ص ٢٨٧ .
(٥) علاء الدين الهندى ،كنز العمال ،ج ٣ ،ص ١٧٦ .
(٦) نفس المصدر ،ج ٩ ،ص ١١٣ .

وكان لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه درة أيضا كما كان لسيدنا على درة [1].

هذه أمثلة وشواهد من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين، قصدت بها توضيح الأصل التاريخى للحسبة، ولا أود الدخول فى مناقشة ماذهب اليه بعض المحدثين [2] فى أن أصل الحسبة بيزنطى، وأن المسلمين قد اقتبسوا هذا النظام منهم، لأن ذلك أمر مفروغ منه، طالما أن القرآن الكريم والسنة المطهرة قد أشارا اليه ولانحتاج الى دليل آخر .

ولكن التسمية " الحسبة" لم تظهر الا فى العصر العباسى الأول، حيث ظهرت مؤسسة الحسبة ، كجهاز رقابى له نظمه وقوانينه ورجاله فى الدولة، وكولاية من الولايات، ولكن العبرة بالتطبيق الفعلى الذى أشرنا اليه آنفا، أما مسألة تنظيمها بالكيفية التى كانت عليها فى العصر العباسى الاول، والعصور التالية له، فهو أمر اقتضته الضرورة، نتيجة للتطورات التى حدثت فى المجتمع الاسلامى، ولاتساع الدولة ونمو العديد من المدن الجديدة، التى كانت تتطلب تنظيما دقيقا، ورقابة معينة، بالاضافة الى أنها ولاية دينية لايمكن الاستغناء عنها، شأنها شأن القضاء والشرطة وغيرهما من الولايات الجزئية ، التى تتفرع عن الولاية العامة التى يتولاها الامام .

وقد تطور نظام الحسبة فى العصر العباسى الأول تطورا كبيرا تبعا لتطور ونمو العديد من المدن، كبغداد حاضرة العباسيين، والرصافة، وسامراء وغيرها من المدن التى أنشأها العباسيون .

وكان بهذه المدن أسواق ومرافق تتطلب المراقبة الدائمة لها من قبل السلطات، وكان طبيعيا أن يكون للمحتسب دور فعال فى ذلك .

---

(١) الكتانى ، التراتيب الادارية ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٢) انظر د . نقولا زيادة ، الحسبة والمحتسب فى الاسلام ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٦٢م ، ص ٢١ ومابعدها .

ولاتمدنا المصادر التاريخية كالطبرى مثلا بمعلومات مفصلة ووافية عن الحسبة والمحتسبين ، الا أننا نجد فى ثناياها مايشير الى تولى بعض المحتسبين لأعمال الحسبة مما يفيدنا فى أن التسمية (الحسبة) ظهرت فى هذا العصر .

ذكر الطبرى أن المنصور ولى رجلا يقال له أبو زكرياء يحى بن عبد الله على حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة .... وكان المنصور يتبع من خرج مع محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن حسن وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ،فشغبوا واجتمعوا فأرسل اليهم المنصور أبا العباس الطوسى فسكنهم ،وأخذ أبا زكرياء فحبسه عنده ،فأمر أبو جعفر بقتله "(١).

وذكر ابن كثير أن رجلا تعرض للمنصور وهو يخطب ويثنى عز وجل فقال له اتق الله فولاه الحسبة والمظالم (٢).

ويفهم من نص الطبرى أن ولاية الحسبة كانت قائمة وأن المنصور كان يعين المحتسبين من قبله ويعضد ماذكره الطبرى رواية ابن كثير التى تشير الى أن المنصور ولى هذا الرجل على الحسبة ،مما يدل على أن تسمية الحسبة ظهرت فى هذا العصر .

على أن ذلك كان لايمنع الخليفة من القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،فقد كان المنصور أول نهاره يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر "(٣).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص ٦٥٣ - ٦٥٤ ،وانظر الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد ،ج ١ ،ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج ١٠ ،ص ١٢٣ ،قال ابن كثير خطب المنصور يوما فاعترضه رجل وهو يثنى على الله عز وجل ،فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذاكره ،واتق الله فيما تأتيه وتذره . فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل ،فقال أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه " واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم " واستمر فى خطبته كأنما يقرأها من كتاب وعرض على الرجل الذى وعظه المال والدنيا فمال الى ذلك فولاه المنصور الحسبة اختيارا له فلما دخل على المنصور قال له ويحك لو كنت مريدا لوجه الله كما قلت على رؤوس الناس لما قبلت بهذا ، ج ١٠،ص ١٢٣ .

(٣) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص

وأشار ابن سعد فى كتاب الطبقات الى أن عاصم بن سليمان الأحول . من موالى بنى تميم كان على الحسبة فى الموازين والمكاييل (٢).

أما فى عصر المهدى فقد ظهرت حركة الزنادقة واستفحل أمرها فبعث اليهم المهدى بعبد الجبار المحتسب الذى أتى بهم فقتل جماعة منهم وصلبهم وأتى بكتب من كتبهم وقطعها بالسكاكين (٣).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن رواية الطبرى هذه ،لايمكن أن تؤخذ دليلا مؤكدا على أن عبد الجبار صاحب الزنادقة كان محتسبا فلربما كان ذلك لقبا لعائلته (٤).

ومهما يكن من شئ فان لفظ المحتسب قد ورد مرادفا لعبد الجبار هذا ،وأن ماقام به من عمل كتقطيع الكتب بالسكاكين يجعلنا نرجح أن عبد الجبار كان محتسبا ،وأن لفظ المحتسب ليس لقبا لعائلته .

وكان الخليفة هو الذى يقوم بتولية المحتسبين ،الا أن ذلك لم يمنع بعض الناس من القيام بهذا الواجب دون أن يوكل اليهم ،فحينما اشتعلت الفتنة بين الأمين ،والمأمون وقتل الأمين واضطربت الأوضاع فى الدولة " تجردت المتطوعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" (٥) ،وذلك أن فساق

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج ٧ ،ص ٢٥٦ ،ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ٢١ .
(٢) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،ج ٨ ،ص ١٤٨ .
(٣) رشاد معتوق ،نظام الحسبة فى العراق حتى عصر المأمون ،ص ١٠٦ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ١٨٢ .

الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديدا ، وأظهروا الفسق وقطع الطريق ،وأخذ النساء والغلمان علانية من الطرق ، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل ،فيأخذون ابنه فيذهبون به فلايقدر ان يمتنع ،وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ،فيكاثرون أهلها ،ويأخذون ماقدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك ،لاسلطان يمنعهم ولايقدر أحد على ذلك " (١).

" فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش ،فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلته أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،فأجابوه الى ذلك ،وشد على من يليه من الفساق والشطار ،فمنعهم مما كانوا يصنعون ،فامتنعوا عليه ،وأرادوا قتاله ،فقاتلهم فهزمهم وأخذ بعضهم ،فضربهم وحبسهم ورفعهم الى السلطان .... ثم قام من بعده رجل من أهل الحربية يقال له سهل بن سلامة الأنصارى من أهل خراسان ،يكنى أبا حاتم، فدعا الناس الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،والعمل بكتاب الله جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،وعلق مصحفا فى عنقه ،ثم بدأ بجيرانه وأهل محلته ،فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه ،ثم دعا الناس جميعا الى ذلك " (٢).

وقد بلغ المأمون أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدل عليه . فلما صار بين يديه قال : بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك ـ وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة ،فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به ،فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ماشئت ،فلم يفهم المأمون مراده ،فقال ماذا تقول ؟ حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم ـ فقال: اما رفعت او أذنت لى حتى أرفع . فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٥٥٢ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢) الطبرى،ج٨ ،ص٥٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ١٨٣ .

وقبله وخجل . ثم عاد وقال : لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا ونحن الذين قال الله تعالى فيهم " الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر "[1] فقال : صدقت ياأمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياءك فيه . ولاينكر ذلك الا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،قال الله تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف "[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[3]،وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتهما . وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذى اليه أمرك وبيده عزك قد شرط أنه لايضيع اجر من أحسن عملا فقل الآن ماشئت ،فأعجب المامون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف ،فامض على ماكنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك .[4]

لاشك أن هذا المحتسب كان يستشعر مسئوليته أمام الله عز وجل ،ولذلك لم يخش الخليفة وبلغه ماكات يريده ويبدو أن المامون قد أراد أن يمتحن هذا الرجل ليرى مدى صدقه وعزمه ،فلما جاءت اجابته قوية صادقة أعجب به وولاه أمر الحسبة .

وكما ذكرت من قبل فان الاشارة الى الحسبة فى مصادرنا التاريخية التى أرخت لهذه الفترة قليلة ،الا أن الفقهاء قد أفاضوا فى الحديث عن الحسبة ،وآدابها ،وأركانها ،والمحتسب ،وشروط توليه لأمر الحسبه ، وأرى لزاما على أن أتحدث عن هذه الأمور التى ذكرها الفقهاء حتى تكتمل الصورة فى أذهاننا .

---

(١) الآية ٤١ من سورة الحج .
(٢) الآية ٧١ من سورة التوبة .
(٣) متفق عليه ، البخارى مع فتح البارى ٥٦٥/١،مسلم ١٩٩٩/٤ .
(٤) الامام ابو حامد الغزالى ،احياء علوم الدين . دار المعرفة للطبع والنشر ،(بيروت ــ لبنان) ،ج ٢ ،ص ٣١٧ .

أركـــان الحسبـــة :

حدد الامام الغزالى الحسبة بأربعة أركان " المحتسب ،والمحتسب عليه ،والمحتسب فيه ،نفس الاحتساب "[١].

أما المحتسب فهو " من يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتحدث فى أمر المكاييل والموازين ونحوهما "[٢].

وأما شروطه ،فهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا ،مؤمنا عدلا [٣] وأضاف الماوردى شرط الحرية وأن يكون ذا رأى وصرامة وخشونة فى الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة "[٤].

ثانيا : المحتسب عليه : وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ،وأقل مايكفى فى ذلك أن يكون انسانا ولايشترط كونه مكلفا ،اذ أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ [٥].

ثالثا : المحتسب فيه : " وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد " [٦].

رابعا : الاحتساب وله درجات فأولها التعرف ،ثم التعريف ،ثم النهى ، ثم الوعظ والنصح ،ثم السب والتعنيف ،ثم التغيير باليد ،ثم التهديد بالضرب ،ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ،ثم شهر السلاح ،ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود [٧].

---

(١) المصدر السابق ،ص ٣١٢ ومابعدها .

(٢) القلقشندى ،صبح الأعشى ،ج ٥ ،ص ٤٥٢ .

(٣) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٣١٢ .

(٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٢٤١ .

(٥) الغزالى ، احياء علوم الدين ،ج ٢ ،ص ٣٢٧ .

(٦) المصدر نفسه ،ص ٣٢٤ .

(٧) المصدر نفسه ،ص ٣٣١ .

أعمـــال المحتسب :

قسم الماوردى أعمال المحتسب الى قسمين :

(١) أمـــر بالمعروف .

(٢) نهى عن المنـــكر .

فأما الأمر بالمعروف فينقسم الى ثلاثة أقسام : أحدها مايتعلق بحقوق الله تعالى ، والثانى مايتعلق بحقوق الآدميين ، والثالث مايكون مشتركا بينهما (١).

ويمكننا أن نلخص هذه الحقوق فى النقاط التالية :

(١) الأمر بصلاة الجمعة والجماعة فى المساجد واقامة الآذان فيها للصلوات.

(٢) اذا تعطل شرب بلد أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذوى الحاجات فكفوا عن معونتهم فللمحتسب أن يأمر باصطلاح الشرب أو بناء السور أو اعانة بنى السبيل من ذوى الحاجات من بيت مال المسلمين .

(٣) للمحتسب أن يأمر بأداء الحقوق اذا مطلت والديون اذا أخرت اذا استعداه أصحاب الحقوق وليس له أن يحبس بها لأن الحبس حكم .

(٤) أخذ الأولياء بنكاح الأيامى أكفائهن اذا طلبن والزام النساء أحكام العدد اذا فورقن وله تأديب من خالف فى العدة من النساء وليس له تأديب من امتنع من الأولياء .

(٥) اثبات الابوه لمن نفى ولدا ثبت أنه له وأخذ السادة بحقوق العبيد والاماء وأن لايكلفوا من الأعمال مالا يطيقون وأخذ أرباب البهائم بعلوفتها اذا قصروا ولايحملوها مالا تطيق .

وغير ذلك من الحقوق الأخرى التى تتعلق بالله تعالى أو الآدميين أو الحقوق المشتركة بينهما .

---

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٣ ومابعدها .

وقسم الماوردى النهى عن المنكر أيضا الى حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين وماكان مشتركا بين الحقين [١].

ونلخص هذه الحقوق اجمالا فى الآتى :

- النهى فى حقوق الله تعالى : ماكان متعلقا بالعبادات كالقاصد مخالفة هيئاتها المشروعة والمتعمد تغيير أوصافها المسنونة مثل من يقصد الجهر فى صلاة الاسرار ، أو غير ذلك فللمحتسب انكارها وتأديب المعاند فيها . واذا رأى مفطرا فى نهار رمضان له أن يسأله عن السبب فان كان من أصحاب الاعذار أمره باخفاء فطره لئلا يعرض نفسه للتهمة وان لم يكن بعذر جاهر بالانكار عليه وروعه وأدبه وزجره .
- للمحتسب ان يمنع الناس من الوقوف فى مواقف الريب والتهم .
- منع الناس من المعاملات المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة .
- منع الجار من التعدى على حقوق جاره اذا استعدى فى ذلك .
- مراقبة أصحاب الصنائع فى الاسواق .
- المنع من الاشراف على منازل الناس والانكار على الأئمة الذين يطيلون الصلاة بالناس حتى يعجز الضعفاء وينقطع ذوو الحاجات .
- الانكار على أرباب المواشى الذين يستخدمونها على الدوام فيما لاتطيق ، ومنع أصحاب السفن من حمل مالاتسعه ويخاف منه غرقها ، وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح .

وقد أورد الماوردى أمثلة عديدة على هذه الحقوق وقد ذكرتها هنا أجمالا وقد تكون هناك حقوق أخرى كثيرة لم يتطرق لذكرها فالحوادث كثيرة ومستجدة ، ومايحدث فى عصر قد لايتكرر فى عصر آخر .

ان الحسبة ولاية جليلة عظيمة ، عملت على المحافظة على طهارة ونقاء المجتمع الاسلامى عبر عصوره المختلفة ، وقد تطورت حتى شملت معظم أوجه

---

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٧ ومابعدها .

الحياة التى تتعلق بتنظيم المجتمع الاسلامى واستقراره ،فى العصر العباسى الأول ،مع عدم تدخل المحتسب فى الاختصاصات الأخرى التى لاتعنيه ،ولذلك فقد ظلت المجتمعات الاسلامية فى ظل هذه الولاية نقية طاهرة ،ولما ضعفت هذه الولاية شاع الانحلال والتفكك فى أوساطها ،فما أحرانا بالعودة الى ماضينا الزاهر ،لتنعم مجتمعاتنا بما نعم به أسلافنا .

الفصل الثالث

المظالم فى العصر العباسى الاول

ولاية المظـالم فى العصر العبـاسى الاول

تعريف المظالم لغة واصطلاحا :

أولا : المظالم لغة :

جمع مظلمة بكسر اللام – ماتظلمه الرجل – وأراد ظلامه ومظالمتــه اى ظلمه ،والظلم بالضم وضع الشئ في غير موضعه [١].

ثانيا : المظالم اصطلاحا :

عرفها الماوردى بقوله :" قود المتظالمين الى التناصف بالرهبــة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة "[٢].

ولذلك كان من شروط ناظر المظالم " أن يكون جليل القدر ،نافـــذ الأمر ،عظيم الهيبة ،ظاهر العفة ،قليل الطمع كثير الورع "[٣]. وهو منصب قضائى هام تختلط فيه سطوة السلطة ونصفة القضاء [٤].

وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم فى الشرب الـــذى تنازعه الزبير بن العوام رضى الله عنه ورجل من الأنصار فحضره بنفسه فقال للزبير :" اسق أنت يازبير ثم الأنصارى ،فقال الأنصارى : انه لابن عمتــك يارسول الله . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ،وقـــال يازبير أجره على بطنه حتى يبلغ الماء الى الكعبين "[٥]

" ولم يجلس للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين الا عليا رضى اللـــه عنه . على أنه لم يجعل لسماع الظلامات يوما معينا أو ساعة معينة ،بـــل كان ينظر فى شكاية من يأتيه من المتظلمين ويعمل على انصافه "[٦].

---

(١) الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ،ج٤،ص ١٤٥.
(٢) الأحكام السلطانية ،ص ٧٧، أبو يعلى الحنبلى ، الأحكام السلطانية ،ص ٧٣.
(٣) نفس المصدر ،ص ٧٧ .
(٤) ابن خلدون ، المقدمة ،ص ٢٢٢ .
(٥) الماوردى ،ص ٧٧ .
(٦) د . حسن ابراهيم حسن ،وعلى ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ،ص ٢٩٥ .

ولما جاء الأمويون الى الخلافة " كان أول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين عبد الملك بن مروان "(١)،وجلس لها من الأمويين أيضا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، الذى رد جميع مظالم بنى أمية لأهلها (٢).

وكان للمظالم ديوان خاص يعرف بديوان المظالم " وهو بمثابة محكمة استئناف عليا يلجأ اليه المتقاضون اذا اعتقدوا أن القاضى لم يحكم بينهم بالعدل . كما يلجأ اليه المتظلمون من تعدى ذوى الجاه والحسب أى من الولاة أو جباة الأموال أو كتاب الدواوين أو أحد ابناء الخلفاء أو الأفراد أو غيرهم "(٣).

ولاينتظم مجلس ناظر المظالم الا بحضور خمس جماعات لايستطيع الاستغناء عنهم وهؤلاء هم :

أولا : الحماة والأعوان لجذب القوى وتقويم الجرىء .

ثانيا : القضاة والحكام لاستعلام مايثبت عندهم من الحقوق ومعرفة مايجرى فى مجالسهم بين الخصوم .

ثالثا : الفقهاء ليرجع اليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل .

رابعا : الكتاب ليثبتوا ماجرى بين الخصوم وماتوجه لهم أو عليهم من الحقوق .

---

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٧٧ . وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية ، أبو الوليد الأموى أمير المؤمنين،وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية ... وهو أول من سار بالناس فى بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ،وكان أميرا على أهل المدينة ،وله ست عشرة سنة ،ولاه اياها معاوية . وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء . وروى الحديث عن أبيه ،وجابر ،وأبى سعيد الخدرى ،وأبى هريرة ،وابن عمر،ومعاوية ،وأم سلمة وبربرة مولاة عائشة .... بويع له بالخلافة فى سنة خمس وستين فى حياة أبيه .. وكان مولده فى سنة ست وعشرين للهجرة ،ت سنة ٨٦هـ .ابن كثير ، البداية والنهاية ،جـ ٩ ،ص ٦٧ ومابعدها .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ،جـ ٩ ،ص ٢٣٣ ،سبقت الترجمة لعمر بن عبد العزيز .

(٣) أنور الرفاعى ،النظم الاسلامية ،ص ١١٣،د . حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ،ص ٢٩٤ .

خامسا : الشهود ليشهدهم على ما أوجبه من حق وأمضاه من حكم [١].

اختصاصات محكمة المظالم :

حددها الماوردى فى عشرة أقسام :[٢]

(١) النظر فى تعدى الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف فى السيرة •

(٢) النظر فى جور العمال فيما يجبونه من أموال •

(٣) تصفح أحوال كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه •

(٤) تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم •

(٥) رد الغصوب وهى ضربان أحدهما غصوب سلطانية قد تقلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها •
والثانى ماتغلب عليها ذوو الأيدى القوية وتصرفوا فيها تصرف الملاك بالقهر •

(٦) مشارفة الوقوف •

(٧) تنفيذ أحكام القضاة التى عجزوا عن انفاذها لتعزز المحكوم وقوة يده أو لعلو قدره وعظم خطره ،فيكون ناظر المظالم ،أقوى يدا وأنفذ أمرا فينفذ الحكم •

(٨) النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى المصالح العامة ، كالمجاهرة بمنكر ضعف عن دفعه والتعدى فى طريق عجز عن منعه والتخيف من حق لم يقدر رده •

(٩) مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد والحج والجهاد من تقصير فيها واخلال بشروطها فان حقوق الله أولى أن تستوفي وفروضه أحق أن تؤدى •

(١٠) النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ،فلا يخرج فى النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه •

---

(١) الماوردى ،الأحكام السلطانية ،ص ٨٠،أبو يعلى الفراء الحنبلى ، الأحكام السلطانية ،ص ٧٦ •

(٢) الماوردى ،الأحكام السلطانية ،ص ٨٠ ومابعدها ،الفراء الحنبلى ، الأحكام السلطانية ،ص ٧٦،٧٧،٧٨ •

الفرق بين محكمة المظالم والقضاء :

الفرق بين نظر المظالم ونظر القضاء من عشرة أوجه [1]:

(١) أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ماليس للقضاء فى كف الخصوم عن التجاحد ،ومنع الظلمة من التغالب والتجاحد .

(٢) خروج النظر فى المظالم من ضيق الوجوب الى سعة الجواز ،فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا .

(٣) لناظر المظالم أن يستعمل من فضل الارهاب وكشف الأسباب بالأمارات الدالة ،وشواهد الأحوال ،مايضيق على الحكام فيصل به الى ظهور الحق ومعرفة المبطل من المحق .

(٤) له أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب .

(٥) أن له من التأنى فى ترداد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ،ليمعن فى الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ،ماليس للحكام اذا سالهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ،ويسوغ أن يؤخره والى المظالم .

(٦) أن له رد الخصوم اذا أعضلوا وساطة الأمناء ،ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ،وليس للقاضى ذلك الا عن رضى الخصمين بالرد .

(٧) له أن يفسح فى ملازمة الخصمين اذ وضحت أمارات التجاحد ،ويأذن فى الزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل ،لينقاد الخصوم الى التناصف ويعدلوا عن التجاحد الكاذب .

(٨) أنه يسمع من شهادات المستورين مايخرج عن عرف القضاة فى شهادة المعدلين .

(٩) أنه يجوز له احلاف الشهود عند ارتيابه بهم اذا بدلوا أيمانهم طوعا ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك وينفى عنه الارتياب وليس للحاكم ذلك .

---

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٨٣ – ٨٤ ،أبو يعلى الفراء الحنبلى الاحكام السلطانية ،ص ٧٩ .

(١٠) يجوز له أن يبتدىء باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم فى تنازع الخصوم ،وعادة القاضى يكلف المدعى احضار بينة ،ولايسمعه الا بعد مسألته .

ان ولاية المظالم من الولايات الجليلة التى نشأت فى الدولة الاسلامية ،لكى تحفظ لأفراد المجتمع حقوقهم المغتصبة ، التى عجزت السلطة القضائية عن ردها لهم ،لما لخصومهم من مكانة بارزة فى المجتمع أو غير ذلك ،سواء كانوا أمراء أو وزراء أو كبار القواد أو موظفى الدواوين المختلفة أو غيرهم ،ولايستطيع كف هؤلاء عن تعديهم الا الخليفة نفسه أو من ينوب عنه ،فكانت نشأة ولاية المظالم لردع كل من تسول له نفسه بالتعدى على حق الآخرين وايقافهم عند حدهم .

وقد أولى العباسيون النظر فى المظالم عناية كبيرة ،واهتماما بالغا وتشير المصادر الى أن أول من جلس للمظالم من خلفاء بنى العباس ،هو المهدى بن المنصور [1](١٥٨ - ١٦٩هـ) اذ أنه بدأ عهده بالنظر فى المظالم ، وانصاف المظلوم [2].

وليس معنى ذلك أن أسلافه لم ينظروا فى المظالم ،فقد مر بنا فى فصل الخلافة أن المنصور كان مباشرا للأمور بنفسه ،حازما متفقدا لأحوال رعيته ،عالما بما يدور من أحداث فى أقاليم الدولة الاسلامية المختلفة ، ولكن الذى نعنيه هو أن تنظيم ولاية المظالم قد تم فى عصر المهدى .

والحق أن المصادر حفظت لنا شيئا من مباشرة الخليفتين السفاح والمنصور النظر فى المظالم ،وتوقيعاتهم على رقاع المتظلمين ،فقد أثر عن الخليفة السفاح ،أنه وقع على رقعة بعض المتظلمين من أهل الأنبار الذين كتبوا اليه يتظلمون من بعض عماله الذين وكلهم بالبناء فى هذه

---

(١) ابو يعلى الفراء الحنبلى ، الأحكام السلطانية ،ص ٧٥ .
(٢) المسعودى ،مروج الذهب ،جـ ٣ ،ص ٣٨٢ .

المدينة ،فأخذوا منازل هؤلاء المتظلمين وأدخلوها فى البناء دون أن يدفعوا لهم أثمانها ،فوقع السفاح على ظلامتهم بقوله : هذا بناء أس على غير تقوى ،وأمر برد منازلهم اليهم [١].

ويحدثنا المسعودى [٢] عن اهتمام المنصور بأمر الرعية ،لاسيما المظلومين منهم فيذكر : أنه بينما كان المنصور ذات يوم جالسا فى مجلسه اذا بسهم يسقط بين يديه فذعر ذعرا شديدا ،وأخذ يقلبه ... واذا على باب السهم مكتوب همذان فيها رجل مظلوم فى حبسك ،فبعث المنصور من فوره بعض خاصته ليفتشوا السجون ،فوجدوا شيخا موثوقا بالحديد متوجها الى القبلة يردد قوله تعالى : " وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون "[٣]، فسألوه عن بلده فقال : همذان ،فحمل ووضع بين يدى المنصور ،فسأله عن قصته ،فأخبره أنه من أبناء مدينة همذان ،ومن أهل اليسار ،وأن الوالى أراد أن يأخذ منه ضيعته التى يقدر ثمنها بألف ألف درهم ،فامتنع عن القبول ،فكبله بالحديد ،وحمله ،وكتب أنه عاص ،فكان من أمره ما كان ، وظل على ذلك أربع سنوات ،فأمر المنصور ففك الحديد عن الرجل ،وأطلق حبسه وردت اليه ضيعته ،وولاه همذان فشكره الرجل وقال : يا أمير المؤمنين : أما الضيعة فقد قبلتها ،وأما الولاية فلا أصلح لها ،وأما واليك فقد عفوت عنه ، وعاد الرجل مكرما ،وصرف المنصور الوالى وعاقبه على فعلته " .

هاتان الواقعتان اللتان أوردناهما فى عهدى السفاح والمنصور تشيران الى أنهما كانا يجلسان للمظالم .

اذن فان الخليفة المهدى هو الذى نظم أمر المظالم وليس أول من جلس للمظالم من بنى العباس ،فعند توليه الخلافة وحصوله على الخزائن كان أول مابدأ به رد المظالم الى اهلها ،فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه " [٤].

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،جـ ٤ ،ص ٢١١ .
(٢) المسعودى ، المصدر السابق ،٢٩٩/٣ ــ ٣٠٠ .
(٣) الشعراء ، الآيه (٢٢٧) .
(٤) السيوطى ،تاريخ الخلفاء ،ص ٤٣٥ .

وكان يجلس للمظالم فى كل وقت ،فقد روى عنه أنه كان اذا جلس للمظالم قال أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردى للمظالم الا للحياء منهم لكفى (١).

ومن التنظيمات التى أدخلت على هذه الولاية فى عصره " أن أفرد المهدى بيتا له شباك حديد على الطريق تطرح فيه القصص وكان يدخله وحده فيأخذ ما به من القصص أولا فأولا ،فينظر فيه لئلا يقدم بعضها على بعض .(٢)

وقد اتخذ المهدى هذا الاجراء حينما اكتشف أن الشخص الذى كان يقدم قصص المتظلمين قد ارتشى ليقدم بعض القصص على بعضها فى العرض عليه (٣).

وقد أوكل المهدى أول الأمر الى ثوبان أن يعرض عليه رقاع المتظلمين فكان يجلس للناس بالرصافة فاذا ملأ كساءه رقاعا رفعها الى المهدى (٤).

لقد كان المهدى مثالا للعدل وانصاف المظلومين ،فقد روى أنه قدم عليه رجل متظلم فأنصفه"فاستخفه الفرح حتى أغشى عليه ،فلما أفاق قال: ماحسبت أنى أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأيته داخلنى من السرور مازال معه عقلى ،فقال المهدى كان الواجب أن ننصفك فى بلدك ،وكان قد صرف فى نفقة طريقه عشرين دينارا فأمر له بخمسين دينارا وتحلل منه"(٥).

وكان ينظر فى المظالم بنفسه ،وأحيانا يوكل ذلك الى غيره من قضاته، فقد تظلم منه أحد رعيته ،فأوكل الأمر الى أحد قضاته ،ليفصل بينه وبين هذا الرجل ،فيروى الطبرى أن أحد أفراد الرعية - ويدعى مسور بن مساور - قال : ظلمنى وكيل المهدى ،وغصبنى ضيعة لى ،فأتيت سلاما صاحب المظالم

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ١٧٢ ،ابن الاثير ،الكامل، ج ٥ ،ص ٧٢ ،ابن طباطبا ، الفخرى ،ص

(٢) القلقشندى ،صبح الأعشى ،ج ٦ ،ص ٢٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٠٥ .

(٤) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٣٤ .

(٥) القلقشندى ،صبح الأعشى ،ج ٦ ،ص ٢٠٥ .

فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة ،فأوصل الرقعة الى المهدى ،وعنده عمه العباس بن محمد ،وابن علاثة وعافية القاضى . قال : فقال لى المهدى : ادنه فدنوت ،فقال ماتقول ؟ قلت ظلمتنى ،قال : فترضى بأحد هذين ؟ قال : قلت نعم ،قال : فادن منى فدنوت منه حتى التزقت بالفراش ،قال : تكلم ، قلت أصلح الله القاضى ،انه ظلمنى فى ضيعتى هذا . فقال القاضى ماتقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتى وفى يدى ،قال : قلت أصلح الله القاضى ! سله صارت اليه الضيعة قبل الخلافة أو بعدها ! قال : فسأله ماتقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : صارت الى بعد الخلافة . قال : فأطلقها له ،قال : قد فعلت ،فقال العباس بن محمد : والله يا أمير المؤمنين لذا المجلس أحب الى من عشرين ألف درهم "(١).

لقد ضرب المهدى مثالا نادرا ورائعا فى العدالة وانصاف الرعية ولم يتجبر أو يتكبر أو يأمر باخراج الرجل من مجلسه لأنه أساء الى خليفة المسلمين وانما قدم نفسه للعدالة لتجرى مجراها ويأخذ كل ذى حق حقه وضرب القاضى مثالا آخر فى النزاهة والأمانة والعدالة وعدم المحاباة ،فعلى الرغم من أن هذا خليفة المسلمين ،وأنه كان معه فى مجلسه قبل دخول المتظلم عليه ،الا أنه لم تأخذه فى الله لومة لائم فيميل الى الخليفة. كلا لم يفعل ذلك ،الا أنه نظر اليه – مع احترامه له كخليفة للمسلمين – نظر اليه كخصم ولا بد أن يعود الحق الى أهله وجاء حكمه فى نهاية الأمر لصالح الرجل المتظلم . لم يحاب ولم يجامل الخليفة .

ولقد نعمت الرعية بعدل خلفائها فعاشت فى طمأنينة وسؤدد وسلام ،وها هو أحد أفرادها يسترد حقه من الخليفة ويدلى بحجته دون خوف أو وجل ، وهذا المثال يذكرنا بعهد الراشدين حينما اختصم الخليفة على بن أبى طالب مع يهودى فى درع ،ولما لم تكن له البينة الكافية حكم القاضى لصالح اليهودى .

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ١٧٣ – ١٧٤، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ٧٢ ، الازدى ،تاريخ الموصل ،ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

ويروى عن المهدى أيضا أنه جلس للمظالم فتقدم اليه رجل من آل الزبير – بن العوام – فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض خلفاء بنى أمية فأمر أبا عبيد الله – معاوية بن يسار – أن يخرج ذكرها من الديوان العتيق [١] ففعل ،فقرأ ذكرها على المهدى ،وكان ذلك أنها عرضت على عدة منهم لم يروا ردها منهم عمر بن عبد العزيز ،فقال المهدى : هذا عمر بن عبد العزيز ،وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم ير ردها ،قال : وكل أفعال عمر ترضى . وأخذ الرجل يحاجه حتى رد عليه ضيعته [٢].

لقد كان المهدى حليما كريما سمحا ،ولذلك فقد أمنه الناس وأحبوه ، لأنه أعاد كثيرا من الحقوق الى أهلها ،بفضل السياسة الحكيمة التى انتهجها ،فى ادارة الرعية .

وجلس للمظالم من خلفاء بنى العباس أيضا الهادى بن المهدى ١٦٩–١٧٠هـ ٧٨٥– ٧٨٦م ،فقد روى الجهشيارى : " أنه بينما كان ذات يوم جالسا للنظر فى المظالم وعمارة بن حمزة [٣] بحضرته ،وثب رجل وتظلم من عمارة بن حمزة فى ضيعة من الضياع ،فقال الهادى ماتقول فيما ادعاه الرجل ؟ فقال: ان كانت الضيعة لى فهى له وان كانت له فهى له "[٤].

ويبدوا أن معظم النزاع فى المظالم كان يختص بالضياع ،وهذه الواقعة تشير الى أن الهادى كان يجلس للمظالم وعلى الرغم من قصر خلافته الا أن التاريخ حفظ لنا أمثلة تدلنا على جلوسه للمظالم .

---

(١) يبدو أنه الديوان الذى توضع فيه رقاع المتظلمين .
(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،جـ ٨ ،ص ١٧٦ – ١٧٧ .
(٣) عمارة بن حمزة بن ميمون مولى بنى هاشم الكاتب الأديب ،أحد بلغاء زمانه، من أولاد عكرمة مولى ابن عباس وكان كاتب المنصور . وكان المنصور والمهدى يقدمانه لبلاغته ويحتملان أخلاقه ،كان فصيحا ،مفوها جوادا ممدحا ،صلفا تياها ،يضرب بكبره المثل . ولى أعمالا جليلة .
الذهبى سير أعلام النبلاء ،جـ ٨ ،ص ٢٤٤ .
(٤) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ١٤٨ .

ويظهر أنه كان يجلس للمظالم على الدوام ،فقد روى أنه جفا المظالم ثلاثة أيام فدخل عليه حاجبه على بن صالح الحرانى ،وقال له : ياأمير المؤمنين ان العامة لاتنقاد على ماأنت عليه ،لم تنظر فى المظالم منذ ثلاثة أيام ،فالتفت الى على وقال له : ياعلى أئذن للناس على بالجفلى لا بالنقرى [١]، قال : فخرجت من عنده أطير على وجهى . ثم وقفت فلم أدر ماقال لى ،فقلت أراجع أمير المؤمنين ،فيقول أتحجبنى ولاتعلم كلامى ! ثم أدركنى ذهنى ،فبعثت الى أعرابى كان قد وفد ،وسألته عن الجفلى والنقرى فقال الجفلى جفالة ،والنقرى ينقر خواصهم . فأمرت بالستور فرفعت وبالابواب ففتحت ،فدخل الناس على بكرة أبيهم ،فلم يزل ينظر فى المظالم الى الليل " (٢).

"وركب الهادى يوما يريد عيادة أمه الخيزران من علة كانت وجدتها ، فاعترضه عمر بن بزيع ،فقال له ياأمير المؤمنين الا أدلك على وجه هو أعود عليك من هذا؟ فقال ماهو ياعمر ؟ قال : المظالم لم تنظر فيها منذ ثلاث فرجع الى دار المظالم ثم بعث الى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر اليها من تخلفه ،وقال : قل لها ان عمر بن بزيع أخبرنا من حق الله بما هو أوجب علينا من حقك ،فملنا اليه ونحن عائدون اليك فى غد ان شاء الله "(٣).

أما الخليفة هارون الرشيد فقد فوض البرامكة فى شئون الدولة المختلفة ،وقلد يحى وأبناءه كل دواوينه واداراته المختلفة ،وعهد الى جعفر بن يحى النظر فى المظالم ،فقد روى الجهشيارى أنه جلس للمظالم ، "فوقع فى ألف قصة ونيف ،ثم أخرجت فعرضت على العمال والقضاة والكتاب وكتاب الدواوين ،فما وجد فيها شئ مكرر ،ولاشئ يخالف الحق "(٤).

---

(١) الجفلى : الجماعة من الناس ، النقرى : الخاصة من الناس .

(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨،ص ٢١٥ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ٨٠ ، الاربلى ،خلاصة الذهب المسبوك ،ص ١٠٤ .

(٣) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،٢١٥/٨- ٢١٦ .

(٤) الجهشيارى ، الوزراء ،ص ٢٠٤ .

وأدخل جعفر بن يحى توقيعات جديدة على كتب المظالم لم تكن تعرف من قبل فيروى أن المتظلمين كثروا على بابه وتأخر جلوسه أياما ،ثم جلس وكانت القصص قد كثرت ،وجاءه رسول الرشيد يأمره بالذهاب اليه ،فقال للرسول : قل له : ياسيدى الساعة أجئ ،ونظر فيما بقى ،فجاءه الرسول ثانية يستحثه ،وكان فى القصص قصة طويلة دقيقة الخط رديئة ،فوافاه الرسول وهى فى يده ،وأعجله أن يستتمها ،وكان يحتاج فى فهمها الى مدة ، وكره ،وقد نظر اليها فى يده ،أن تطرح فيما لم ينظر فيه ،فوقع على ظهرها : " يعمل فى ذلك بما يعمل فى مثله على سنن الحق وقصده ،وجهة الانصاف وسبيله ان شاء الله " . فورد على الكتاب من ذلك مالم يرد مثله ، وامتثلوه ،ثم صار ذلك رسما للرؤساء (١).

وعلى كل فقد نهض جعفر بن يحى بأمر المظالم ،واهتم به اهتماما عظيما بتوجيه من الخليفة هارون الرشيد ،الا أن استبداد البرامكة بالأمور كما ذكرنا آنفا جعل الرشيد يعجل بنكبتهم ويضع حدا لاستبدادهم .

ومن خلفاء بنى العباس الذين جلسوا للمظالم أيضا المأمون ،وكان يجلس للمظالم فى يوم الأحد "فنهض ذات يوم من مجلس نظره فلقيته امرأة فى ثياب رثة ،واشتكت اليه ظلم العباس ابنه ،فوعدها بالحضور اليه فى يوم الأحد ،فانصرفت وحضرت يوم الأحد فى أول الناس ،فقال لها المأمون : من خصمك ؟ فقالت القائم على رأسك العباس بن أمير المؤمنين ،فقال المأمون لقاضيه يحى بن أكثم ،وقيل لوزيره أحمد بن أبى خالد أجلسها معه وانظر بينهما ،فأجلسها معه ونظر بينهما بحضرة المأمون وجعل كلامها يعلو ، فزجرها بعض حجابه فقال له المأمون : دعها فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ،وأمر برد ضياعها عليها " (٢).

---

(١) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ،ص ٢١٠ .

(٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٨٤ – ٨٥ ، البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ٤٩٧ .

وجلس المأمون ذات يوم للمظالم ،واذا هو برجل قد مثل بين يديه ، وفى يده رقعة فيها سطران : بسم الله الرحمن الرحيم . مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . فقال : أمظلمة منى ؟ قال : أفأخاطب بالخلافة سواك ؟ قال له : وماظلامتك هذه ؟ قال : ثلاثون ألف دينار . قال : وماوجهها ؟ قال : ان سعيدا وكيلك اشترى منى جوهرا بثلاثين ألف دينار ، وحمله الى منزلك ،ولم يوفر على المال . قال : فاذا اشترى سعيد منك الجوهر تشكو الظلامة منى ؟ قال نعم . اذا كانت الوكالة قد صحت له منك . قال : ان كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات : أما أول ذلك فلعل سعيدا قد اشترى هذا الجوهر منك كما زعمت وحمله الينا وأخذ المال من بيت المال ولم يوفره عليك ،أو لعله قد وفره وادعيت باطلا ،أو اشترى لنفسه . أما فى العاجل فلا يلزمنى لك حق ولا أعرف لك ظلامة .

فقال الرجل ان الله عز وجل قد أهلك لموضع رفيع ،واختصك بنسب جعلك أولى الخلق معه بالانصاف والانتصاف ،فانك مناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسترعاك على خلقه فهلا تحملنى على كتاب الله عز وجل وسنة ابن عمك رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ،وسنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،فى رسالته الى أبى موسى الأشعرى ،وهى التى اتخذتموها صدور أحكامكم ووصية لقضاتكم اذ يقول البينة على من أدعى واليمين على من أنكر .

قال المأمون : فانك والله قد عدمت البينة فما يجب لك الا حلفة ولئن حلفتها لأنا صادق اذ كنت لا أعرف لك حقا يلزمنى [1].

وأخذ الرجل فى مجادلة المأمون الى أن أسترد حقه .

ومن توقيعات المأمون فى كتب المتظلمين أنه وقع فى كتاب متظلم من أحمد بن هشام أكفنى أمر هذا الرجل والا كفيته أمرك "[2]،ووقع المأمون فى كتاب لعامل " قد كثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت "[3].

---

(١) البيهقى ، المحاسن والمساوئ ،ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٥٠١ .

(٣) البيهقى ، المرجع السابق ،ص ٥٠١ .

ويروى ابن طيفور أن سلمـا صاحب الحوائج قدم بضعة عشر رجلا للمأمون فنظر فى مظالمهم وأمر بقضاء حوائجهم ،وكان فيهم نصرانى من كشكر،كـان قد صاح بالمأمون غير مرة ،وقعد له فى طريقه فلما بصر به المأمون عرفه وقال لهم : أبطحوه فضربوه عشرين درة ،ثم قال لسلم : قل له أتعود تصيح بى ؟ فقال له سلم ذلك وهو مبطوح ،فقال النصرانى : قل له أعود وأعود وأعود حتى تنظر فى حاجتى ،فأبلغه سلم ماقال ،فقال : هذا مظلوم موطن نفسه على القتل أو قضاء حاجته ،ثم قال لأبى عباد : أقض حاجة هذا كائنا ماكانت الساعة " (١).

لقد شمل العدل أفراد المجتمع الاسلامى الذين يعيشون فى كنفه ،سواء كانوا مسلمين ،أو أهل ذمة ،فهم أفراد يعيشون فى مجتمع واحد ،لهم حقوق وعليهم واجبات ،وهذا أحد النصارى يتعرض للخليفة المأمون أكثر من مرة ويصر على موقفه ،ولما رأى الخليفة اصراره على موقفه تأكد له أن هذا الشخص مظلوم ولابد من انصافه ،ورد حقوقه اليه .

انها سماحة الاسلام وعدالته ،فأين نحن من ذلك الآن ؟ وأين من ذلك النصارى الحاقدون على الاسلام ،الذين رموه بشتى التهم ،ووصفوه بأبشع الصفات .

ان تاريخنا ناصع البياض لمن تدبره وتفهمه،" فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " (٢).

واعترض المأمون أيضا رجل من أهل فارس وتظلم من أحد رجاله ،وهو أحمد بن هشام الذى كان بمعيته ،وصاح الرجل بالمأمون " الله الله ياأمير المؤمنين ،فان أحمد بن هشام ظلمنى " فأمره المأمون أن ينتظره بالباب الى حين رجوعه ثم التفت الى أحمد بن هشام وزجره وعنفه وأمره بأن ينصفه

---

(١) ابن طيفور ،تاريخ بغداد ،ص ٥٥ .
(٢) سورة الحج ،الآية (٤٦) .

من نفسه ،وقال له : لاتجعل لنا ذريعة الى ماتكره من أئمتك ،فوالله لو ظلمت العباس ابنى كنت أقل نكيرا عليك ،من أن تظلم ضعيفا لايجدنى فى كل وقت ،ولامجلوا له وجهى وسيما من تجشم السفر البعيد وكابد حر الهواجر ، وطول المسافة فوجه اليه أحمد بن هشام فحوله الى مضربه وكتب الى عامله برد ماأخذ منه ووصله بأربعة آلاف درهم" (١).

وعرف الواثق أيضا من بين خلفاء بنى العباس الذين كانوا يدافعون عن حق الرعية ولايسمح لأحد من وزرائه أو ولاته بالتعدى على حق الغير ،فقد عرف عنه أنه " كان يحب العدل ويعطف على أهل بيته ويتفقد رعيته ويمنع الأمراء عن التظلم ،وكان يجلس لحساب الدواوين بنفسه " (٢).

ان تاريخنا الاسلامى ملىء بهذه الأمثلة المشرفة من حياة الخلفاء العباسيين الأوائل الذين كرسوا كل جهدهم لخدمة الرعية والسهر على مصالحها ،وكانت ولاية المظالم بمثابة الحارس الأمين لحقوق الأفراد اذا ما انتهكت ،ولم يتوان خلفاء بنى العباس لحظة فى الوقوف بجانب المظلومين اذا بلغهم ذلك ،وسرعان مايعيدون الحق المغتصب الى أهله .

---

(١) ابن طيفور ،تاريخ بغداد ،ص ٥٦ ، البيهقى ، المحاسن والمساوىء ،ص٤٩٦
(٢) كرد على الاسلام والحضارة العربية ،ص ٢٤١ .

الباب الرابع

ولاية البلدان في العصر العباسي الأول

ويشتمل على فصلين

الفصل الأول : تولية الولاة وبيان سلطاتهم في العصر العباسي الأول

الفصل الثاني : عزل الولاة

"" الفصـــــل الأول ""

توليـــة الولاة وبيـــان سلطاتهـــــم

فــــى

العصر العباســى الاول ..

=٭=

ولايــــة البــــلدان

الامارة أو الولاية على البلدان وظيفة أساسية وهامة فى النظام السياسى الاسلامى ، اذ يناط بالولاة أو الأمراء على الأقاليم وحدة الدولة الاسلامية واستقرار الأمور بها ضمانا لمصالح الرعية الاسلامية (١).

ولقد برز نظام تقسيم الدولة الاسلامية الى ولايات على كل ولاية حاكم يستقل فى تصريف الأمور عن بقية الولاة الآخرين بعد الاستقرار السياسى الذى شهدته الدولة الاسلامية فى أواخر عهد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه (٢).

أما التقسيم الادارى بالكيفية التى درج عليها المؤرخون حيث قسموا الدولة الاسلامية الى ولايات أو أمصار لم يكن معروفا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يبعث بالعمال على المناطق التى دخلت فى الاسلام فى عهده كمكة واليمن وعمان .

وقد قسم فقهاء المسلمين الامارة او الولاية على البلدان الى قسمين: امارة عامة وامارة خاصة (٣).

فأما العامة فعلى ضربين : امارة استكفاء بعقد عن اختيار ،وأمارة استيلاء بعقد عن اضطرار .

أما امارة الاستكفاء فلصاحبها النظر فى سبعة أمور هى :

(١) النظر فى تدبير الجيوش .
(٢) النظر فى الأحكام وتقليد القضاة .
(٣) جباية الخراج وقبض الصدقات .

---

(١) د.فتحية النبراوى ،تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ،ص ٦٨.
(٢) محمد عبد الله الشيانى ،نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ، ص ١٠٢ .
(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٣٠، أبو يعلى الفراء الحنبلى، الأحكام السلطانية ،ص ٣٤.

(٤) حماية الدين والذب عن الحريم .

(٥) اقامة الحدود فى حق الله وحقوق الآدميين .

(٦) الامامة فى الجمعة والجماعات .

(٧) تسيير الحجيج .

(٨) الجهاد اذا كان هذا الاقليم ثغرا متاخما للعدو .(١)

وأما أمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض اليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير (٢).

أما الامارة الخاصة فهى المقصورة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضه والذب عن الحريم ،وليس لصاحبها أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات (٣).

الفرق بين أمارة الاستيلاء وأمارة الاستكفاء :

(١) أمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى (أى الخليفة) .

(٢) أمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى وامارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى .

(٣) امارة الاستيلاء تشمل على معهود النظر ونادره رأى الأمور العادية المعروفة وغير المعروفة النادرة (٤)- وامارة الاستكفاء مقصورة على معهود النظر دون نادرة .

(٤) أن وزارة التفويض تصح فى امارة الاستيلاء ولاتصح فى امارة الاستكفاء(٥)

---

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ،ص ٣٣ .

(٣) نفس المصدر ،ص ٣٢ .

(٤) محمد عبد الله الشبانى ،نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ، ص ١١٠ .

(٥) الماوردى ، الأحكام السلطانية ،ص ٣٤ .

وسنتناول فى هذا الباب نوعية الامارة فى العصر العباسى الاول ،هل كانت أمارة استيلاء أم استكفاء بالاضافة الى تولية الولاة وسلطاتهم وعزلهم ومن الذى يحق له ذلك ؟ بعد أن نحدد الأقاليم الرئيسية للدولة الاسلامية .

تولية الولاة مع بيان سلطاتهم

لقد اقتضت الضرورة أن أضم الفصل الخاص بتولية الولاة الى فصل سلطات الولاة وجعلهما فعلا واحدا وذلك للارتباط الوثيق بينهما ،وأن تولية الولاة تتبعها السلطات الممنوحة لهم ،فهناك تلازم بين الأمرين ،فقد ثبت لى ذلك من خلال البحث ،وأنه لابد لى من الحديث عن الأمرين معا .

ولكى نتحدث عن تولية الولاة وتحديد السلطات التى كانوا يتمتعون بها فى العصر العباسى الاول ينبغى أن نحدد الولايات الرئيسية للدولة الاسلامية فى هذا العصر ليكون مدخلنا الى هذا الفصل .

يمكننا أن نحدد الولايات فى العصر العباسى الأول من خلال النصوص التى أوردها كل من الطبرى وخليفة بن خياط واليعقوبى وابن الأثير وغيرهم.

وسنأخذ أمثلة من عصر السفاح والمنصور ،عصر السفاح باعتباره بداية الخلافة العباسية ،وعصر المنصور باعتباره عصر تأسيس الدولة .

ذكر الطبرى فى أحداث سنة ١٣٢هـ أن أبا العباس " استخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن[١] على " [٢]. وفى هذه السنة وجه أبو العباس عمه

---

(١) سبقت الترجمة اليه .

(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص ٤٣١ .

عيسى بن على (١) على فارس " (٢). ووجه أخاه أبا جعفر واليا على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ،ووجه أخاه يحى بن محمد بن على (٣) واليا على الموصل . وفيها عزل عمه داود بن على عن الكوفة وسوادها وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة وولى موضعه وماكان اليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى (٤). وكان العامل على البصرة فى هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبى ،وعلى السند منصور بن جمهور(٥)... وعلى كور الشام عبد الله بن على ،وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد (٦)،وعلى خراسان والجبال أبو مسلم "(٧).

وذكر الطبرى فى أحداث سنة ١٣٣هـ أن أبا العباس وجه عمه سليمان بن على واليا على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين ومهرجانقدف ،ووجه

---

(١) عيسى بن على بن عبد الله بن عباس . أمير عباسى ينسب اليه نهر عيسى وقصر عيسى وكان ذا علم ودين وتقوى ولم يل شيئا تورعا،وهو عم السفاح والمنصور ولد بالمدينة سنة ٨٣هـ ت سنة ١٦٤هـ. الذهبى ،سير اعلام النبلاء ،ج ٧،ص ٤٠٩، الزركلى ، الأعلام،ج ٥،ص ١٠٥. وقد وجهه السفاح فى بداية خلافته واليا على فارس الا أنه لم يستمر فى ولايته واعتزل .

(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧،ص ٤٥٨ .

(٣) يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس . أمير عباسى كان من جملة القائمين على بنى مروان فلما ظهرت الدولة العباسية ولاه السفاح امرة الموصل ،ثم نقله الى امرة فارس فأقام بها الى أن توفى سنة ١٣٥ هـ ، وكان شجاعا عاقلا . الزركلى ، الأعلام،ج ٨ ،ص ١٦٣.

(٤) سبقت الترجمة اليه .

(٥) منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو الكلبى من بنى كلب بن وبرة . أمير من الفرسان فى العصر الأموى . كان من سكان "المزة" من ضواحى دمشق . كان متغلبا على السند فى العصر الاموى ولما استولى السفاح سنة ١٣٢ هـ وجه لقتاله موسى بن كعب فالتقاه ،فانهزم منصور ومات بالمفازة بين السند وسجستان عطشا . الزركلى ، الأعلام،ج ٧ ،ص ٢٩٨.

(٦) هو أبو عون واسمه عبد الله وقيل عبد الملك بن يزيد الأمير أبو عون وأصله من أهل جرجان ولى صلاة مصر وخراجها باستخلاف صالح بن على بن عبد الله بن عباس له فى مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة . ابن تعزى بردى ، النجوم الزاهرة ،ج ١ ،ص ٣٢٥.

(٧) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص ٤٥٨،وانظر ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ،ج ٤ ،ص ٣٤٠ .

عمه اسماعيل بن على [١] على كور الأهواز "[٢].

أما خليفة بنى خياط فقد أورد فى تاريخه أسماء عمال أبى العباس على الولايات التالية :

البصرة عزل عنها سفيان بن معاوية ،ولاها عمر بن حفص هزامرد[٣] ثم عزل سنة ثلاث وثلاثين ومائة ،وولى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فلم يزل عليها حتى مات أبو العباس "[٤].

وأورد أسماء ولاة الأمصار الأخرى فذكر أنه استعمل على الكوفة عمه داود بن على ثم عزله وولاه مكة وعلى المدينة عبد الله بن على ،وعلى اليمن داود بن على وعلى خراسان أبى مسلم وعلى السند موسى بن كعب [٥]، والبحران المسيح بن الحوارى بن عمرو العتكى ،وعلى اليمامة داود بن على، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أبو جعفر "[٦].

---

(١) اسماعيل بن على بن عبدالله بن عباس ابو الحسن الهاشمى عم السفاح والمنصور وكان معهم بالحميمة ،وكان معهم حين خرجوا لطلب الخلافة ولى امرة الموسم فى سنة سبع وثلاثين ومائة فى خلافة المنصور وولى البصرة .ولد بالسراة سنة ثلاثة ومائة وتوفى سنة سبع واربعين ومائة .
ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج ٣، ص ٣٩ .

(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص ٤٥٩ .

(٣) عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة المعروف بهزامرد يعنى ألف رجل ،ولى البصرة للسفاح وتولى امارة السند وعزله عنها المنصور وولاه افريقية . قتل سنة ١٥٤هـ بأفريقية . ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ٣٠ ومابعدها ،وانظر الزركلى ، الأعلام، ج٥ ، ص٤٤ .

(٤) خليفة بن خياط ،تاريخ ،ص ٤١٢ .

(٥) موسى بن كعب الأمير أبو عيينة التميمى ، أحد نقباء بنى العباس، وهو أول من بايع أبا العباس السفاح بالخلافة فى مبدأ أمره وأخرجه الى الناس وكان هو القائم بأمر بنى العباس مع أبى مسلم الخراسانى، وكان يسافر الى البلاد ويدعو الناس للقيام مع بنى العباس حتى قبض عليه أسد بن عبد الله القسرى عامل خراسان يومها ،فأمر به أسد فألجم بلجام وكسرت أسنانه وعوقب ثم أطلق بعد شدائد . ت ١٤١هـ. ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ ، الزركلى ، الاعلام ، ج ٧ ، ص ٣٢٧ .

(٦) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ،ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ .

وأورد اليعقوبى كذلك بعض أسماء ولاة السفاح فذكر بأنه " ولى الكوفة داود بن على "(١)،ثم ولاه على الحجاز . ووجه أبو العباس الى السند موسى بن كعب التميمى ... وولى أبا جعفر أخاه الجزيرة والموصل والثغور وأرمينية وآذربيجان "(٢).

أما فى عهد المنصور فقد ذكر الطبرى ولاته فى سنة ١٣٧هـ على النحو التالى :

" كان على المدينة زياد بن عبيد الله (٣)،والعباس بن عبد الله (٤) بن معبد على مكة .... وعلى الكوفة عيسى بن موسى (٥)،وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن على (٦).... وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم(٧) وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة (٨) وعلى مصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس (٩)"(١٠).

---

(١) اليعقوبى ،تاريخ ،جـ ٢ ،ص ٣٥١ .

(٢) نفس المصدر ،ص ٣٥٨ .

(٣) زياد بن عبيد الله بن عبد الله،واسمه عبد الحجر بن عبد المدان وقد جده الى النبى صلى الله عليه وسلم ،ثم خرج الى بلاد قومه من بنى الحارث بن كعب وقد سأله النبى صلى الله عليه وسلم حينما قدم عليه قائلا له من أنت ؟ قال : عبد الحجر ،فقال له أنت عبد الله وأسلم ، وقد ولى زياد مكة والمدينة لأبى العباس وأبى جعفر . انظر ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ،جـ ٥ ،ص ٤٠٧ .

(٤) لم اعثر له على ترجمة فيماتوفر لدى من مصادر.

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٢٨.

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٤١.

(٧) هو أحد نقباء بنى العباس الاثنى عشر الأوائل الذين قاموا بأمر الدعوة العباسية فى خراسان .

(٨) حميد بن قحطبة واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان الطائى ،أحد قواد بنى العباس شهد حصار دمشق ،وولى الجزيرة للمنصور ثم خراسان التى أمره المهدى عليها ت ١٥٩هـ. ابن عساكر ،تهذيب تاريخ دمشق الكبير ،جـ ٤ ،ص ٤٦٥ .

(٩) سبقت ترجمته فى ص ٤٢ .

(١٠) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،جـ ٧ ،ص ٤٩٦ .

وقد ذكرت المصادر التاريخية مئات الأسماء لولاة الأقاليم فى هـــذا العصر ،مما يتعذر ذكرهم فى هذا البحث ،وسنكتفى بهذه الاشارات من عصــر السفاح والمنصور ،لنبين عليها الولايات الرئيسية للدولة الاسلامية فــى العصر العباسى الأول .

وبناء على ماتقدم ذكره فان ولايات الدولة الرئيسية فى هذا العصــر هــى :

(١) الكوفة وسوادها .(١)

(٢) البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان .(٢)

---

(١) الكوفة هى المدينة المشهورة التى مصرها المسلمون بعد البصــرة بسنتين . والسبب فى بنائها : أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بــن أبى وقاص رضى الله عنهما أنبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم ، فكتب اليه : أن العرب غير ألوانها وخومة المدائن ودجلة ،فأجابــه : ان العرب لايوافقها الا مايوافق ابلها من البلاد ،فابعث بسلمــان وحذيفة رضى الله عنهما ،وكانا رائدى الجيش ،فليرتادا منزلا ليــس بينى وبينكم فيه بحر ولاجسر فبعث سعد وسلمان رضى الله عنهم ،فسار كل واحد منهما لا يرضى شيئا حتى أتيا الكوفة فأكبا عليها ،وفيهــا ديارات ثلاث فأعجبتهما البقعة فنزلا وصليا ،ودعا كل واحد منهمــا : اللهم رب السموات وما أظلت ،ورب الأرضين وما أقلت ،ورب الرياح ومــا أذرت ،والنجوم وماهوت ،والبحار وماحوت ،بارك لنا فى هذه الكوفــة واجعله منزل ثابت . ثم رجعا الى سعد رضى الله عنه بالخبر فأخبــر عمــر ،وكتب عمر الى سعد رضى الله عنهما يأمره بنزوله ،فارتحل سعــد رضى الله عنه بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى محرم سنــة سبع عشرة . محمد بن عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار فى خيــر الأقطار ،ص ٥٠١ – ٥٠٢ ، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ،ص ٢٥٠. أما سواد الكوفة فمن كسكر الى الزاب الى عمل حلوان الى القادسية . الحميرى ، المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢) بنيت البصرة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة أربع عشرة واختط عتبة ابن غزوان المنازل بها وبنى مسجدا من قصب ،ويقال بل كان ذلك سنة سبع عشرة وعتبة أول من اختطها ونزلها فى ثمانمائة رجل وهو الــذى فتح الأبلة . وسبب بنائها هو السبب الذى ذكر فى بناء الكوفــة . الحميرى ، المصدر السابق ،ص ١٠٥ .

أما البحرين فهى بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر،وجوفهــا متصل باليمامة ،وشمالها متصل بالبصرة ،وجنوبها متصل ببلاد عمان ==

(٣) فارس.(١)

(٤) الجزيرة وأذربيجان وأرمينية.(٢)

(٥) الموصل.(٣)

= وقاعدتها هجر وأهلها عبد القيس ... وهى بلاد سهلة الأنهار والعيون عذبة الماء ، المصدر نفسه ،ص ٨٢ .

أما عمان فهى كورة على ساحل بحر اليمن فى شرقى هجر تشتمل على مدن كثيرة ،سميت بعمان بن بغان بن ابراهيم الخليل عليه السلام ... القزوينى ،مصدر سابق ،ص ٥٦ .

(١) أصله بالفارسية بارس بالباء ،يضم عشر كور ،منها سابور واصطخر وازدشير وأرجان وغيرها . وهى ناحية مشهورة يحيط من شرقها كرمان ، ومن غربها خوزستان ،ومن شمالها مفازة خراسان ومن جنوبها البحر . الحميرى ،ص ٤٣٣ ، القزوينى ،ص ٢٣٢ .

(٢) الجزيرة : وسميت جزيرة لأن موقعها بين نهرى الفرات ودجلة وهى تشتمل على ثلاثة أسقاع : أحدها ديار ربيعة ،والثانى ديار مضر ، والثالث ديار بكر . وقد فتحت على يد عياض بن غنم بن زهير . ابن شداد ،الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ،ص (٤ ـ ٥) (٧ ـ ٨) .

* أذربيجان : هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف وتلى كور أرمينية من جهة المغرب ... وكان عمر رضى الله عنه قد فرق أذربيجان بين بكير بن عبد الله وبين عتبة بن فرقد وعادت أذربيجان سلما ،وكتب عتبة بينه وبين أهلها كتابا ... انظر الحميرى ص ٢٠ ـ ٢١ .

* أرمينية : بكسر أوله واسكان ثانية بلد معروف يضم كورا كثيرة ،سميت بكون الأرمن فيها ،وهى أمة كالروم وغيرها ،فتحت فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ،فتحها سلمان بن ربيعة الباهلى سنة أربع وعشرين ، المصدر نفسه، ص ٢٥ .

(٣) الموصل : تقع فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة ،وشرب أهلها من ماء دجلة ،وبساتينها قليلة وضياعها ومزروعاتها ممتدة ،وأبنيتها بالجص والحجارة ،ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة . وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان ،وباطن الداخل منهما بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله ،قد أمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه .... الحميرى ،ص ٥٦٣ ،وانظر ابن الفقيه الهمدانى ، البلدان ،ص ١٢٨. ياقوت الحموى ،معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٢٢٣ .

(٦) المدينة ومكة واليمن واليمامة .(١)

(٧) مصـــــر .(٢)

---

(١) المدينة هو اسم غلب على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ،قـــال تعالى " لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " المنافقون الآيه (٨) ،قال تعالى : " وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهـــل المدينة مردوا على النفاق " التوبة (١٠١) . وهى يثرب ،قال عز وجـــل " يا أهل يثرب لامقام لكم " الأحزاب (١٢) والدار ،قال تعالى " والذين تبوؤا الدار والايمان" الحشر (٩) ،وطيبة وطابة والعذراء وجابـــــر والمجبورة والمحبة والقاصمة .. الحميرى ،ص ٥٢٩ .

وسماها الله عز وجل المدينة ،وكذلك كان يسميها رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم كما قال : ان الايمان ليأرز الى المدينة كمـــا تأرز الحية الى حجرها " ،وقال صلى الله عليه وسلم:" ان المدينـــة تنفى خبثها وتنصع طيبها" والمدينة فى مستو من الارض سبخة كان عليها سور قديم وبخارجها خندق محفور . الحميرى ،ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

* مكة : هى أم القرى شرفها الله . وبكة اسم من أسمائها قـال تعالى :" ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة " آل عمران (٩٦) قيــــل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها ،وقيل بكـــة اسم لبطن مكة لأنهم كانوا يتباكون فيها اى يزدحمون ... وهى مدينـــة قديمة البناء أزلية معمورة مقصودة من جميع الأراضى الاسلامية ،وهـــى بين شعاب الجبال ... الحميرى ،ص ٩٣ .

* اليمن : سميت باليمن لتيامنهم اليها لما تفرقت العرب مـن مكة ،كما سميت الشام لاخذهم الشمال ،والبحر محيط بأرض اليمن مـــن المشرق الى الجنوب ،ثم راجعا الى الغرب ،يفصل بينها وبين باقـــى جزيرة العرب خط . صفى الدين بن عبد المؤمن ،مراصد الاطلاع ،ج ٣ ، ص ١٤٨٣.

* اليمامة : مدينة متصلة بأرض عمان من جهة المغرب مع الشمال كان اسمها جوا ،وسميت اليمامة بامرأة وهى الزرقاء اليمامة ،وهـــى المشهورة فى الجاهلية بجودة النظر وصحة ادراك البصر ،ومدينتهـــم المشهورة الخضرمة وهى مدينة عامرة فيها مزارع ونخل كثير ،أكثر من بلاد الحجاز . وفتحت اليمامة صلحا فى سنة اثنتى عشرة فى خلافـــة الصديق رضى الله عنه بعد أن قتل مسيلمة الكذاب ودجال بنى حنيفة . الحميرى ،ص ٦١٩ - ٦٢٠ .

(٢) سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ،وهى مـــن فتوح عمر بن العاص ،فى أيام عمر بن الخطاب ،رضى الله عنه ،ياقوت الحموى ،معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ١٣٧ .

وذكر ابن عبد الحكم فتح عمرو بن العاص لمصر بقوله : فلما قـــدم عمر بن الخطاب الجابية ،قام اليه عمرو فخلا به . وقال يا أميـــر==

(٨) الشـــام .(١)
(٩) خراســـان .(٢)
(١٠) الأهـــواز .(٣)
(١١) السنـــد .(٤)

ان هذا التقسيم الادارى للولايات هو الذى كان سائدا فى العصر الأموى ولم يطرأ عليه تعديل كبير سوى ماجرى فى عهد السفاح (١٣٢- ١٣٦هـ) وعهد هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) ففى عهد السفاح تناولت هذه التعديلات بلاد الشام التى كانت بسبب كونها مركز الأمويين مقسمة الى أجناد لا ولايات فجعلت ولايات ثلاث : فلسطين ودمسق وقنسرين ،وان احتفظت باسم الأجناد. كما تناولت فصل ارمينية وأذربيجان عن الجزيرة لأسباب عسكرية دفاعية"(٥).

== المؤمنين أئذن لى أن أسير الى مصر ،وحرضه عليها ،وقال : انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ،وهى أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها عن القتال والحرب . فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين . وكره ذلك . فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها ،حتى ركن لذلك عمر ،فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك . ويقال : بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ، ابن عبد الحكم ،فتوح مصر وأخبارها ،ص ٤٧ .

(١) الشام بفتح أوله وسكون همزته ،والشام بفتح همزته ،مثل نهر ونهر لغتان ،ولاتمد وفيها لغة ثالثة وهى الشام بغير مد .... وأما حدها فمن الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية وأما حدها فمن جبلى طىء من نحو القبلة الى بحر الروم ،وبها من أمهات المدن منبج وحلب وحماه وخمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة ،وفى الساحل طرابلس وأنطاكية وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك وهى خمسة أجناد : جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردن ،وجند فلسطين وجند حمص ،ويعد فى الشام أيضا الثغور : وهى المصيصة وطرسوس وأذنه وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحورة وبغراس والبلقاء وغير ذلك. ياقوت الحموى، معجم البلدان ،ج ٣ ،ص ٣١١، ٣١٢ .

(٢) سبقت الترجمة اليها .

(٣) سبقت الترجمة اليها.

(٤) السند بالكسر ثم السكون بلاد بين الهند وكرمان وسجستان وقصبتها المنصورة. صفى الدين بن عبد المؤمن ،مراصد الاطلاع،٢/٧٤٦ .

(٥) د. شاكر مصطفى ،دولة بنى العباس ،ح١،ص ٥٥٦ .

أما الرشيد فانه أجرى تعديلا عزل بموجبه " الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وسميت العواصم " (١).

أما الأندلس فقد كانت خارج سلطان العباسيين منذ استلامهم الخلافة ، وقد تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان (٢)،في سنة ١٣٨ هـ من الدخول اليها فارا من عبد الله بن علي ،وقد اجتاز بمن معه من أصحابه بلاد المغرب واستمال بعض الجند ممن كانوا يقيمون بهذه البلاد فبايعوه ودخل بهم بلاد الأندلس واستحوز عليها وانتزعها من نائبها يوسف ابن عبد الرحمن(٣)" (٤).

وتأسست دولة أموية بالأندلس ولم يتمكن العباسيون من استردادها لانشغالهم بالفتن التي كانت تشتعل في بلاد المشرق ،وظلت الأندلس ولاية مستقلة خارج نفوذهم " في يد أولاد عبد الرحمن بن معاوية "(٥).

وأما بلاد المغرب فان الصراع فيها كان مستمرا بين العرب والبربر منذ العهد الأموي لظلم الولاة للرعية وفرضهم الضرائب الفادحة عليها" (٦). واستمر هذا الصراع على أشد مايكون في العصر العباسي حيث أرسل لهم المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة واليا في سنة ١٥١هـ/٧٦٨م (٧) ، ليهدئ الأوضاع فيها ،الا أن البربر ثاروا عليه وقتلوه في سنة١٥٣هـ/٧٧٠م.(٨)

---

(١) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٢٣٤، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن معاوية الاموي المعروف بعبد الرحمن الداخل .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن الفهري ٧٢- ١٤٢هـ/٦٩١- ٧٥٩م بن حبيب بن أبي عبده بن عقبة بن نافع الفهري القرشي أمير الأندلس وأحد القادة الدهاة الفصحاء... استمر واليا على الأندلس الى أن دخل عبد الرحمن الأموي الأندلس ،فقاتله يوسف سنة ١٣٩هـ ،فانهزم أصحابه. وقتل في طليطلة . ابزركلي ،الأعلام ،ج ٨ ،ص ٢٣٦ .

(٤) انظر ابن كثير، البداية والنهاية ،ج ١٠ ،ص ٧٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج ٤،ص ٣٦٠ – ٣٦٢ .

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج ١ ،ص ٣٢٧ .

(٦) د. حسن أحمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ،ص ٤٠٧ .

(٧) الطبري ،تاريخ الأمم والملوك ،ص ٣٣ .

(٨) نفس المصدر ،ص ٤٢ .

روى ابن الأثير أن الوقائع بين الخوارج فى أفريقية وبين الجند العباسيين من مقتل عمر بن حفص الى انقضاء أمرهم ثلاثمائة وسبعون وقعة " (١).

ولم تهدأ الأوضاع فى هذا الجزء من الدولة الاسلامية ،وكانت سببا فى اقلاق مركز الخلافة ،ولم يجد الخليفة هارون الرشيد ،مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع ،وكتب عهدا الى ابراهيم بن الأغلب (٢) بولاية أفريقية سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م ،وكان ذلك ايذانا بنشأة دولة مستقلة استقلالا جزئيا عن الخلافة .

يذكر ابن الأثير : أن أهل أفريقية كرهوا الوالى العباسى فحملوا ابراهيم بن الأغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب منه ولاية أفريقية ،فكتب اليه فى ذلك ،وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى أفريقية معونة ،فتنازل ابراهيم عن ذلك ،والتزم أن يدفع للرشيد كل سنة أربعين ألف دينار ،فاستشار الرشيد ثقاته فأشاروا عليه بذلك فولاه الرشيد فى المحرم سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م . فهدأت الأحوال فى أفريقية ،وضبط ابن الأغلب الأمور تماما (٣).

على أن قيام دولة الأغالبة فى عهد هارون ،لايعنى تنازلا من قبل الخلافة العباسية عن هذه الأمارة ،أو أنه قد أطلق يد ولاتها فيها . فقد ظل ابراهيم يستشير هارون فى كل مايتصل بامارته ،مما يدل على الارتباط الوثيق بالخلافة (٤).

---

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ٣٣ .

(٢) كان ابراهيم بن الأغلب واليا على الزاب فولاه الرشيد امرة افريقية سنة ١٨٤هـ بدلا من محمد بن مقاتل العكى الذى لم يستطع السيطرة على زمام الأمور فى أفريقية . فلما تولى ابراهيم بن الأغلب ضبط الأمور وسكنت البلاد فى عهده ثم ابتنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل اليها بأهله وخاصته وحشمه ،ت بالعباسية سنة ١٩٦هـ/٨١٢م.
ابن خلدون ، العبر ،٤٨٦/٣، الزركلى ،الأعلام ،٣٣/١ .

(٣) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ١٠٤ .

(٤) د. عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، الجزء الأول ،ص ٢٥٥ .

كذلك قامت دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى فى سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، والتى تنسب الى ادريس بن عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب [١]، الذى خرج مع الحسين صاحب فخ، فلما قتل الحسين هرب ادريس هذا الى مصر، وكان على بريد مصر واضح، فحمله واضح، فنزل بمدينة وليلة، وبايعه الناس وكاد أمره أن يتم [٢]، فضرب الهادى عنق واضح وصلبه [٣]. ولكن ادريس توفى مسموما وأعقب مكانه ادريس بن ادريس حيث تم الأمر لأبنائه من بعده [٤] وقامت دولة علوية فى المغرب .

---

(١) ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب مؤسس دولة الأدارسة فى المغرب . واليه نسبتها . أول ماعرف عنه أنه كان مع الحسين بن على بن الحسن المثلث، فى المدينة أيام ثورته على الهادى سنة ١٦٩هـ ثم قتل الحسين فانهزم ادريس الى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ، فنزل بمدينة وليلى (على مقربة من مكناس وهى اليوم مدينة قصر فرعون) وكان كبيرها يومئذ اسحاق بن محمد فعرفه ادريس بنفسه فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بنى العباس فتم له الأمر (يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢هـ) فجمع جيشا كثيفا وخرج به غازيا فبلغ بلاد تادلة (قرب فاس) ففتح معاقلها وعاد الى وليلى، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها . وعظم أمر ادريس فاستمر الى أن توفى مسموماً فى وليلى . وهو أول من دخل المغرب من الطالبين . ت ١٧٧هـ .
الزركلى، الأعلام، جـ ١، ص ٢٧٩ .

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٢، ص ٥٩ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، جـ ٥، ص ٧٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٦ .

وبنظرة فاحصة الى أسماء الولاة الذين أوردناهم فى خلافة السفاح نجد أن معظمهم من أفراد البيت العباسى ،داود بن على ،عبد الله بن على ، صالح بن على ،سليمان بن على ، اسماعيل بن على ،عيسى بن على ،عبد الله ابن محمد ،يحى بن محمد ،عيسى بن موسى ٠

وكما رأينا فان العباسيين اعتمدوا فى أوائل حكمهم على أنفسهم فى تولى شئون الدولة ،فكان منهم أغلب القواد والولاة ولعل السبب فى ذلك أن الدولة كانت فى طور النشأة وفى حاجة الى أفرد البيت نفسه ليثبتوا أركانها ،كما أن الخلفاء العباسيين أسندوا ادارة الولايات الهامة الى أبنائهم ،وذلك ضمانا لها من التفكير فى الاستقلال " فقد ولى المنصور ولى عهده المهدى حكم خراسان ،وولى الخليفة المهدى ولى عهده الهادى حكم جرجان ،وولى ابنه الثانى هارون الرشيد البصرة ثم مصر "(١)،أما الرشيد فقد ولى ابنه المأمون خراسان وثغورها وكورها" (٢).

لقد اتضح لنا من خلال النصوص التى ذكرناها أن الخليفة ـ وهو صاحب الولاية العامة ـ هو المسئول عن تعيين الولاة فى أقاليم الدولة المختلفة ، بحكم الولاية العامة ٠

وكانت مهمة الوالى هى :" امامة المسلمين فى الصلاة وجهاد العدو وجباية الخراج ،وحفظ الأمن وفصل الخصومات بين الناس "(٣).

واعتمد العباسيون على أسلوب الادارة المبسطة ،واعتبار المدينة أساس التنظيم الادارى "(٤). وكان لكل ولاية ديوان مماثل له من الدواوين الرئيسية فى العاصمة أو موظف يمثله "(٥). فكانت نسخة مصغرة من دواوين مركز الخلافة "(٦).

(١) د. حسن الخربوطلى ، المهدى العباسى ،ص ١١٨ ٠
(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٢٧٨ ٠
(٣) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ٧٠ ٠
(٤) د. شاكر مصطفى ،دولة بنى العباس ،ج ١ ،ص ٥٥٦ ٠
(٥) مولوى ، الادارة العربية ،ص ٣٢٩ ٠
(٦) شاكر مصطفى ، المرجع السابق ،ص ٥٥٧ ٠

وكان يعهد للوالى الصلاة مع الخراج كما ذكر الخضرى ،وأحيانا يولى شخص مسئول عن الخراج ،فالكندى حينما تحدث عن ولاة مصر فى العصر العباسى ، كثيرا ماذكر عبارة ولى صلاة مصر وخراجها ،فحينما تحدث عن ولاية أبى عون على مصر ،ذكر أنه وليها على صلاتها وخراجها"(١)، " ثم وليها صالح بن على ابن عبد الله (٢) على صلاتها وخراجها "(٣).

وكان يجمع للوالى أحيانا الحرب والخراج والصلاة (٤)كما كان لكل ولاية قاض يعينه الخليفة ،فقد كان على قضاء البصرة فى سنة ١٣٥هـ "عباد ابن منصور"(٥) وعلى قضاء الكوفة " ابن أبى ليلى"(٦).

أما الاشراف على هؤلاء الولاة ومراقبتهم فكان يتم عن طريق ولاة البريد روى الطبرى " أن ولاة البريد فى الآفاق كلها كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلافته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم ،وبسعر كل مأكول وبكل مايقضى به القاضى فى نواحيهم ،وبما يعمل به الوالى ،وبما يرد بيت المال من المال ،وكل حدث ،وكانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه بما كان فى كل ليلة اذا صلوا الغداة ،فاذا وردت كتبهم نظر فيها ،فاذا رأى الأسعار على حالها أمسك ،وأن تغير شئ منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك ،وسأل عن العلة التى نقلت ذلك عن سعره ،فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقة حتى يعود سعر ذلك الى حاله "(٧)

" كان المنصور فريدا فى الاشراف على عماله وارادتهم على العدل يهددهم بالعقوبات اذا ولاهم ،وأكثرهم يصحون ويناصحون ويختار أهل البلاء منهم " (٨).

---

(١) الكندى ،أبو عمر محمد بن يوسف ،ت ٣٥٠هـ ،كتاب الولاة والقضاة ،ص ١٠١

(٢) سبقت ترجمته فى ص .

(٣) الكندى ، المصدر السابق ،ص ١٠٢ .

(٤) الأزدى ،تاريخ الموصل ،ص ١٧٣ .

(٥) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٧ ،ص ٤٦٧ .

(٦) نفس المصدر ،ص ٤٦٧ .

(٧) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٩٦ .

(٨) محمد كرد على ، الاسلام والحضارة العربية ،ج ٢ ،ص ٢٠١ .

وبذلك فقد وضع المنصور الأسس الادارية التى ينبغى أن تسير عليها الدولة وقد سار خلفاؤه من بعده على هذا النهج .

ومن السياسات التى اتبعها العباسيون فى ادارة الولايات " عدم الابقاء على أى وال لمدة طويلة فى نفس الولاية اذ جرت العادة على نقل حكام الولايات من ولاية الى أخرى وعند اعفاء الوالى من ولايته كان عليه أن يقدم تقريرا شاملا عن ادارته "(١).

ولعل السبب فى ذلك تفادى استبداد الولاة ومنعهم من التفكير فى الاستقلال بالولاية .

وحينما تولى المهدى الخلافة سار على خطى المنصور فى ادارة الولايات فقد استمرت سياسة تغيير حكام الولايات وعدم ابقائهم مدة طويلة فى ولاياتهم ،ولكن المهدى لم يعول كثيرا على أفراد البيت العباسى فى ادارة الأقاليم كما كان ذلك فى بداية نشأة الدولة جاء فى تاريخ الطبرى فى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م " كان أمير المدينة فى هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجمحى ،وعلى صلاة الكوفة وأحداثها اسحاق بن الصباح الكندى ،وعلى خراجها ثابت بن موسى ،وعلى صلاة البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميرى ... وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس عمارة بن حمزة ،وعلى السند بسطام ابن عمرو ،وعلى اليمن رجاء بن روح ،وعلى اليمامة بشر بن المنذر،وعلى خراسان أبو عون عبد الملك بن يزيد ،وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ،وعلى افريقية يزيد بن حاتم ،وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة "(٢).

نلاحظ أن معظم الولاة على البلدان فى عصر المهدى كانوا من خارج البيت العباسى ،وفى ذلك دليل على استقرار الأحوال الداخلية للخلافة فى هذا العصر ،وأن الأخطار التى كانت تهددها قد زالت .

---

(١) مولوى الحسين ، الادارة العربية ،ص ٣٢٧ .
(٢) الطبرى ،مصدر سابق ،جـ ٨ ،ص ١٢٣ .

ولقد أتت السياسة الادارية الحكيمة التى رسمها المنصور أكلهـا ، وتجلى ذلك فى خلافة الرشيد الذى سار على خطى المنصور ،روى المسعودى أن صاحب البريد بخراسان كتب الى الرشيد ويحى بن خالد بين يديه كتابا ، يذكر فيه أن الفضل بن يحى تشاغل بالصيد وادمان اللذات ،عن النظر فى أمور الرعية ،فلما قرأه الرشيد رمى به ليحى ،وقال له : ياأبت اقرأ هذا الكتاب ،واكتب اليه كتابا يردعه عن مثل هذا ،فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد : حفظك الله يابنى ،وأمتع بك ،قد انتهى الى أمير المؤمنين ماأنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر فى أمور الرعية ماأنكره فعاود ماهو أزين بك فانه من عاد الى مايزينه او يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به والسلام ..." (١)

وكتاب الرشيد الى هرثمة بن أعين (٢) حينما ولاه على خراسان من الكتب الجامعة التى تبين لنا مدى اهتمامه بولاته ونصحه وتوجيهه لهم حيث قال له : " هذا ماعهد به هارون الرشيد الى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه ،أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته ،وأن يجعل كتاب الله اماما فى جميع ماهو بسبيله فيحل حلاله ويحرم حرامه ويقف عند متشابهه ويسأل عنه أولى الفقه فى دين وأولى العلم بكتاب الله أو يرده الى امامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه ويعزم له على رشده .... فاعمل يا أبا حاتم بما عهدت اليك فانى آثرت الله ودينى على هواى وارادتى ،فكذلك فليكن عملك وعليه فليكن أمرك ودبر فى عمال الكور الذين تمر بهم فى صعودك مالا يستوحشون معه الى أمر يريبهم وظن يرعبهم وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ،ومن أمانهم وعذرهم ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفتك ومن ولاك الله أمره ان شاء الله . هذا عهدى

---

(١) المسعودى ،مروج الذهب ،ج ٣ ،ص ٣٧٦ - ٣٧٨ .

(٢) هرثمة بن أعين أحد الولاة العباسيين على مصر ،ولاه الرشيد امرة مصر فى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م ،وتوجه الى أفريقية لاخضاع عصاتها الخارجين على الدولة ،فلما وصل القيروان أمن الناس وسكنهم وبنى القصر الكبير وبنى سور مدينة طرابلس الغرب ،توفى سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م .
انظر الكندى ، الولاة والقضاة ،ص ١٣٦، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، ٨٨/٢، الزركلى ، الأعلام ،٨١/٨ .

وكتابى بخطى وأنا أشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سماواته وكفى بالله شهيدا" (١).

لقد جاء كتاب الخليفة هارون الرشيد لواليه هرثمة بن أعين مشتملا على جوامع الكلم ،فكان أول شئ بدأ به أن أوصاه بتقوى الله عز وجل وطاعته ومراقبته ،وأن يتمسك بكتاب الله عز وجل ،وأن يعرف حلاله وحرامه لأن هذه الأمور تعصم الوالى من ظلم الرعية .اذا كان يعرف الله فى سره وعلنه ،وتبعده عن الاجحاف فى حق الناس . كذلك أمره أن يستفتى أهل العلم ان أشكل عليه أمر من الأمور أو يرده الى الخليفة ليريه رأيه فيه ،كما أوصاه بالرعية خيرا حتى تطمئن قلوبهم اليه وأن يؤثر الله ودينه على هواه لأن اتباع الهوى يضل عن سواء السبيل .

كانت الامارة على البلدان فى هذا العصر امارة خاصة محصورة ومقيدة ، ولذلك فان صلاحيات الولاة وسلطاتهم كانت محددة لاتتعدى صلاحيات الامارة الخاصة من تدبير للجيوش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذب عن الحريم ، أما القضاء فله وال خاص كما أن هناك وال للخراج ، الا أنه فى أحيان قليلة كانت تضاف الى بعض الولاة مسئولية جباية الخراج .

ولانجد الامارة العامة الا فى عهد الخليفة المأمون حيث منح آل طاهر صلاحيات واسعة مما أدى الى قيام الدولة الطاهرية بخراسان فيما بعد ،حيث ولى المأمون " طاهر بن الحسين(١) من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق"(٣)

---

(١) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٢) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الأمير ،مقدم الجيوش ،ذو اليمنين ، أبو طلحة الخزاعى ، القائم بنصر خلافة المأمون ،فانه ندبه لحرب أخيه الأمين ،فسار فى جيش لجب فحصره وظفر به وقتله فمقت لتسرعة فى قتله .
وكان مع فرط شجاعته عالما مفوها بليغا شاعرا بلغ أعلى الرتب ،ثم مات فى الكهولة سنة سبع ومائتين . الذهبى ،سير أعلام النبلاء ، ١٠٨/١٠ – ١٠٩ ،وانظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،٥١٧/٢.

(٣) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٥٥٧، ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ،ج ٥ ،ص ١٩٧ .

كما ولى ابنه عبد الله بن طاهر[1] من الرقة حتى مصر"[2]،وكان طاهر بن الحسين يؤدى الخراج عن عمله وعليه والى بريد يكتب الى المأمون باخباره[3].

وقد أراد طاهر بن الحسين الاستقلال الكلى عن الخلافة الا أن المنية عاجلته ولم يتم له ما أراد ،فقد بدأ بقطع الدعاء للمأمون حيث روى صاحب بريد خراسان قال : كنت على بريد خراسان ومجلسي يوم الجمعة فى أصل المنبر ، فلما كان فى سنة سبع ومائتين ،بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر ،فخطب ،فلما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له ،فقال : اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ،واكفها مؤونة من بغى فيها ،وحشد عليها ،بلم الشعث وحقن الدماء ،واصلاح ذات البين "[4].

وكان ذلك بداية لاستقلال خراسان بصورة جزئية عن مركز الخلافة الى أن سقطت سنة ٢٥٩هـ على يد يعقوب بن الليث الصفار [5].

ولما توفى طاهر بن الحسين أقر المأمون ابنه طلحة[6] على ولاية خراسان ومن بعده أخيه عبد الله بن طاهر [7] الذى كان يحكم خراسان كحاكم مستقل ،ولم تستطع الخلافة العباسية عزله ،الا أنه لم يقطع الولاء للمأمون

---

(١) أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعى ،وقد كان سيدا نبيلا عالى الهمة شهما ،وكان المأمون كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات اليه لذاته ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة فى خدمته . توفى فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين بمرو ،وقيل سنة ثلاثين . ابن خلكان ،وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٨٣،٨٨.

(٢) الطبرى ،٥٨١/٨، ابن الأثير ١٩٧/٥ .

(٣) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ٢٠٤ .

(٤) الطبرى ،تاريخ ،جـ٨ ،ص ٥٩٤،وانظر ابن خلكان ،وفيات الأعيان،٥٢٢/٢ .

(٥) الخضرى ، الدولة العباسية ،ص ٢٠٤ .

(٦) طلحة بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق . ولاه المأمون خراسان بعد وفاة والده عبد الله ،وأقام واليا عليها سبع سنين فى أيام المأمون توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببلخ . الطبرى ،تاريخ ،٥٩٥/٨، ابن خلكان وفيات الأعيان ،٥٢٢/٢ .

(٧) الطبرى ،تاريخ ،جـ ٨ ،ص ٥٩٥ .

أو من تولى بعده ،حيث كان يأتى بغداد ويقيم فى القصر الذى شيده والده فيها [1].

لقد تساهل المأمون مع عبد الله بن طاهر وأبنائه فى أمر خراسان ، وهى بادرة شجعت فيما بعد الكثير من الولايات الى الاستقلال الجزئى عن الخلافة ونشوء الدويلات المستقلة تحت ظل الخلافة العباسية .

ويعد طاهر بن الحسين من أكفأ الولاة الذين مروا على الدولة العباسية " وعقد له المأمون من حلوان الى خراسان وكان خروجه من بغداد سنة ٢٠٥هـ" [2].

ولما ولى ابنه عبد الله بن طاهر ديار ربيعة أوصاه وكتب اليه كتابا جامعا شاملا فى الادارة قل أن تجد له مثيلا فى العصر العباسى الأول حتى أن الناس قد تنازعوا هذا الكتاب وتدارسوه ،وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه ،فقال : ماأبقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه ،وأوصى به وتقدم،وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال " [3].

ولأهمية هذا الكتاب نقتطف جزءا مما ورد فيه ليعطينا صورة واضحة لنوعية الولاة فى عصر المأمون .

فقد أوصى ابنه بتقوى الله وحده لاشريك له أولا ،والمحافظة على الصلوات الخمس ،والاقتصاد فى الأمور كلها ،واحسان الظن بالله عز وجل ، واخلاص النية . ثم قال له : واجتنب سوء الأهواء والجور ،واصرف عنهما رأيك ،وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك ،وانعم بالعدل سياستهم ،وقم بالحق فيهم ،وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى ،واملك نفسك عند الغضب،

---

(١) د. عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الأول ،ص ٣٤٨ .
(٢) الطبرى ،تاريخ الأمم والملوك ،ج ٨ ،ص ٥٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٩١ .

وآثر الوقار والحلم ،وإياك والحدة والطيرة والغرورفيما انت بسبيله .

واياك ان تقول انى مسلط افعل ماأشاء ،فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأى ،وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له . واخلص لله النية فيه واليقين به ،واعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء ،وينزعه ممن يشاء، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمه الى احد اسرع منه الى حملة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا بنعم اللهواحسانه ،واستطالوا بما آتاهم اللهمن فضله . ودع عنك شره نفسك . ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية ،وعمارة بلادهم ،والتفقد لامورهم ،والحفظ لدهمائهم ،والاغاثة لملهوفهم .

واعلم ان الاموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لاتثمر،واذا كانت فى اصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت وصلحت به العامة . ... وتفقد امور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم ،وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم ،ليذهب بذلك اللهفاقتهم ،ويقوم لك امرهم ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وامرك خلوصا وانشراحا.............. وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية وجعله اللهللاسلام عزاورفعة ولاهله سعة ومنعة ،ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا،ولاهل الكفر من معادتهم ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل .... واجعل فى كل كورة اميناايخبرك اخبار عمالك ،ويكتب اليك بسيرتهم واعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لامره كله،وان اردت ان تأمره بأمر فانظر فى عواقب ماأردت من ذلك .... وانظر احرار الناس وذوى الشرف منهم ،ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك، ومظاهرتهم والمخالصة على امرك فاستخلصهم واحن اليهم............ .

واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والامم البائدة،ثم اعتصم فى احوالك كلهابامرالله والوقوف عند محبته ،والعمل بشريعته وسنتهواقامة دينه وكتابه ،واجتنب مافارق ذلك وخالفه ، ودعاالى سخط الله .

واعرف مايجمع عمالك من الاموال وينفقون منها، ولاتجمع حراما،ولاتنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن واقامتها،وايثار مكارم الامور ومعاليها،وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا راى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك فى سرك،واعلامك مافيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك ...."(١).

حقا لقد جاء كتاب طاهر ابن الحسين الى ابنه عبدالله جامعا لكل الشئون التى تتعلق بادارة الولاية اذ انه لم يترك شاردة فيما فيه صلاح امور الناس ولا واردة الا وذكرها له ،ولاشك انه كتاب جاء من خبير مجرب عرك الاحداث وعركته .

ان ماورد فى هذه الرسالة من افكار رائعة يعد من محاسن الكتب الادارية البارزة فى تاريخنا الاسلامى اذ انها حوت على كل مايخطر بالبال من الامور التى تتعلق بسياسة الرعية وقد احسن طاهر بن الحسين فى ذلك واجاد حتى ان المأمون استحسنه وامر بان يكتب بذلك الى جميع عماله كما اسلفنا ليكون لهم منهاجا وسيرة يسيرون عليها .

بالاضافة الى ان العباسيين فى العصر الاول قد منحوا بعض ولاتهم تفويضا عاما بالتصرف فى امور الولاية التى يقومون على امرها مما ادى الى استقلالها عن الدولة كما رأينا فانهم ابتدعوا النيابة عن الولاة فى الاقامة بالولاية .

وهى ظاهرة تفشت فى عصر الرشيد فاصبحت لاتلزم صاحبها بالسفر الى ولايته ومباشرة الحكم(٢). فقد ذكر ابن كثير فى احداث سنة ١٧٦هـ انه "كان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى وقيل عبد

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،جـ ٨ ،ص ٥٨٢ ومابعدها .
ابن الاثير ،الكامل فى التاريخ،جـ ٥،ص ١٩٨ ومابعدها .
(٢) د. شاكر مصطفى ،دولة بنى العباس ،جـ ١،ص ٥٦٠ .

الصمد بن على"(١).

وفى هذه السنة ايضا ولى الرشيد جعفر بن يحى بن خالد نيابة مصر(٢).

ولم يكن هذا التقليد الجديد شديد الخطر على سلامة الدولة العباسية وهى فى قوتها ولكن حين ضعفت السلطة المركزية ساءت الحالة فى هذه الولايات ،وجنح بعض نواب الولاة الى الاستقلال"(٣).

لقد ظهر فى هذا العصر ايضا امارات الاستيلاء التى تحدث عنها الفقهاء فقد كانت دولة الادارسة فى المغرب الاقصى آنفة الذكر والتى اسسها ادريس بن عبدالله امارة من امارات الاستيلاء حيث اسست بالقوة وقدحاول العباسيون استعادتها بشتى الوسائل الا انهم لم ينجحوا فى ذلك ،وقد انقطعت علاقاتها مع الدولة العباسية حسب مايفهم من نص الطبرى حينما تحدث عن الادارسة حيث قال :"فهم الى اليوم بتلك الناحية مالكين لها وانقطعت عنهم البعوث"(٤).

اما امارة الاغالبة فانها من امارات الاستيلاء ايضا الا ان استيلائهم كان بعد اذن الخليفة هارون الرشيد الذى رأى ان المصلحة كانت تقتضى ذلك فأذن لهم ولكن بشروط كما رأينا.

اما الاندلس فقد بذل العباسيون كل محاولاتهم لاستعادتها منذ عهد المنصور حيث ارسل المنصور تفويضا الى احد الرجال من اليمانيه وهو العلاء بن المغيث الجهامى يحكم الاندلس وقد تمكن الجهامى من تأليب اليمانية وبعض اعداء الامويين ضد عبدالرحمن بن معاوية وقاموا بالثورة ضده الا ان عبد الرحمن تمكن من القضاء على هذه الثورة وقطع رأس زعيمها العلاء وارسله فى سلة الى المنصور فى الحج(٥). حتى ان المنصور ارتاع لذلك وقال:"الحمد

---

(١) البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ١٦٨.

(٢) نفس المصدر،ص ١٦٩.

(٣) د. حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسى ،حـ٣،ص ٢٦٧.

(٤) الطبرى ،تاريخ،٨/٢٠٠

(٥) د. عبدالمنعم ماجد،مرجع سابق ،ص ٢٦٤-٢٦٥.

لله الذى جعل بيننا وبين مثل هذا من عدونا بحرا"(١) ،وسماه صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر وقطع القفر،ودخل بلدا اعجميا مفردا، فمصر الامصار،وجند الاجناد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه ،بحسن تدبيره وشدة شكيمته"(٢).

لم يفلح العباسيون فى استعادة الاندلس الى سلطة الدولة العباسية على ان ذلك لم يمنع العباسيين من التعاون مع الامويين فى الاندلس المسلمة للمحافظة عليها من اطماع الفرنجة من سكانها اومن دولة الفرنجة المجاورة لها(٣). فقد ارسل والى مصر من قبل العباسيين نجدة الى هشام بن عبد الرحمن الاموى الانهم اسروا من قبل الفرنجة وكان ذلك فى سنة ١٧٤هـ فى خلافة الرشيد(٤).

نخلص من كل ماتقدم ان خلفاء بنى العباس كانوا يولون ولاتهم بأنفسهم ولم يمارس هذا الحق سوى الخليفة لانه صاحب الولاية العامة،كما ان الاشراف على الولاة فى اقاليم الدولة المختلفة كان اشرافا دقيقا ومتتابعا حيث كان الخليفة ملما باخبار ولاته وكانت ادارة هذه الاقاليم ادارة مبسطة خالية من التعقيد.

اما سلطات الولاة فلم تكن تخرج عن الحدود المرسومة لكل وال وكل من تحدثه نفسه بمحاولة الخروج عن ماهو محدد له فانه سرعان مايخضع للمحاسبة الرادعة من قبل الخليفة.

كذلك ظهرت بعض امارات الاستيلاء فى هذا العصر الا ان بعضها لم يخرج خروجا كليا عن سلطة الخلافة العباسية ،كما سبقت الاشارة الى ذلك .

---

(١) ابن القوطية ،ابوبكر محمد،تاريخ افتتاح الاندلس ،تحقيق ريبيرا مدريد،اسبانيا ١٨٦٨م،ص ١٣٤.

(٢) د. عبد المنعم ماجد، العصر العباسى الاول ، ص ٢٦٥،

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،جـ٢،ص ٧٦ .

الفصل الثانى

عــــزل الــــولاة

عـزل الـولاة :

كان خلفاء بنى العباس يعزلون ولاتهم نتيجة تقصيرهم أواستبدادهم او خيانتهم او مخالفتهم لاوامر الخليفة او جورهم على الرعية فهذه بعض أسباب عزل الولاة.

كان الخليفة لايعزل احدا الا بعدان يتأكد من هذه الاموروفيقوم بالكتابة الى الوالى يبلغه بعزله وتولية شخص اخر مكانه ،أو أى اسلوب آخر يراه الخليفة مناسبا.

فقد عزل الخليفة المنصور احد عماله على الولايات لانه انشغل عن امر الولاية بالصيد فقد روى الطبرى ان المنصور"ولى عاملا على بلد فبلغه انه قد تصدى للصيد واعد لذلك كلبا وبزاة فكتب اليه ثكلتك أمك وعشيرتك،ويحك انا انما استكفيناك واستعملناك على امور المسلمين ،ولم نستكفك امور الوحوش فى البرارى ،فسلم ماتلى من عملنا الى فلان والحق بأهلك ملوما مدحورا".(١)

ان هذا الوالى لايصلح لادارة شئون ولايته لانه انشغل عنها بأهوائه ورغباته الشخصية،فقد انصرف عن تدبير شئون رعيته الى الصيد،فعزله المنصور بطريقة حاسمة ،وفى عبارات بليغه مختصرة فيها تقريع وتعنيف ،وليكون عظة لمن يأتى من بعده.

وكتب والى ارمينية الى المنصور،ان الجند قد شغبوا عليه ،وكسروا اقفال بيت المال ،واخذوا مافيه ،فوقع فى كتابه اعتزل عملنا مذموما فلو عقلت لم يشغبوا ولوقويت لم ينتهبوا"(٢).

---

(١) الطبرى ،تاريخ الامم والملوك ،حـ٨،ص ٦٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، حـ ١٠،ص ١٢٢.

(٢) الطبرى ، المصدر نفسه ،ص ٩٧.

وقد عزا المنصور التقصير هنا الى واليه الذى يبدو انه اساء معاملة الجند كما رأى الخليفة مما ادى بهم الى الشغب وادرك المنصور ان الجند لم يشغبوا الا لضعف هذا الوالى وعدم تدبيره ، فعزله عن ولايته مذموما.

وفى سنة ١٤٦هـ/٧٦٢م عزل المنصور واليا له من ولاية البصرة حين كتب اليه بهدم دور من خرج مع ابراهيم بن عبدالله فقد روى الطبرى انه كتب اليه "امابعد فاهدم دور من خرج مع ابراهيم ،واعقر نخلهم .فكتب اليه الوالى:بأى ذلك ابدا ؟ ابالدور ام بالنخل ؟ فكتب اليه ابوجعفر:امابعدفقد كتبت اليك آمرك بافساد تمرهم ، فكتبت تستأذننى فى أية تبدأ به بالبرنى ام بالشهريز[١] وعزله[٢]".

وكان المنصور يستخدم الحيلة احيانا اذا اراد عزل وال من الولاة فقد اراد ان يعزل واليه على اليمن ويولى مكانه معن بن زائدة[٣] فقال لمعن :" ان صاحب اليمن قد هم بمعصيتى ،وانى اريدان آخذه اسيرا ولايفوتنى شئ من ماله . فماترى ؟ قال :قلت يا أمير المؤمنين ولنى اليمن واظهر انك ضممتنى اليه ،ومر الربيع يزيح علتى فى كل ما احتاج اليه . ويخرجنى من يومى هذا لئلا ينشر الخبر. قال ،فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه اسمى وناولنيه ،ثم دعا الربيع فقال ياربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيمايحتاج اليه من الكراع والسلاح ولايمس الا وهو راحل .ثم قال ودعنى فودعته وخرجت الى الدهليز ،فلقينى ابو الوالى ،فقال يامعن ، اعزز على ان تضم الى ابن اخيك . قال :قلت انه لاغضاضة على الرجل ان يضمه سلطانه الى ابن اخيه ،فخرجت الى اليمن فأتيت الرجل ،فاخذته أسيرا وقرأت

---

(١) البرنى نوع من التمر اصفر،مدور وهواجود التمر،والشهريز نوع من التمر ايضا،فارسى معرب الطبرى ،حـ٧ ،ص ٦٥٦،حاشية رقم(١).

(٢) الطبرى ، المصدرنفسه ،حـ٧ ،ص ٦٥٥-٦٥٦، ابن كثير ،البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ١٠٣

(٣) ابوالوليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلب الشيبانى .....كان جوادا شجاعا جزل العطاء كثير المعروف ممدحا مقصودا..... وكان معن فى ايام بنى امية متنقلا فى الولايات ومنقطعا الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى امير العراقين فلما انتقلت الدولة الى بنى العباس وجرى بين ابى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر المذكور==

وقرأت عليه العهد وقعدت مجلسه "[1].

وكان المنصور لايولى احدا ثم يعزله الا القاه فى دار خالد البطين ـ و كان منزل خالد على شاطئ دجلة ـ ..... فيستخرج من المعزول مالا، فما اخذ من شئ امر به فعزل ،وكتب عليه اسم من اخذ منه وعزل فى بيت مال وسماه بيت مال المظالم"[2].

لم يكن المنصور يكتفى بعزل الوالى فحسب عن ولايته وانما كان يصادر امواله التى يرى بانها ليست ملكاله وانما هى من اموال الرعية.

وقد عزل المنصور اخاه العباس بن محمد[3] عن الجزيرة ،وغرمه مالا، وغضب عليه وحبسه [4].

وعلى الرغم من ان الطبرى لم يذكر اسباب حبس المنصور لاخيه الا انه فيما يبدو ان العباس قد تصرف بطريقة اغضبت المنصور مما جعله يعزله ويغرمه ويحبسه ولم تشفع له قرابته من الخليفة شيئا.

= من محاصرته بمدينة واسط ...... ابلى يومئذ معن مع يزيد بلاء احسنا، فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة .... ولم يزل معن مستترا حتى كان يوم الهاشمية وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور وارادوا قتله فخرج معن متنكرا مدافعا عن المنصور حتى هزم الثوار وعرفه المنصور فأمنه وكساه واكرمه وصار من خواصه ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،حـ ٥ ٢٤٤ ومابعدها

(١) الطبرى ،حـ ٨ ،ص ٦٤-٦٥.

(٢) الطبرى ،حـ٨ ،ص ٨١ ، ابن الاثير الكامل ،حـ٥ ،ص ٣٨

(٣) العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، الامير ابو الفضل ،كان من رجالات بنى هاشم ،وهو اخو السفاح والمنصور لابيهما وامه ام ولد ،ولد فى سنة ثمان عشرة ومائة وقيل سنة احدى وعشرين ومائة ،وولى دمشق والشام كله والجزيرة وحج بالناس غير مرة . وكان من اجود الناس رأيا. وكان الرشيد يقول عمى العباس بن محمد يذكرنى باسلافنا ، الخطيب البغدادى ،تاريخ بغداد،١٢/١٢٤-١٢٥، ابن عساكر تهذيب تاريخ دمشق الكبير،٧/٢٥٦-٢٥٧، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ٢،ص ١٢٠، الزركلى ، الاعلام،٣/٢٦٥.

(٤) نفس المصدر،ص ٤٦ .

اما فى عهد المهدى (١٥٨-١٦٧هـ/٧٧٤- ٧٨٥م)،فانه عزل عبدالصمد بن على[1] عن الجزيرة فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م،لانه لم يهتم بالخليفة حينما شخص من الموصل وصار بأرض الجزيرة ولم يتلقه ولم يهيئ له منزلا[2].

ويبدو ان سبب عزل المهدى لجده عبدالصمد بن على ،سبب شخص فى البداية ولكن ربما كان عبدالصمد بن على يضمر فى نفسه شيئا، ولذلك لم يكترث بشخص الخليفة ولم يوله اهتماما،وكأنه استصغره وقلل من شأنه، فحسم المهدى امره بعزله ،حتى لايؤدى به الامر بعد ذلك الى الخروج عن سلطان الخلافة،كما فعل عبدالله بن على فى خلافة والده المنصور.

كذلك عزل المهدى واليه على اليمن عن سخطة،ووجه من يستقبله،ويفتش متاعه،ويحصى مامعه ثم امر بحبسه[3].

ونرى هنا ان المهدى لم يخرج عن تدابير والده المنصور،بل كان يكرر كثيرا منها،وقد استفاد من الاجراءات الادارية التى كان يقوم بها المنصور فى هذه الاحوال ،ولذلك لم يتوان لحظة فى عزل اى وال تحدثه نفسه بالخروج عن طاعة الخليفة، او استغلال منصبه، أوعسفه بالرعية.

---

(١) هو ابو محمد عبدالصمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمى ولد فى سنة اربع ومائة ، وقيل ست وقيل تسع ومائة فى رجب بالحميمة من ارض البلقاء. توفى ببغداد سنة ١٧٥هـ/٧٩١م.

ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج٣،ص ١٩٥،١٩٦،وانظر ترجمته فى الذهبى، سير اعلام النبلاء ،١٢٩/٩.

(٢) الطبرى ،تاريخ،ج ٨ ،ص ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٥٠-١٥١ .

امافى خلافة الرشيد فانه عزل على بن عيسى بن ماهان[١]،عن ولاية خراسان لانه هم بمخالفة امر الخليفة[٢]،واستصفى امواله التى بلغت ثمانين الف الف درهم[٣]،وحملت على الف وخمسمائة بعير،وكان مع ذلك قد اذل الاعالى من اهل خراسان واشرافهم"[٤].

وكتب الرشيد كتاب العزل الى على بن عيسى نصه :"بسم الله الرحمن الرحيم ..... رفعت من قدرك ونوهت باسمك ،واوطأت سادة العرب عقبك، وجعلت ابناء ملوك العجم خولك واتباعك فكان جزائى ان خالفت عهدى،ونبذت وراء ظهرك امرى ،حتى عثت فى الارض ،وظلمت الرعية ،واسخطت اللهوخليفته بسوء سيرتك ورداءة طعمتك ،وظاهر خيانتك ،وقد وليت هرثمة بن أعين[٥] مولاى ثغر خراسان وامرته ان يشد وطاته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك ، ولايترك وراء ظهوركم درهما ولاحقا لمسلم الا اخذ به ،حتى ترده الى اهله ، فان ابيت ذلك واباه ولدك وعمالك ،فله ان يبسط عليكم العذاب ،ويصب عليكم السياط ،ويحل بكم مايحل بمن نكث وغير وبدل وخالف وظلم وتعدى وغشم انتقاما لله عز وجل بادئا ،ولخليفته ثانيا وللمسلمين والمعاهدين ثالثا

---

(١) على بن عيسى بن ماهان احد كبار القادة فى ايام الرشيد والامين ، وقد كان قائدا لجيوش الامين ابان الفتنةمع اخيه المأمون ،وقد خرج فى اربعين الف مقاتل لملاقاة جيش المأمون بقيادة عبدالله بن طاهر،ومعه قيد من فضة ليقيد به المأمون فتلقاه طاهر بن الحسين فى اربعة الاف وجرت بينهم وقائع فاقتتلوا وقتل على بن عيسى وكان ذلك سنة ١٩٥هـ/٨١٠م فانهزم اصحابه.
ابن كثير ، البداية والنهاية ،حـ١٠،ص ٢٦٦، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة حـ٢،ص ١٤٩، الزركلى ، الاعلام ،حـ٤،ص ٣١٧.

(٢) الطبرى ،تاريخ،حـ ٨ ،ص ٣٢٤، ابن الاثير،الكامل فى التاريخ،حـ٥،ص ١٢٦.

(٣) الطبرى ،تاريخ،حـ٨ ،ص ٣٢٤، ابن الاثير،الكامل ،حـ٥،ص ١٢٦.

(٤) الطبرى ،تاريخ،٣٢٥/٨

(٥) سبقت ترجمته فى ص

فلاتعرض نفسك للتى لا سوى لها ،واخرج ممايلزمك طائعا او مكروها"(١).

لقد كان بعض الولاة يتصرفون وفق اهوائهم ،ويتعدون على حقوق الرعية ومن هؤلاء الولاة على بن عيسى ،الذى اغضب الرشيد غضبا شديدا فجاء كتابه اليه بأسلوب حاد تأديبا له.

وقد استخدم الرشيد الحيلة فى عزله حتى لا يتمكن من الهروب اذا علم بأمر عزله ،فقد روى ابن الاثير،انه لما اراد عزل على بن عيسى استدعى هرثمة واسر اليه ذلك وقال له: ان على بن عيسى قد كتب يستمدنى بالعساكر والاموال فاظهر للناس انك تسير اليه نجدةله ،فسار هرثمة ولايعلم بأمره احدحتى ورد نيسابور ،فلماوردها استعمل اصحابه على كورها وسار مجدا يسبق الخبر فاتى مرو والتقاه على بن عيسى فاحترمه هرثمة وعظمه حتى دخل البلد ثم قبض عليه"(٢). وكان ذلك فى سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م(٣).

على ان الرشيد كان احيانا يتراجع عن قرار عزله حينمايحس بأن السعايات والحسد هى من اسباب تظلم الرعية فقد رد واليه على الاهواز على ولايته لهاحينما تحقق بنفسه من صدق توجهات هذا الوالى وقال له ارجع الى عملك ودار رعيتك(٤).

وعزل الرشيد ايضا عاملا له على دمشق الذى بلغه عنه سوء سيرته فلما دخل عليه يرسف فى قيده قال له: وليتك دمشق وهى جنة بهاغدر تتكفأ امواجها على رياض كالزرابى واردة منها كفايات المؤن الى بيوت اموالى فمابرح بك التعدى لارفاقهم فيما امرتك ،حتى جعلتها اجرد من الصخر،

---

(١) الطبرى ،ج ٨ ،ص ٣٢٧.
(٢) الكامل فى التاريخ،ج٥ ،ص ١٢٦.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٢٦.
(٤) انظر الجهشيارى ،الوزراء والكتاب ،ص ٢٧١-٢٧٢ .

واوحش من القفر، قال : والله يا أمير المؤمنين ماقصدت لغير التوفير من جهة ،ولكن وليت اقواماثقل على اعناقهم الحق ،فتفرقوا الى ميدان التعدى ،ورأوا المراغمة بترك العمارة اوقع بأضرار الملك وانوه بالشنعة على الولاة ،فلا جرم ان امير المؤمنين قد اخذ لهم بالحظ الاوفر من مساءتى" (١).

اما المأمون فقد عزل واليه على كور الجبال على بن هشام (٢)،ولم يكتف بعزله فقط ،وانماقتله وشهر به ،وذلك لمابلغه من سوء سيرته فى عمله وقتله الرجال ،واخذه الاموال وامر المأمون بعد قتله ان تكتب رقعة تعلق على رأسه ليقرأها الناس ،فكتب : امابعد،فان امير المؤمنين كان دعا على بن هشام فيمن دعامن أهل خراسان أيام المخلوع، الى معاونته والقيام بحقه ،وكان فيمن اجاب وأسرع الاجابة ،وعاون فأحسن المعاونه ،فرعى امير المؤمنين ذلك له واصطنعه ،وهو يظن به تقوى اللهوطاعته ،والانتهاء الى امر امير المؤمنين فى عمل ان اسند اليه فى حسن السيرة وعفاف الطعمة ،وبدأه امير المؤمنين بالافضال عليه ،فولاه الاعمال السنية ،ووصله بالصلات الجزيلة التى امر امير المؤمنين بالنظر فى قدرها ،فوجدها اكثر من خمسين الف الف درهم ،فمد يده الى الخيانة والتضييع لمااسترعاه من الامانة ،فباعده عنه واقصاه ،ثم استقال امير المؤمنين عثرتهفأقاله اياها، وولاه الجبل ،واذربيجان وكور وارمينية ،ومحاربة اعداء الله الخرمية ،على الا يعود لماكان منه فعاود اكثر ماكان بتقديمه الدينار والدرهم على العمل لله ودينه ،واساء السيرة وعسف بالرعيةوسفك الدماء المحرمة ،فوجه

---

(١) محمدكردعلى ،الاسلام والحضارة العربية ،ح٢،ص ٢١٦.

(٢) على بن هشام ،ولاه المأمون على كور الجبال اذربيجان وغيرها، الا انه اساء معاملة الرعية ،وقتل الرجال واخذ الاموال فوجه اليه المأمون عجيف بن عنبسة احد كبار قواده حيث التقاه وانتصر عليه وظفر به ،واحضره للمأمون فضربت عنقه فى جمادى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م.
انظر الطبرى ،تاريخ،٦٢٧/٨، ابن الاثير، الكامل ،٢٢١/٥ .

امير المؤمنين عجيف بن عنبسه مباشرا لامره ،وداعيا الى تلافى ماكان منه فوثب بعجيف يريد قتله ،فقوى الله عجيفا بنيته الصادقة فى طاعة امير المؤمنين حتى دفعه عن نفسه ....."(١).

وكان المأمون حريصا على معرفة احوال ولاته لاسيمافى الاقاليم البعيدة، واضطر الى ان يذهب الى مصر حينما "انتقضت اسفل الارض كلها بمصر عربها وقبطها،واخرجوا العمال وخالفوا الطاعة ،وكان ذلك بسوء سيرة العمال فيهم فقد هبط المأمون مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشر ومائتين/ ٨٣٢م ،وسخط على عامله عيسى بن منصور(٢)،وامر بحل لوائه وامره بلبس البياض وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك، حملتم الناس مالا يطيقون وكتمتونى الخبر،حتى تفاقم الامر واضطرب البلد . وقال مافتق على فتق قط فى مملكتى الا وجدت سببه جور العمال"(٣).

هذه امثلة من عزل الخلفاء لولاتهم فى العصر العباسى الاول اوردناها على سبيل المثال لا الحصر لنعرف الكيفية التى كان يتم بها عزل الولاة ومايتبع عزلهم من اجراءات .

وقد رأينا فى الامثلة السابقة ان خلفاء بنى العباس كانوا لايتهاونون فى عزل اى وال اساء السيرة او ظلم الرعية او خالف اوامر الخليفة حتى ولو كان هذا الوالى شقيق الخليفة كمافعل المنصور مع اخيه العباس .

---

(١) الطبرى،تاريخ حـ ٨ ،ص ٦٢٧ – ٦٢٨.

(٢) عيسى بن منصور الرافقى احد ولاة العباسيين على مصر،تولى امرة مصر ٢١٦هـ/٨٣١م وكان واليا على الحوف بمصر وقد سخط عليه المأمون سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م وعزله عن امرة مصر. ت ٢٣٣هـ/٨٤٧م.
ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ،٢١٥/٢، الزركلى ،الاعلام ١٠٩/٥ .

(٣) محمدكردعلى ،الادارة الاسلامية فى عز العرب ،ص ١٥٩ .

ولم يكتف الخليفة العباسي بعزل الوالي فحسب اذ انه مع عزله امـــا صادر امواله اوحبسه اوعنقه وقد يصل احيانا الى قتله تبعاللجرم الـــذي ارتكبه الوالي .

ولذلك فاننا نجد ان الولاة كانوا على حذر شديد فالرقابةعليهـــم محكمة ومشددة على انه في بعض الاحيان كانت تقع بعض التجاوزات من قبـــل بعض الولاة ذوي الاهواء والنفوس الضعيفة فيسرع الخليفة الى حسم هـــذا التجاوز بعزل الوالي ،وتشيرالمصادر التاريخية الى حركة العزل التـــي يقوم بها الخلفاء بصورة مستفيضة فلايكاد يخلو عام من الاعوام من عـــزل وتولية .

خاتمة البحث

وبعد :

فان العصر العباسي الاول ،كان بحق عصر الازدهار ،والنهضة العلمية والفكرية ،والسياسة ،والفقهية ،والاقتصادية والادارية ،نتيجة للتوسع الكبير لرقعة الدولة الاسلامية ،ودخول عناصر من شتى الاجناس فى الاسلام ،حيث امتزجت الشعوب التى دخلت فى الاسلام مع بعضها البعض ،ونهلت من ثقافة الاسلام فأخرجت نموذجا فريدا من الحضارات فى تاريخ البشرية هى حضارة الاسلام.

فقد تطور النظام السياسى والادارى للدولة الاسلامية فى هذا العصر عما كان عليه من قبل ،تطورا ملحوظا نلحظ ابرز سماته فى مؤسسة الخلافة التى ظلت قوية مرهوبة الجانب ،بعكس ماكانت عليه الدولة فى أواخر ايام الدولة الاموية ،فقد استطاعت الخلافة أن تقضى على خصومها المتربصين بها فى الداخل والذين يتمثلون فى العلويين فى المقام الاول وبعض الخارجين على سلطان الدولة.

وقدحاول العلويون مرات عديدة السيطرة على زمام الامور فى الدولة الاسلامية الا ان محاولاتهم لم يكتب لها النجاح.

ونهج بعض الخلفاء العباسيين سياسة توفيقية للحد من خروجهم عليهم مثل المهدى ــ المامون ــ الواثق ،وقد نجحت هذه السياسات التوفيقية الى حد كبير فى الحد من خروج العلويين .

واستطاع الخلفاء فى الداخل ان يبسطوا الامن والاستقرار والعدل ، والقضاء على حركات الزنادقة الذين استفحل امرهم فى هذا العصر.

اما فى الخارج فقد وقفت الخلافة سدا منيعا ضد هجمات البيزنطيين المتكررة ،وقاد بعض خلفاء هذا العصر الغزو بأنفسهم مثل (الرشيد والمعتصم) وعملوا على نشر الاسلام فى مناطق عديدة.

والتزم معظم خلفاء هذا العصر بالاسلام منهجا وسلوكا ولذلك فقد اكتسبت احتراما من الرعية.

اما الوزارة ،فان اول تسمية رسمية لوزير فى الدولة الاسلامية تمت خلال هذا العصر(ابوسلمة الخلال وزير آل محمد)،ولم يترسخ مفهوم الوزارة الا فى العصر العباسى الاول فقد استحدثوا هذا المنصب نتيجة للتطورات الادارية الكبرى التى طرأت على الدولة ،والذى اوكده ان الوزارة العباسية عربية المولد والنشأة وليست فارسية كمايرى البعض .

وعلى الرغم من نشأة الوزارة فى هذا العصر الا أنها كانت محددة الصلاحيات فى معظم الاحيان ،وكان الوزير وزير تنفيذ ،ينفذ مايشير اليه به الخليفة ولايمكن ان يقطع امرا دون الرجوع اليه ،الاانه فى بعض الاحيان فوض بعض الخلفاء وزراءهم الا ان الاستبداد كان من طبيعة هؤلاء الوزراء المفوضين فلجأوا الى ظلم الرعية والاستبداد بأمور الدولة والسيطرة على الاموال فكان نصيبهم الزجر والتأديب من قبل الخلفاء ،وخير مثال لهؤلاء (آل برمك).

وأما الدواوين فقد أبقى العباسيون الاوائل على الدواوين الرئيسية التى كانت قائمة من قبل فى الدولة الاموية ،واضافوا اليها بعض الدواوين الجديدة مثل ديوان الزمام - المصادرات - النفقات .

وشهد هذا العصر تطورا كبيرا فى مجال الدواوين لاسيما الدواوين المالية وكان اهم ديوان على الاطلاق هو ديوان الخراج الذى يمثل أساس مالية الدولة الاسلامية فقد كان القدر الاكبر من الاهتمام يعطى لهذا الديوان ولجأت الدولة الى اسلوب المقاسمة بدلا من نظام المساحة الذى كان معمولا به من قبل تخفيفا على الرعية .

اما الحجابة فقد ارتفعت منزلتها الى درجة كبيرة ،واصبح للحاجب نفوذ كبير فى الدولة واشتهر بعض الحجاب بهذه الوظيفة وأجادوها فكانوا يعرفون متى يدخلون الناس على الخليفة ومتى لايدخلونهم دون ان يوجههم الخليفة ومن الحجاب الذين اشتهروا بذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور .

وفى مجال النظم المالية فقد حرصوا على ان تكون هذه النظم مستمدة من التشريع الاسلامى تسير وفق احكام الكتاب والسنة فجاء كتاب الخراج

لابى يوسف جامعا لكل مايتعلق بهذه النظم من احكام.

واما التشريع فقد قام على الكتاب والسنة وهما أساس التشريع الاسلامى الذى لم يختلف عليه المسلمون ،ثم الاجماع والقياس ،وان لم يجدوا نصا صريحا من الكتاب والسنة فيجتهدون فى ذلك .

وقد ابرز لناهذا العصر ائمة المذاهب الاربعة المجتهدين (ابوحنيفة - مالك - الشافعى - احمد بن حنبل) وكذلك ائمة المذاهب الاخرى التى اندثرت (الليث بن سعد - الاوزاعى - سفيان الثورى - داود الظاهرى).

وقد انقسمت النزعة التشريعية لمجتهدى هذا العصر الى فريقين فريق اهل الحديث وهم اهل الحجاز ،وفريق اهل الرأى وهم اكثرمجتهدى اهل العراق .

وفى مجال النظام القضائى فقد نجح العباسيون نجاحا منقطع النظيرفى تنظيم هذه الولاية ،وادخال العديد من التنظيمات المتعلقة بها،مثل اتخاذ الامناء ،وتنظيم السجلات ،وايجاد جماعةمن الشهود الدائمين ،واستحداث منصب قاضى القضاة لاول مرة فى تاريخ الدولة الاسلامية.

كذلك فقد ظهرت الحسبة كمؤسسة ادارية بهذا المسمى فى هذا العصر على الرغم من وجودها الفعلى من قبل منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

كماحرص الخلفاء على الجلوس للمظالم،ورد حقوق المظلومين وينيبون احيانا من يقوم بذلك ،ويكون خاضعا لرقابة الخليفة.

اما ولاية البلدان ، فقد كان العباسيون الاوائل يولون ولاتهم بانفسهم ولم يفوضوا غيرهم للقيام بهذه المهمة. وكانت سلطات الولاة محددة، ولم يعطوا تفويضا للولاة الا فى حالات نادرة ،وهذا التفويض ادى ببعض الولاة الى الاستبداد بشئون الولاية عن الخليفة،مماشجع فيما بعد الى قيام دويلات مستقلة استقلالا جزئيا عن الخلافة المركزية.

وكان الخلفاء يقومون بعزل ولاتهم الذين لايملكون الكفاءة الادارية اللازمة ، او يستغلون مناصبهم لاغراضهم الخاصة .

لقد كانت تدابير العباسيين الاوائل محكمة الترتيب والبناء ،وضع اسسها ابوجعفر المنصور،وسار عليها خلفاؤه من بعده ، ولذلك فقد ظلت الدولة الاسلامية قرنا من الزمان تحت حكمهم قوية متماسكة الاطراف لم تتزعزع ولم تهتز .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجـــع

اولا : القرآن الكريـم .

ثانيا: السنة النبويـة .

- ابود ادود ،الامام الحافظ أبى داود الاشعث السجستانى (ت ٢٧٥هـ).
  سنن ابى داود.
  مراجعة محمد محى الدين عبدالحميد ،طباعة دار الفكر.(بدون تاريـــخ طبع).
- الامام احمد بن حنبل بن هلال بن اسد . (ت ٢٤١هـ).
  مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه كنزالعمال فى سنن الاقـــــــوال والافعال .
  طباعة دار الفكر. (بدون تاريخ طبع)
- البخارى . ابوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ).
  ضبطه مصطفى ديب البغا،طباعة دار القلم دمشق - بيروت ،الطبعة الاولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
  "فتح البارى شرح صحيح البخارى ".
  تصحيح وتحقيق باشراف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
  نشر وتوزيع رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوةوالارشاد.
  المملكة العربية السعودية.
- الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ).
  الموطأ صححه ورقمه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقى .
  دار احياء التراث العربى - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١هـ).
  "صحيح مسلم بشرح النووى ".
  الناشر : دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان
  الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

ثالثا :

- ابن الاثير،عز الدين ابوالحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزرى (ت ٦٣٠هـ).
"الكامل فى التاريخ".
دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

- ابن اعثم الكوفى ، ابو محمد احمد (ت ٣١٤هـ).
الفتوح
الناشر :وزارة المعارف - الهند - الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

- ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الظاهرى (ت ٨٧٤هـ).
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة.
المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعةوالنشر.القاهرة (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

- ابن تيمية ،شيخ الاسلام ابوالعباس تقى الدين احمدعبدالحليم(ت ٧٢٨هـ)
السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية.
تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البناومحمداحمدعاشور- الناشر- دارالشعب القاهرة.(بدون تاريخ طبع)

- ابن الجوزى ، الحافظ ابى الفرج بن عبدالرحمن (ت ٥٩٧هـ)
مناقب الامام احمد بن حنبل
تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركى - الناشرمكتبة الخانجى بمصر- الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ابن حبيب ، ابوجعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت ٢٤٥هـ).
" المحبر".
تصحيح د. ايلزه يختن . منشورات المكتب التجارى للطباعةوالنشر والتوزيع - بيروت .

ابن حجر ،شهاب الدين ابوالفضل احمد بن على بن احمد العسقلانـــــــــى (ت ٨٥٢هـ)٠
رفع الاصر عن قضاة مصر٠
تحقيق حامد عبدالمجيد ـ القاهرة ـ ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م٠

ابن حزم ،ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهرى(ت ٤٥٦هـ)٠
الاحكام فى اصول الاحكام٠
قدم له د٠احسان عباس ـ دار الافاق الجديدة ـ بيروت ـ الطبعة الاولـــى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م٠

ـ ابن خلكان ،ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابى بكر بـــــن خلكان (ت ٦٨١هـ)٠
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ٠
حققه د٠احسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م٠

ـ ابن خلدون ،ولى الدين ابوزيد عبدالرحمن بن محمد بن محمدالتونســـى الحضرمى المالكى (ت ٨٠٨هـ)٠
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر٠
منشورات دار الكتاب اللبنانى ـ ١٩٥٧م٠
المقدمة٠
الناشر: دار الباز للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة ـ الطبعة الرابعـــة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م٠

ـ ابن خياط ،خليفة بن خياط بن شباب العصفرى (ت ٢٤٠هـ)٠
تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق د٠اكرم ضياءالعمرى ٠ سهيل زكار ـ الناشر وزارة الثقافـــــة والارشاد القومى ـ دمشق ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م٠

ـ ابن دقماق ،ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى المعروف بابن دقمـــاق (ت ٨٠٩هـ)٠

الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين .
تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة د. احمد السيد دراج
منشورات مركز البحث العلمى ـ جامعة ام القرى ـ مكة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

- ابن رستة، ابوعلى احمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ).
الاعلاق النفيسة.
طبع فى مدينة ليدن ١٨٩١م يطلب من مكتبة المثنى ـ بغداد.

- ابن سعد، ابوعبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهرى البصرى (ت ٢٣٠هـ).
الطبقات الكبرى: دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م .
١٩٦٨م.

- ابن سلام، ابو عبيد القاسم بن سلام الهروى الازدى الخزاعى البغدادى (ت ٢٢٤هـ).
كتاب الاموال
تحقيق وتعليق محمدخليل هراس ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

- ابن شداد، عز الدين محمد بن على بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ).
الاعلاق الخطيرة فى ذكر امراء الشام والجزيرة.
حققه يحى عبادة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق ١٩٧٨م.

- ابن طباطبا، محمد بن على طباطبا العلوى (ت ٧٠٩هـ).
الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

- ابن طيفور، ابوالفضل احمد بن طاهر بن طيفور (ت ٢٨٠هـ).
كتاب بغداد .
عنى بنشره وراجع اصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسينى ـ مكتب نشر الثقافة الاسلامية ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

- ابن عبدالحكم، ابى القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن اعين (٢٥٧هـ)
فتوح مصر واخبارها.
تحقيق محمد صبيح
الناشر :دار التعاون للنشر - مصر - ١٩٧٤م.
- ابن عبدربه ،ابو عمر احمد بن محمد بن عبدربه بن عجيب بن حيدر بن سالم الاندلسى المالكى (ت ٣٢٨هـ).
العقد الفريد
تحقيق احمد امين ،احمد الزين ،ابراهيم الابيارى ،مطبة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ،القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
- ابن العبرى ،ابو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطى (ت ٦٧٥هـ).
تاريخ مختصر الدول .
تحقيق انطوان صالحان اليسوعى - الطبعة الثانية - بيروت - المطبعة الكاثوليكية ،١٩٥٨م.
- ابن عساكر، ابوالقاسم على بن الحسن (ت ٥٧١ هـ).
تهذيب تاريخ ابن عساكر.
هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران المتوفى ١٣٤٦هـ ،دارالمسيرة- بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن العماد، ابوالفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ).
شذرات الذهب فى اخبارمن ذهب .
الناشر: المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
- ابن العمرانى ،محمد بن على بن محمد (ت ٥٨٠هـ).
الانباء فى تاريخ الخلفاء
تحقيق د. قاسم السامرائى
الناشر: دار العلوم - الرياض ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن فرحون ،ابواسحاق ابراهيم بن على بن فرحون المالكى (ت ٧٩٩هـ)
الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء الذهب
تحقيق وتعليق محمد الاحمدى ابوالنور.
الناشر دار التراث للطبع والنشر- القاهرة (بدون تاريخ طبع).

- ابن الفقيه الهمدانى، ابو بكر احمد بن محمد (ت فى القرن الثالث الهجرى)
بغداد مدينة السلام.
الناشر: وزارة الاعلام -الجمهورية العراقية - الطبعة الاولى .
البلدان
طبع ليدن ١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ)
الامامة والسياسة
تحقيق د. طه محمد الزينى
منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان
عيون الاخبار
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣م.

- ابن القوطية ،ابو بكر محمد بن القوطية
تاريخ افتتاح الاندلس
تحقيق - ريبيرا - مدريد - اسبانيا ١٨٦٨م.

- ابن القيم الجوزى ،ابو عبدالله محمد بن ابى بكر الزرعى(ت ٧٥١هـ)
اعلام الموقعين
تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد - الناشر: دارالفكر- بيروت
لبنان (بدون تاريخ طبع)
احكام اهل الذمة.
حققه وعلق عليه د. صبحى الصالح - طباعة دارالعلم للملايين - بيروت -
لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ابن كثير ،عمادالدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى
البصرى (ت ٧٧٤هـ).
البداية والنهاية.
طباعة دار الفكر العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م

- ابن مماتي ،ابو المكارم اسعد بن الخطير ابى سعد مهذب بن مينا المصرى (ت ٦٠٦ هـ)٠
قوانين الدواوين ٠
جمع وتحقيق عزيز سوريال عطية - نشر الجمعية الزراعية الملكية - مطبعة مصر - القاهرة - ١٩٣٤م٠

- ابن منظور ،جمال الدين ابى الفضل محمد بن جلال الدين ابو العز بن منظور (ت ٧١١هـ)٠
لسان العرب ٠
دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ ٠

- ابن النديم - ابو الفرج محمد بن ابى يعقوب اسحاق بن النديم (ت ٣٨٠هـ)
الفهرست ٠
منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت - لبنان - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

- ابن الوردى ،زين الدين عمر بن مظفر بن الوردى (ت ٧٤٩هـ)
تاريخ ابن الوردى ٠
تحقيق احمد رفعت الديراوى - دار المعرفة - بيروت ١٩٧٠م٠

- ابن هشام ،ابومحمدعبدالملك بن هشام بن ايوب الحميرى (ت ٢١٨هـ)٠
سيرة النبى صلى الله عليه وسلم٠
مراجعة الشيخ محمدمحى الدين عبدالحميد - طباعة دارالفكر- بيروت لبنان ٠

- ابويعلى ،محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ)٠
الاحكام السلطانية٠
صححه وعلق عليه محمدحامد الفقى - الناشر:دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م٠

- ابو يوسف ،يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى البغدادى (ت ١٨٢هـ)٠
كتاب الخراج ٠
تحقيق د٠ محمد ابراهيم البنا - منشورات دار الاصلاح - القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م٠

- الابشيهي ،شهاب الدين محمد بن احمد ابي الفتح(ت ٨٥٠هـ)٠
المستطرف في كل فن مستظرف
منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ١٩٨٧م

- الأتليدى ،محمد دياب
اعلام الناس بماقع للبرامكة من بنى العباس ٠
طبع بالمطبعة اليوسفية بالقاهرة- مصر- (بدون تاريخ طبع)٠

- الاربلى ،عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ)٠
خلاصة الذهب المسبوك – مختصر من سير الملوك ٠
صححه مكى السيد جاسم – نشر مكتبة المثنى – بغداد٠

- الازدى ، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدى (ت ٣٣٤هـ)٠
تاريخ الموصل
تحقيق د٠ على حبيبة – القاهرة ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م٠

- الاصفهانى ، ابو الفرج على بن الحسين ت (٣٥٦هـ)٠
الاغانى
الناشر مؤسة جمال للطباعة والنشر- بيروت – لبنان

مقاتل الطالبيين
شرح وتحقيق السيد احمد صقر،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت-
لبنان ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م٠

- الامدى ، ابو الحسن على بن ابى على محمد بن سالم التغلبى الامدى
(ت ٦٣١هـ)٠
الاحكام فى اصول الاحكام
تعليق عبد الرزاق عفيفى – الناشر المكتب الاسلامى – (دمشق – بيروت)
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ٠

- البلاذري ،ابو الحسن احمد بن يحى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)٠
فتوح البلدان
عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان ـ دار الكتب العلمية
بيروت ،لبنان ،١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م٠

- البلخي ،ابوزيد احمد بن سهل البلخي
البدء والتاريخ
تحقيق كلمان هوار ـ باريس

- البغدادي ،صفي الدين بن عبدالمؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ)
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع
تحقيق وتعليق على محمد البجاوي ـ دار احياء الكتب العربية
١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤م٠

- البكري ،ابو عبيدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي (ت ٤٨٧هـ)
معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع
تحقيق مصطفى السقا ـ لجنة التاليف والترجمة ـ القاهرة ،الطبعة
الاولى ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م٠

- البيهقي ،ابراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ)
المحاسن والمساوئ
دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م٠

- التنوخي ،ابوعلي المحسن بن ابي القاسم علي بن محمد (ت ٣٨٤هـ)٠
الفرج بعدالشدة
تحقيق عبود الشالجي ،بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م٠
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة
تحقيق عبود الشالجي ـ بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م٠

- الثعالبى ، ابومنصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ).
تحفة الوزراء
منسوب اليه – تحقيق حبيب على الراوى ،وابتسام الصفار، مطبعة العانى، بغداد ، ١٩٧٧م.

- الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصرى (ت ٢٥٥هـ).
تحقيق وشرح عبدالسلام هارون – مطبعة دار التأليف – الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

- الجصاص ، ابو بكر احمد بن على الرازى الجصاص الحنفى (ت ٣٧٠هـ).
احكام القرآن
تحقيق محمدالصادق قمحاوى – القاهرة – دار المصحف .

- الجهشيارى ، ابوعبدالله محمد بن عبدوس بن عبدالله الجهشيارى(ت ٣٣١هـ)
الوزراء والكتاب .
تحقيق مصطفى السقا – ابراهيم الابيارى – عبدالحفيظ شلبى – مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ١٣٥٤هـ – ١٩٣٨م.

- الجوهرى اسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ٣٢٠ هـ)
تاج اللغة وصحاح العربية
تحقيق احمد عبدالغفور عطار
القاهرة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- الحميرى ،محمد بن عبدالمنعم الحميرى (ت فى القرن الثامن الهجرى)
الروض المعطار فى خبر الاقطار
تحقيق د. احسان عباس
الناشر مكتبة لبنان – ١٩٨٤م.

- الخطيب البغدادى ، ابوبكر احمد بن على البغدادى (ت ٤٦٣هـ).
تاريخ بغداد اومدينة السلام
الناشر دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان (بدون تاريخ طبع).

- الخوارزمي ،محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٧٨هـ)
مفاتيح العلوم
طباعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الناشر:عباس احمد
الباز ،مكة المكرمة٠

- الديار بكري،حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري
تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس
الناشر مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت (بدون تاريخ)

- الدينوري ،ابوحنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)٠
الاخبار الطوال
تحقيق عبدالمنعم عامر - مراجعة د٠جمال الدين الشيال - داراحياء
الكتب العربية - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٦٠م٠

- الذهبي ،ابوعبدالله شمس الدين محمد بن احمد الحافظ الذهبي الشافعي
(ت ٧٤٨هـ)٠
تاريخ الاسلام ومشاهير الاعلام
عنى بنشره حسام الدين القدسي

دول الاسلام
تحقيق محمد فهيم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - طبع الهيئة المصرية
العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م٠

تذكرة الحفاظ
طباعة دار احياء التراث العربي (بدون تاريخ طبع)

سير اعلام النبلاء
منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

العبر في خبر من غبر
تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان
الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م٠

- الرازى ،محمد بن ابى بكر الرازى
مختار الصحاح
عنى بترتيبه محمود خاطر بك ـنشر دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع -
بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م٠

- الزبيدى ،محمد مرتضى الحسينى الواسطى (ت ١٢٠٥ هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس
طبع بمصر ـ الطبعة الاولى ١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٨م

- السرخسى ،ابوبكر محمد بن ابى سهل السرخسى (ت ٤٩٠هـ)٠
المبسوط فى الفقه
دار المعارف ـ بيروت ـ لبنان

- السمهودى ،نورالدين على بن احمد (ت ٩١١ هـ)
وفاء الوفا فى اخبار دار المصطفى
تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ١٩٤٥م٠

- السيوطى ،الحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن بن ابى بكر السيوطى
(ت ٩١١هـ)٠
تاريخ الخلفاء
تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر -
الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م٠

تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى
حققه وراجع اصوله عبدالوهاب عبداللطيف ـ كلية اصول الدين ـ الازهر٠

- الشابشتى ،ابوالحسن على بن محمد الشابشتى (ت ٣٨٨هـ)٠
الديارات
تحقيق كوركيس عواد،الناشر مكتبة المثنى بغداد ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م٠

- الشاطبى ، ابراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى (ت ٧٩٠هـ)
الاعتصام
طباعة مطبعة المنار بمصر.
الموافقات فى اصول الشريعة
الناشر :دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- الشافعى ، ابوعبدالله محمد بن ادريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ).
الام
دار المعارف للطباعة والنشر بيروت - لبنان
الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
الرسالة
تحقيق وشرح احمد محمد شاكر - بدون دار نشر وتاريخ طبع
- الشريف الرضى ،محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى
نهج البلاغة
منسوب الى الامام على بن ابى طالب كرم اللهوجهه باختيار
الشريف الرضى .
تحقيق وتعليق محمداحمدعاشور - محمد ابراهيم البنا
الناشر دار الشعب - القاهرة (بدون تاريخ طبع)
- الشهرستانى ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم بن ابى بكر الشهرستانى
(ت ٥٤٨هـ)
الملل والنحل
تحقيق محمد سيد كيلانى - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- الشوكانى ،محمد بن على بن محمدالشوكانى ت ١٢٥٠هـ
نيل الاوطار من منتقى الاخبار
مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٩٧هـ.
- الشيزرى ،عبدالرحمن بن نصر الشيزرى (ت ٥٨٩هـ)
تحقيق ومراجعة السيدالباز العرينى - نشر دار الثقافة - بيروت -
لبنان (بدون تاريخ طبع).

- الصابى ، ابو الحسين هلال بن المحسن الصابى (ت ٤٤٨هـ)٠
رسوم دار الخلافة
عنى بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد- مطبعة العانـــــي-
بغداد - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م٠

- الصنعانى ،محمد بن اسماعيل الكحلانى الصنعانى (ت ١١٨٢هـ)٠
سبل السلام
الناشر مكتبة الرسالة الحديثة (بدون تاريخ طبع)٠

- الصولى ،ابوبكر محمد بن يحى الشطرنجى (ت ٣٣٥هـ)
ادب الكتاب
دار الباز للطباعة والنشر - مكة المكرمة

- الطبرى ،ابوجعفر محمد بن جريرالطبرى (ت ٣١٠هـ)
تاريخ الامم والملوك
تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم - دار سويدان - بيروت - لبنـــــان -
(بدون تاريخ)٠

- الطرطوشى ،ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى (ت ٥٢٠ هـ)
سراج الملوك
المطبعة الازهرية بمصر الطبعة الاولى ١٣١٩هـ - ١٩٠١م

- العسكرى ،ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٢٩٥هـ)
الاوائل ٠
تحقيق محمدالسيدالوكيل - الناشر:السيد اسعد طرابزونى الحسينـــــى
المدينة المنورة٠

- العصامى ،عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامى المكى (ت ١١١١هـ)٠
سمط النجوم العوالى فى انباء الاوائل والتوالى
منشورات المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م٠

- عياض ، ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى (ت ٥٤٤هـ)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك .
تحقيق الدكتور احمد بكير محمود - منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.

- العينى ،بدر الدين محمودبن احمدالعينى (ت ٨٥٥هـ)
عقدالجمان فى تاريخ اهل الزمان (مخطوط)
ميكروفيلم مركزالبحث العلمى - جامعة ام القرى - مكة المكرمـــــــــة
الجزء الثامن برقم ١١٨٨ .

- الغزالى ،ابوحامد محمد بن محمدالغزالى (ت ٥٠٥هـ)
احياء علوم الدين .
الناشر دار المعرفة للطباعةوالنشر - بيروت - لبنان - توزيـــــــــع
دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة (بدون تاريخ طبع)
فضائح الباطنية
تحقيق د. عبدالرحمن بدوى - نشر مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت
١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

- الفيـروز ابادى ،مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادى (ت ٨٢٣هـ)
القاموس المحيط
دار الجيل - بيروت - لبنان

- الفيومى ، احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى (ت ٧٧٠ هـ)
المصباح المنير
بدون تاريخ طبع او دار نشر

- قدامة ، ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت ٣٣٧هـ).
الخراج وصناعة الكتابة.
تحقيق د. محمدحسين الزبيدى - دار الرشيد - بغداد ١٩٨١م.

- القرشى ،يحى بن آدم القرشى (ت ٢٠٣هـ)
كتاب الخراج.
دار المعرفة للطباعةوالنشر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

- القزوينى ،زكريا بن محمد بن محمود
اثار البلاد واخبار العباد.
منشورات دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

- القلقشندى ابوالعباس احمد بن على (ت ٨٢١هـ)
صبح الاعشى فى صناعة الانشا.
الناشر: المطبعة الاميرية ـ القاهرة.
مآثر الانافة فى معالم الخلافة.
الناشر :عالم الكتب ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٦٤م.

- القيروانى ،ابواسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى (ت ٤٥٣هـ)
زهر الآداب وثمر الالباب.
تحقيق د. زكى مبارك ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان

- الكتبى ،محمد بن شاكر الكتبى (ت ٧٦٤ هـ).
فوات الوفيات والذيل عليها
تحقيق د. احسان عباس ،منشورات دار صادر ـ بيروت ١٩٧٣م.

- الكندى ،ابوعمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى (ت ٣٥٠هـ)
كتاب الولاة وكتاب القضاة.
مطبعة الاباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م.

- الماوردى ،ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الشافعى
(ت ٤٥٠هـ)
الاحكام السلطانية والولايات الدينية.
منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

- المبرد ، ابوالعباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)
الكامل فى اللغة والادب
تعليق محمدابوالفضل ابراهيم - السيد شحاته - دار نهضة مصرللطبع والنشر.
مجهول :
العيون والحدائق فى اخبار الحقائق
" الجزء الثالث من خلافة الوليد بن عبدالملك الى خلافة المعتصم"
باعتناء دى غويه بريل - ليدن - يطلب من مكتبة المثنى - بغداد.

- المسعودى ، ابوالحسن على بن حسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦هـ)
مروج الذهب ومعادن الجوهر
شرحه وقدم له د.مفيد قميحة. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- المقدسى ، شمس الدين ابوعبدالله محمد بن احمد بن ابى بكر(ت ٣٩٠هـ)
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم
باعتناء دى غويه - بريل - ليدن ١٩٠٦م

- المقريزى ، تقى الدين ابوالعباس احمدبن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ)
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
الناشر: دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ .

- الموفق ، الامام الموفق بن احمد المكى (ت ٥٦٨هـ)
مناقب الامام الاعظم ابى حنيفة .
طبع دائرة المعارف النظامية بالهند - حيدراباد - الدكن -
الطبعة الاولى ١٣٢١هـ.

- نظمى زاده (ت ١١٣٦هـ).
"كلشن خلفا" أو " روضة الخلفاء".
نقله من التركية الى العربية موسى كاظم نورس - نشرة المجمع العلمى العراقى (بدون تاريخ طبع)

- النويرى ،شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢هـ)٠
نهاية الارب فى فنون الادب
الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر(بدون تاريخ)

- الهندى ،العلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى(ت ٩٧٥هـ)
كنز العمال
ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حياتى ـ تصحيح الشيخ صفوت السقا٠
الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ
١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

- وكيع ،محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ)
اخبار القضاة٠
منشورات عالم الكتب ،بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ طبع)

- ياقوت ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان
منشورات دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان
١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٩م

- اليعقوبى ،احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن هب بن واضح (ت ٢٨٤هـ)
تاريخ اليعقوبى
منشورات دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م
البلدان
يذيل كتاب الاعلاق النفيسة لابن رستة
الناشر مكتبة المثنى ـ بغداد ـ طبع فى مدينة ليدن سنة ١٨٩١م

رابعا: المراجـــع :

- د٠ابراهيم نجيب عوض
القضاء فى الاسلام تاريخه ونظامه
القاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م
نظام الحكم فى الاسلام (تحت الطبع ٠

- احمد امين
ضحى الاسلام
الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة العاشرة

- د. احمد الشامى
الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الاول
الناشر: دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع - الدمام - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

- آدم متز
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
نقله الى العربية محمد عبدالهادى ابوريده - الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- انور الرفاعى
النظم الاسلامية
الناشر: دار الفكر العربى ١٩٧١م

- د. توفيق سلطان اليوزبكى
الوزارة - نشأتها - تطورها فى الدولة العباسية
طبع على نفقة مؤسسة دار الكتب للطبع والنشر جامعة الموصل - الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- د. حسام الدين السامرائى
المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية
الناشر: دار الفكر العربى

- د. حسن ابراهيم حسن
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - العصر العباسى الاول .
الناشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة السابعة ١٩٦٤م.

- د. حسن ابراهيم وعلى ابراهيم حسن
النظم الاسلاميـــة
الناشر: مكتبة النهضة المصرية- القاهرة

- د. حسن احمد محمود و د. احمد ابراهيم الشريف
العالم الاسلامى فى العصر العباسى
الناشر: دار الفكر العربى - الطبعة الخامسة

- د. حسن الباشا
الالقاب الاسلامية فى التاريخ والوظائف والآثار
الناشر :مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٧م

- د. حسن الخربوطلى
المهدى العباسى
الدار المصرية للتأليف والترجمة - توزيع مكتبة مصر - القاهرة

- د. حسين حامد حسان
المدخل لدراسة الفقه الاسلامى
الناشر:مكتبة المتنبى - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٩م

- خير الدين الزركلى
الاعلام
الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السادسة ١٩٨٤م

- خير الله طلفاح
النظام الاقتصادى فى الاسلام
الناشر: دار الحرية للطباعة- بغداد

- رشاد عباس معتوق
نظام الحسبة فى العراق حتى عصر المأمون
الناشر: تهامة - جده - المملكة العربية السعودية - الطبعة الاولـــــى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- د. سلامة محمد الهرفى
القضاء فى الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسى الاول
رسالة دكتوراه مقدمه الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة
ام القرى - مكة المكرمة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- د. السيد عبد العزيز سالم
العصر العباسى الاول
الناشر :مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - مصر

- د. شاكر مصطفى
دولة بنى العباس
الناشر:وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الاولى ١٩٧٣م

- د. صالح احمد العلى
بغداد مدينة السلام
المجلد الاول - مطبعة المجمع العلمى العراقى - ١٩٨٥م

- د. صبحى الصالح
النظم الاسلامية
الناشر: دار العلم للملايين بيروت - الطبعة السادسة ١٩٨٢م

- د. ضيف الله يحى الزهرانى
موارد بيت المال فى الدولة العباسية
الناشر: المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- د. فاروق عمر
بحوث فى التاريخ العباسى
الناشر: دار القلم للطباعة - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى ١٩٧٧م

- فان فلوتـــن
السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى امية
ترجمة د. حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى حسن
مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٩٣٤م

- د. فتحية النبراوى
تاريخ النظم والحضارة الاسلامية.
الناشر: دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ١٩٨١م

- كارل بروكلمان
تاريخ الشعوب الاسلامية
نقله الى العربية نبيه فارس ومنير البعلبكى ـ طباعة دار القلـــم
بيروت.

- عبد الحى بن ابى المفاخر الحسنى الادريسى الفاسى الكتانى
نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية
(بدون دار نشر او تاريخ طبع)

- د. عبد العزيز الدورى
العصر العباسى الاول
مطبعة التفيض بغداد ١٩٤٥م
النظم الاسلاميــة
مطبعة المعارف ـ بغداد ـ ١٩٥٠م

- د. عبد العظيم شرف الدين
تاريخ التشريع الاسلامى
الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م

- د. عبد الكريم زيدان
المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية
مكتبة القدس ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م
احكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام

مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م

- عبدالله مصطفى المراغى
  الفتح المبين فى طبقات الاصوليين
  الناشر :دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية
  ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

- د. عبدالمنعم ماجد
  العصر العباسى الاول
  الناشر: مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الثانية ١٩٧٩م

- عبدالوهاب خلاف
  خلاصة تاريخ التشريع الاسلامى
  الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع –الكويت
  السلطات الثلاث فى الاسلام
  الناشر: دار آفاق الغد – القاهرة – الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م
  علم اصول الفقه
  دار القلم للطباعةوالنشر – الكويت – الطبعة الثانيةعشر١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م
  مصادر التشريع الاسلامى فيمالانص فيه
  دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الرابعة
  ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

- على حسب الله
  اصول التشريع الاسلامى
  دار المعارف بمصر – الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م

- لفيف من المستشرقين
  المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى
  نشره الدكتوره آ.ى . ونستك استاذ العربية بجامعة ليدن – مكتبة
  بريل – ليدن .

- محمد ابوزهرة

اصول الفقه
القاهرة، دار الفكر العربى .
تاريخ المذاهب الاسلامية

الجزء الثانى فى تاريخ المذاهب الفقهية

ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى

- محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى

الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى

خرج احاديثه وعلق عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى

الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ

- محمد بن جعفر الكتانى

الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية .
١٤٠٠هـ .

- د. محمد بلتاجى

مناهج التشريع فى القرن الثانى الهجرى

مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

- محمد الخضرى بك

تاريخ التشريع الاسلامى

الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية - الدولة العباسية

الناشر المكتبة التجارية بمصر.

- محمدزكريا البرديسى

اصول الفقه

دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٣م

- محمد سليمان العبدة

حركة النفس الزكية

دار الارقم - الكويت - الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- د. محمد ضياء الدين الريس
الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية
الناشر :دار الانصار – القاهرة – الطبعة الرابعة ١٩٧٧م

- محمد عبدالله الشبانى
نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية
ملتزم الطبع والنشر – دار عالم الكتب للنشر والتوزيع – الرياض
الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م

- محمد على السايس
تاريخ الفقه الاسلامى
الناشر: مكتبة ومطبعة محمدعلى صبيح وأولاده – ميدان الازهر– مصر

- د. محمد فاروق النبهان
المدخل للتشريع الاسلامى
الناشر: وكالة المطبوعات –الكويت – الطبعة الاولى ١٩٧٧م

- محمد كرد علـى
الاسلام والحضارة العربية
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة – الطبعة الثالثة
١٩٦٨م
الادارة الاسلامية فى عز العرب
القاهرة ١٣٥٢هـ – ١٩٣٤م

- د. محمد مصطفى هدارة
اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى
ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر ١٩٦٣م

- محمد فؤاد عبدالباقى
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
دار احياء التراث العربى – بيروت – لبنان

- د. محمد يوسف موسى
المدخل لدراسة الفقة الاسلامى
الناشر: دار الفكر العربى
محاضرات فى تاريخ الفقه الاسلامى
الناشر: جامعة الدول العربية ١٩٥٤م

- محمود شاكر
التاريخ الاسلامى - الدولة العباسية
الناشر: المكتب الاسلامى - بيروت - دمشق - الطبعة الاولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

- مولوى الحسينى
الادارة العربية
ترجمة د. ابراهيم احمد العدوى- مراجعة عبد العزيز عبد الحق
اشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر
ملتزم النشر مكتبة الاداب ومطبعتها بالجماميز

- د. نصر فريد واصل
السلطة القضائية ونظام القضاء فى الاسلام
الناشر: مطبعة الامانة - القاهرة - الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

- د. نقولا زيادة
الحسبة والمحتسب فى الاسلام
المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٢م

- د. يوسف ابراهيم يوسف
النفقات العامة فى الاسلام
الناشر: دار الكتاب الجامعى - القاهرة ١٩٨٠م

المحتويات